جامعة مؤتة
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية

إعداد

أحمد عبدالله الكاف

إشراف

الدكتور زهير أحمد المنصور

١٩٩٦

صورة الإنسان
في التشبيهات القرآنية

إعداد

أحمد عبدالله الكاف

بكالوريوس في اللغة العربية ـ جامعة الأزهر الشريف

١٩٩١

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير

في جامعة مؤتة ـ تخصص لغة عربية

١٩٩٦

تاريخ تقديم الرسالة ٥ / ٧ / ١٩٩٦

تاريخ مناقشة الرسالة ٣ / ٨ / ١٩٩٦

لجنة المناقشة

الدكتور زهير أحمد المنصور ..... مشرفاً

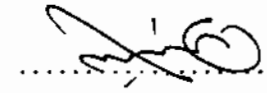

الدكتور موسى سامح ربابعة ..... عضواً

الدكتور محمد المجالي ..... عضواً

الإهداء

ـ إلى أسوتي ... والمربي الأول للأمة ... ونبي الرحمة والعلم والإنسانية نبينا ورسولنا وحبيبنا وقرة أعيننا

سيدنا محمد ﷺ .

ـ وإلى والدي العزيزين اللذين ربياني صغيرا وتعهداني كبيرا

وكانا ورائي في طلب العلم والاغتراف من مناهله .

ـ وإلى إخوتي الأعزاء الذين أشد بهم أزري .

ـ وإلى زوجتي التي شاركتني أعباء هذه الرسالة ليلا ونهارا.

الباحث

أحمد عبد الله الكاف

المحتويات

ـ المقدمة ..... (أ – هـ)

ـ التمهيد ..... (١ – ٤)

ـ الباب الأول : التشبيه من عصر التدوين إلى عصر الإمام
عبد القاهر الجرجاني ..... (٥ ـ ٤٠)

ـ الفصل الأول : مفهوم التشبيه عند اللغويين والنحاة ..... (٦ ـ ١٥)

التشبيه عند الخليل وسيبويه ٦

« عند الفراء ٩

« عند أبي عبيدة معمر بن المثنى ١٠

« عند ابن قتيبة ١١

« عند المبرد ١٢

« عند ابن جني ١٤

« عند ابن فارس ١٥

ـ الفصل الثاني : مفهوم التشبيه عند الأدباء والنقاد ..... (١٦ – ٢٤)

التشبيه عند ابن المعتز ١٦

« عند ابن طباطبا ١٧

« عند قدامة بن جعفر ١٨

« عند الآمدي ١٩

« عند القاضي الجرجاني ٢٠

« عند أبي هلال العسكري ٢٢

« عند ابن رشيق ٢٣

ـ الفصل الثالث : مفهوم التشبيه عند المتكلمين
والإعجازيين والبلاغيين ..... (٢٥ – ٤٠)

التشبيه عند الجاحظ ٢٥

التشبيه عند الرماني ٢٩
« عند الباقلاني ٣١
« عند القاضي عبد الجبار ٣٢
« عند ابن سنان الخفاجي ٣٣
« عند الإمام عبد القاهر الجرجاني ٣٤

الباب الثاني : صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية ..... (٤١ ـ ١٢٩)
ـ الفصل الأول : تشبيه الإنسان بالطبيعة ..... (٤١ ـ ٧١)
ـ تشبيه الإنسان بالطبيعة الجوية ..... (٤٣ ـ ٤٨)
التشبيه بالظاهرة الجوية ٤٣
« بالذي لا يستقر في الهواء ٤٦

ـ تشبيه الإنسان بالطبيعة البرية ..... (٤٩ ـ ٦٤)
التشبيه بالحجارة ٤٩
« بالصفوان ٥٢
« بحبة الزرع ٥٤
« بالزرع ٥٧
« بالخشب ٦٢

ـ تشبيه الإنسان بالطبيعة البحرية ..... (٦٥ ـ ٧١)
التشبيه بظلمات البحر ٦٥
« بالياقوت والمرجان ٦٨
« باللؤلؤ المنثور ٦٩

ـ الفصل الثاني : تشبيه الإنسان بالحيوان ..... (٧٢ ـ ٩٨)
ـ تشبيه الإنسان بالطيور ..... (٧٤ ـ ٧٥)
التشبيه بالغراب ٧٤

ـ تشبيه الإنسان بالحشرات ..... (٧٦ ـ ٨١)
التشبيه بالعنكبوت ٧٦

التشبيه بالفراش ٧٨
« بالجراد ٧٩

ـ تشبيه الإنسان بالحيوانات الأليفة ..... (٨٢ـ ٩٨)
التشبيه بالكلب ٨٢
« بالحمار الذي يحمل اسفارا ٨٥
« بالحمر المستنفرة ٨٨
« بصوت الحمير ٩١
« بالأنعام في سلب الإدراك ٩٣
« بالأنعام في عدم الهداية ٩٥
« بالأنعام في شدة انهماكها في الأكل..... ٩٧

ـ الفصل الثالث: تشبيه الإنسان بالإنسان..... (٩٩ـ ١٢٩)
ـ تشبيه الإنسان بالمؤمنين..... (١٠١ـ ١٠٨)
التشبيه بحب المؤمنين لله..... ١٠١
« بأبي البشر عليه السلام..... ١٠٢
« بصاحب الحوت عليه السلام ١٠٤
« بامرأة فرعون ومريم ابنته عمران..... ١٠٦

ـ تشبيه الإنسان بالكافرين..... (١٠٩ـ ١١٩)
التشبيه بفرعون وملئه ١٠٩
« بامرأة نوح وامرأة لوط ١١٠
« بالأقوام الكافرة لبعض الأنبياء ١١٣
« بالذي يتبع هواه من أهل مكة ١١٥
« بالكفار الفجار ١١٦
« بالكفار اليائسين ١١٨

ـ تشبيه الإنسان بالمنافقين ..... (١٢٠ـ ١٢٣)
التشبيه بأقوال المنافقين ١٢٠
« بالمستهزئ بآيات الله ١٢٢

- تشبيه الإنسان بأنماط أخرى ..... (١٢٤ - ١٢٩)
التشبيه بباسط كفيه إلى الماء ١٢٤
« بآكل لحم أخيه ميتا ١٢٥
- الخاتمة ..... (١٣٠ - ١٣١)
- فهرس الآيات عن صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية ..... (١٣٢ - ١٥١)
- ملخص الرسالة بالعربية ١٥٢
- ملخص الرسالة بالإنجليزية ١٥٣
- ثبت المصادر والمراجع ..... (١٥٤ - ١٦٩)

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وفضله على سائر الحيوان ، بنعمتي العقل والبيان ، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان ، سيدنا محمد الموصوف بالصفات الحسان ، الهادي إلى طريق الخير والإحسان ، وعلى آله وصحبه الذين عملوا بسنته وتمسكوا بالقرآن ، ففازوا بالرضوان والغفران .

وبعد ، فإن هذا البحث يتناول صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية ، لمحاولة الوقوف عند أحد المحاور الأساسية في التشبيه القرآني ، ومحاولة استيضاح أسرار الإعجاز البياني للقرآن من خلال هذا المفهوم البلاغي، الذي يعد من أبرز عناصر البيان العربي ، كما أنه يعد من أكثر الأشكال البلاغية قربا وحبا للعربي في حياته اليومية .

إن الإنسان والقرآن محورا الحياة ، وأساسا الوجود في المنظور الإسلامي ، وقد ذُكرت في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتناول الحياة الإنسانية بشكل عام ، مما يستدعي دراستها ، بعد أن يتم استقصاؤها للتعرف على الكيفية التي جاء فيها النص القرآني من حيث التركيب والمحتوى .

وتقوم هذه الرسالة بدراسة فن التشبيه المستخدم في تشبيه الإنسان في القرآن الكريم وأنواعه المختلفة .

ومما دفع الباحث إلى اختيار هذا البحث أنه لم يقع على دراسة فنية وافية للإنسان في القرآن الكريم تقوم على أسس بلاغية.

بيد أنه لا يستطيع أن يقول: إن هذا الموضوع من الموضوعات التي لم يسبق إليها أحد ، ولكن الباحث يعتقد أن الدراسات حول هذا الموضوع تكاد تكون قليلة ، وخصوصا فيما يتعلق بالبنية الفنية لتشبيه الإنسان في القرآن الكريم ، غير أن بعض هذه الدراسات قد أنارت للباحث إضاءات في كتابته هذا البحث ، ومن القدماء الذين درسوا فن التشبيه في القرآن الكريم كان ابن ناقيا في كتابه (الجمان في تشبيهات القرآن) ، الذي انتقى بعض التشبيهات في القرآن الكريم .

أما من المحدثين ، فهناك دراسة عبد الفتاح لاشين في كتابه (البيان في ضوء أساليب القرآن) حيث تناول فيه علم البيان بشكل عام ، وأورد فيه أمثلة عامة، وكذلك دراسة أحمد أحمد بدوي (من بلاغة القرآن) ودراسة محمد علي أبو حمدة في كتابه (من أساليب البيان في القرآن الكريم) حيث درس بعض الأساليب القرآنية، ومنها: التشبيه، ولكن دراسته لم تكن مفصلة، كما أن هناك دراسة للباحثة واجدة الأطرقجي (التشبيهات القرآنية والبيئة العربية) التي ركّزت جهدها كلّه على ربط التشبيهات القرآنية بالبيئة العربية ودور هذه البيئة في رفد التشبيه القرآني، ولم تتناول تشبيه الإنسان بشكل مستقل .

ولابد من التأكيد أن هذه الدراسة ، قد أفادت من الدراسات السالفة الذكر، وأشارت إلى جوانب القصور في بعضها ، وقد اقتصرت على بحث صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية بشكل مستقل وشامل .

أما المنهج الذي سلكه الباحث في تناول مادة هذا البحث الذي يعول على الجمع والتحليل لمادة تشبيه الإنسان في القرآن الكريم فهو المنهج الوصفي والتحليلي ، لأن الباحث قام بجمع المادة التاريخية عن موقف اللغويين والنحاة والأدباء والنقاد والمتكلمين والإعجازيين والبلاغيين من التشبيه ، كما قام الباحث باستقصاء جميع الآيات التي تناولت تشبيهات الإنسان في القرآن الكريم وتحليلها، وتصنيفها وفق معايير خاصة ، ثم النظر في الوظيفة الفنية التي أداها التشبيه في النص القرآني ، كما قام البحث بتفسير أنماط تشبيه الإنسان في القرآن الكريم لمعرفة مجيء بعضها أكثر من بعض، وتفسير ورود علاقة تشبيه الإنسان بالطبيعة والحيوان والإنسان ، وإعطاء أحكام على تلك المعايير .

ولقد واجه الباحث في مراحل بحثه العديد من الصعوبات، منها : صعوبة التمييز بين الحقيقة والمجاز ـ أحيانا ـ في كتاب الله الكريم، لاسيما في النماذج التي حُذفت منها أداة التشبيه؛ لاجتماع المجاز مع الحقيقة فيها .

ومنها : صعوبة توفيق أو ترجيح بعض آراء المفسرين المختلفة ـ أحيانا ـ في توجيهاتهم لهذه التشبيهات .

وأما تقسيم الرسالة فقد جاء في : تمهيد وبابين، وخاتمة، فالتمهيد يتناول التشبيه في عصر ما قبل التدوين ، حيث يثبت الباحث فيه اهتمام العرب

بأسلوب التشبيه في حديثهم ، بل إنهم كانوا يتفاضلون في أشعارهم به. ثم في الباب الأول تطرق إلى جهود العلماء ـ من عصر التدوين إلى عصر الإمام عبد القاهر الجرجاني ـ في التشبيه ، ويقسم هذا إلى ثلاثة فصول، الأول منها ، يتحدث عن مفهوم التشبيه عند اللغويين والنحاة، والفصل الثاني يتحدث عن مفهوم التشبيه عند الأدباء والنقاد، وأما الفصل الثالث فيتحدث عن مفهوم التشبيه عند المتكلمين والإعجازيين والبلاغيين ، ويؤكد الباحث في هذا الباب أصالة أسلوب التشبيه عند العرب ، وأنه ليس دخيلا عليهم كما زعم الزاعمون .

أما الباب الثاني فيقع في ثلاثة فصول ، تناول الباحث في الفصل الأول تشبيه الإنسان بالطبيعة ، ويقسم إلى ثلاثة أقسام ذاكراً أكثر هذه الأقسام ورودا مقارنة مع القسمين الآخرين في كتاب الله عز وجل، ومبدياً سبب ذلك، الأول منها : تشبيه الإنسان بالطبيعة الجوية ، حيث يتطرق فيه إلى أن القرآن الكريم استخدم المشبه به وهو الظاهرة الجوية التي لم يألفها العرب بل ولم يعلمه الناس في ذلك الوقت ، مشيرا إلى أن هذه الظاهرة هي أحد الأدلة على إعجاز القرآن الكريم ، وكذلك يتحدث عن التشبيه بالذي لا يستقر في الهواء . وفي الثاني : يتحدث عن تشبيه الإنسان بالطبيعة البرية ، كتشبيه اليهود بالحجارة ويبين سبب تشبيههم اللهُ بها، من كونهم معاندين لا يقبلون ما أنزله الله تعالى من أمره ونهيه حتى بعد أن شاهدوا آيات الله البينات ، ويتحدث عن تشبيه إنفاق الإنسان رياءً بصفوان عليه تراب ، وتشبيه إنفاق المؤمن في سبيل الله بحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، وتشبيه الرسول (ﷺ) مع أصحابه الكرام بالزرع الذي يخرج شطأه في تحولهم ونموهم من القلة إلى الكثرة والقوة ، ويبين حكم من يبغض الصحابة الكرام بهذه الآية الكريمة . . وأيضا عن تشبيه المنافق بالخشب المسندة ، وأما القسم الثالث فهو تشبيه الإنسان بالطبيعة البحرية ، كتشبيه أعمال الكفار بظلمات البحر ، وتشبيه حور العين بالياقوت والمرجان في حمرة الوجه وفي بياض البشرة وصفائها ، وتشبيه خدم أهل الجنة باللؤلؤ والمرجان في سرعة خدمتهم وحسن منظرهم .

أما الفصل الثاني فيتحدث عن تشبيه الإنسان بالحيوان ، ويقسم إلى ثلاثة أقسام ، ويذكر بأنه أقل التشبيهات ورودا في صورة الإنسان ويعلل سبب

ذلك بعدم ارتباطه بالعقيدة ـ في الأغلب ـ التي هي من الغايات الأساسية في القرآن الكريم ، وإنما ورد أكثرها لغرض الذم في عدم استعمال الإنسان عقله الذي ميزه الله به عن الحيوان ، وأول هذه الأقسام هو تشبيه الإنسان بالطيور ، حيث لم يرد تشبيه الإنسان بالطير إلا مرة واحدة وهو التشبيه بالغراب ، وقد حاول الباحث توضيح ذلك ، وثانيها : تشبيه الإنسان بالحشرات ، وهو تشبيه الإنسان بالعنكبوت وبالفراش وبالجراد ، ومحاولة بيان سبب استعمال القرآن لها ، وأما ثالثها فهو تشبيه الإنسان بالحيوانات الأليفة ، حيث شبه الله تعالى الإنسان الذي أعطاه مزية من فضله ولكنه لايرضاها ويسير وراء هواه طمعا منه في الحصول على ملذات الدنيا الفانية بالكلب الذي يلهث دائما ، وشبه القرآن الكريم علماء اليهود في عدم انتفاعهم بالتوراة مع أنهم يحفظونها بالحمار الذي يحمل أسفارا دون أن ينتفع بما حُمّل من أوعية العلم والمعرفة ، ويتحدث عن تشبيه الناس بالحمر المستنفرة وتشبيه صوت الإنسان بصوت الحمير ، وفيه علم الله تعالى الإنسان الأدب في ترك الصياح فيما لا فائدة منه ، وفي آخر الفصل الثاني ، حديث عن تشبيه الناس بالأنعام ، بل هؤلاء أضل منها سبيلاً لعدم استعمالهم عقولهم التي ميزهم الله تعالى بها عن الحيوان .

وأما الفصل الثالث فيتحدث عن تشبيه الإنسان بالإنسان ، ويقسم إلى أربعة أقسام ، ويذكر بأنه أكثر التشبيهات استخداما في صورة الإنسان مع بيان سبب ذلك ، فأول هذه الأقسام هو تشبيه الإنسان بالمؤمنين ، كتشبيه حب الكفار لآلهتهم بحب المؤمنين لله ، وتشبيه عيسى بآدم عليهما السلام في كونهما خُلقا من غير أب ، ويتحدث عن منع تشبيه نبينا محمد (ﷺ) بالنبي يونس عليه السلام في عدم الصبر ، وتشبيه المؤمنين بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران ، وثانيها : يتناول تشبيه الإنسان بالكافرين ، كتشبيه موسى وأخيه هارون بفرعون وملئه ، وتشبيه الذين كفروا بامرأة نوح وامرأة لوط ، وتشبيه قوم شعيب عليه السلام بقوم نوح وهود وصالح ولوط ، ويتحدث عن منع تشبيه المؤمنين بالكفار الفجار ، وتشبيه المؤمنين بالكفار اليائسين ، وثالثها : يتناول تشبيه الإنسان بالمنافقين ، كمنع تشبيه المؤمنين بالمنافقين في أفعالهم وأقوالهم ، وفي استهزائهم بكتاب الله تعالى ، وفي القسم الأخير حديث عن تشبيه الإنسان بأنماط

أخرى ، كتشبيه الكفار في عبادتهم بباسط كفيه إلى الماء ، وتشبيه الظانّ بأخيه السوء بآكل لحم أخيه ميتا . . .

وأنهى الباحث دراسته بخاتمة بيّن فيها ما توصل إليه البحث من نتائج ، وتلاها فهرس للآيات التي وردت فيها صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية ، مع بيان مكان نزول كل آية منها مستخدما رمزي " م " و" ك" ليدل الأول على السور المدنية ، والثاني على السور المكية، ثم ملخص للرسالة باللغتين : العربية والإنجليزية ، وفي نهاية هذا العمل ثبّت الباحث ثبتا بالمصادر والمراجع التي اعتمدها في بحثه .

وبعد ، فإن الباحث لا يدّعي الكمال في بحثه؛ لأن الكمال لله وحده ، ولا يسعه في هذا المقام إلا أن يقدم جزيل الشكر إلى كل من قدّم له يد العون والمساعدة في إنجاز هذه الرسالة من قريب أو من بعيد، منذ بداية كتابة الرسالة إلى نهايتها ، ويخص أستاذه الجليل الدكتور زهير أحمد المنصور بالشكر والعرفان الذي أحاط هذه الرسالة بعنايته ورعايته ، ولم يتوان لحظة واحدة في إبداء ملاحظاته القيمة وهو حقيق بهذا الشكر والتقدير .

ولا يفوت الباحث أن يشكر عضوي لجنة المناقشة : الدكتور موسى سامح ربابعة، الأستاذ بكلية الآداب بجامعة اليرموك ، الذي استأنس الباحث بآرائه السديدة في إعداد خطة هذه الرسالة ، وكذلك الدكتور محمد المجالي ، الذي يعتز الباحث بالتلمذة على يديه ، وعلى قبولهما وحرصهما لمناقشة هذه الرسالة ، والباحث على ثقة تامة بأنه سيفيد كثيرا من ملاحظاتهما أثناء المناقشة .

وكما يتوجه الباحث إلى أساتذته في قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة مؤتة بوافر الشكر وعميق الامتنان ؛ لاهتمامهم به ، وسعة صدورهم طوال دراسته على يديهم .

والله أسأل أن يشملهم وإياي بالتوفيق والسداد ، وأن يتقبل مني هذا العمل لوجهه الكريم ، وأن يجعلني خادما لهذه اللغة التي شرفها الله تعالى بأن جعلها لغة القرآن الكريم ، والحمد لله رب العالمين .

التمهـــيد

التشبيه قبل عصر التدوين

عرف العرب النقد الأدبي منذ العصر الجاهلي، وإن كان هذا النقد في بداياته غير مبني على أسس علمية وقواعد واضحة كما عند المتأخرين ، فكان أول ما ظهر عند الشعراء على شكل ملحوظات انطباعية لا تعتمد على التحليل والتعليل، حيث كانوا يجتمعون في مجالسهم الخاصة ، وأسواقهم الأدبية ، مثل سوق « عكاظ » الذي يباع فيها ويشترى ويأتي الناس إليها من كل مكان ، وكانت تضرب فيها للنابغة الذبياني قبة حمراء من جلد فيأتيه الشعراء وينشدون أمامه ليحكم بينهم [١].

أمّا ما قيل عن فن التشبيه في ذلك الوقت فمنه ما رواه الأصفهاني وهو :

" أن نابغة بني ذبيان كان تضرب له قبة من أدَم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء ؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها:

قَذًى بِعَينِك أمْ بِالْعَيْنِ عُوَّارُ

حتى انتهت إلى قولها :

وإنّ صَخْرًا لَتَأتَمُّ الْهُدَاةُ بِه ... كأنّه علَمٌ في رَأسِـــه نَـارُ

وإنّ صَخْرا لَمَوْلَانَا وسَيِّدُنا ... وإنّ صخْرًا إذا نَشْتُو لنَحّارُ

فقال : لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت : إنك أشعر الناس " [٢].

فقد مدح النابغة الخنساء لقوة قصيدتها حينما صورت ممدوحها تصويرا دقيقا لاستعمالها أسلوب التشبيه ، وهذا الحكم صدر من النابغة عن طبع وذوق فطريين ، ولم يذكر أكثر من ذلك .

---

(١) ينظر : طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٥ : ١٨

(٢) الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني ، تحقيق: لجنة من الأدباء ، الدار التونسية للنشر – تونس ، د . ط ، ١٩٨٣ ، ٩ : ٣٢٣ – ٣٢٤

ومن ذلك ماروواه حسان بن ثابت من أن النابغة قد مدح النعمان بن المنذر "فأنشده كلمته التي يقول فيها :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فدفع إليه مائة ناقة من الإبل السود ، فيها رِعاؤها ، فما حسدتُ أحدا حسدي النابغة ، لِما رأيت من جزيل عطيته ، وسمعت من فضل شعره" (١).

لقد فضله حسّان لحسن تصويره في الشعر، بيد أنه لم يعلل سبب إعجابه "فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفا" (٢)، مما يدل على" أن الحديث في صناعة البيان قد بدئ في عهد الجاهلية ، وليس في قوانين النظر ولا في سنن نشء العلوم ما يقضي بامتناعه" (٣).

وفي عصر صدر الإسلام كان موقف الرسول (ﷺ) إيجابيا تجاه الشعر الذي لايتعارض مع العقيدة الإسلامية والأخلاق الكريمة ، فلقد استمع إلى قصيدة كعب بن زهير التي كثرت فيها الصور التشبيهية الحسنة :

"بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُجز مَكْبُولُ

. . .

فلما بلغ قوله :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَصَارِمٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا : زُولُوا

زَالُوا ، فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلا كُشُفٌ يَوْمَ اللِّقَاءِ وَلا سُودٌ مَعَازِيلُ

فنظر رسول الله (ﷺ) إلى من عنده من قريش ، كأنه يومي إليهم أن يسمعوا ، حتى قال :

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الْبُهْمِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ

يعرّض بالأنصار، لغلظتهم كانت عليه، فأنكرتْ قريش عليه وقالوا : لم تمدحْنا إذ

---

(١) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم : الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار المعارف ــ القاهرة ، د . ط ، د . ت ، ١ : ١٦٤ – ١٦٥

(٢) طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري : ٢٣

(٣) محمد الخضر حسين : الخيال في الشعر العربي دراسات أدبية ، جمعه وحققه : على الرضا التونسي ، د . م ، ط (٢)، ١٩٧٢ : ١٧٢

هجوتَهم ، فقال :

مَنْ سَرَّهُ شَرَفُ الْحَياةِ فَلا يَزَلْ ... في مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الأنْصارِ
اَلْبَاذِلينَ نُفوسَهم لِنَبِيِّهِمْ ... يَوْمَ الْهِيَاجِ وسَطْوةِ الْجَبّارِ
يَتَطَهَّرُونَ ، كأنّه نُسُكٌ لَهُمْ ... بِدِماءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفّارِ

فكساه النبي (ﷺ) بردة ... "[1]

وكان أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ذا بصر في الشعر عندما سأل وفد غطفان : " فأي شعرائكم الذي يقول :

فإنّكَ كاللَّيْلِ الّذي هُو مُدْرِكي ... وإنْ خِلتُ أنّ الْمُنْتَأَى عَنْك وَاسِعُ

ويروى « وازع » ، قالوا : النابغة ، قال : هذا أشعر شعرائكم " [2].

ولروعة أسلوب التشبيه في الأبيات الشعرية التي كانت تلقى في المجالس الأدبية ، كان الخلفاء والأمراء يتفاضلونه في مجالسهم لما فيه من تفاوت الصور التي يبرزها الشعراء في قصائدهم ، ولا عجب أن نجد "هذا يفضّل قولا وذاك يفضل آخر ، وهم يعقدون الموازنات بين هذه الأقوال" [3] و مما يتصل بهذا ما جاء في كتاب الموشح عن قصة المعركة النقدية بين الوليد بن عبد الملك، وأخيه مسلمة ، حول وصف طول الليل في شعر امرئ القيس، والنابغة أيهما أجود ، فحكّما الشعبي بينهما ، "فأنشده الوليد :

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ ... ولَيلٍ أقَاسِيهِ بَطيءِ الْكَواكِبِ
تَطاوَلَ حتّى قُلْتُ ليس بِمُنْقَضٍ ... ولَيْس الّذي يَرْعَى النّجُومَ بِآيِبِ
وَصَدْرٍ أراحَ اللَّيْلُ عازِبَ هَمِّه ... تَضَاعفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِن كلِّ جَانِبِ

وأنشده مسلمة قول امرئ القيس :

وَلَيلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أرْخى سُدولَهُ ... عَلَيَّ بِأنْواعِ الْهُمومِ لِيبْتَلِي
فَقلْتُ لَه لمّا تَمَطّى بِصُلْبِه ... وأرْدَفَ أعْجَازا ونَاءَ بِكَلْكَلِ
ألا أيُّها اللَّيْلُ الطَّوِيلُ ألا انْجَلِي ... بِصُبْحٍ ومَا الإصْبَاحُ فِيكَ بأمْثَلِ
فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كأنّ نُجومَه ... بِكُلِّ مَغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ١ : ١٥٤ ـ ١٥٦

(٢) المصدر نفسه ، ١ : ١٥٩

(٣) فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع ، دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان ، ط (١)١٩٨٧ : ١١٩

كـأنَّ الثُّرَيّا عُلِّقتْ في مُصَـامِها بأمْراسِ كتّانٍ إلى صُـمِّ جَـنْدَلِ

فضرب الوليد برجله طرَبا ، فقال الشعبي : بانت القضية " [1].

وهناك الكثير من الأمثلة الشعرية التي تشير وتؤكد أن العرب قد عرفوا التشبيه قبل عصر التدوين ، لا يتسع البحث لذكرها *.

* * *

(١) ينظر : المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى : "الموشح" مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ـ القاهرة ، د . ط ، ١٩٦٥ ، ٣٢ ـ ٣٣ وينظر : الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ـ القاهرة ، ط (٤) ، د . ت : ٦٢

* للاطّلاع على التشبيه عند القدماء ، ينظر :

ـ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، كتاب الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ، ط (٢) ، د . ت ، ١ : ٢٧٢ ـ ٢٧٧ ، و ٣ : ٥٢ ـ ٥٣ ، و ٤ : ١٦٦ ـ ١٦٨ ، ٢٤٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ـ ٣٥٧ ، ٣٦٦ ـ ٣٦٨ ، و ٦ : ١٨٠ ـ ١٨١ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٩٥ .

ـ أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، د . ط ، ١٩٨٦ ، ٢ : ١٦٦ ـ ٢١٨

ـ عبد الفتاح لاشين ، البيان في ضوء أساليب القرآن ، دار المعارف ـ القاهرة ، ط (٣) ، ١٩٩٢ : ٢٣ ـ ٣٦

الباب الأول :

التشبيه من عصر التدوين إلى عصر الإمام عبد القاهر الجرجاني

- مفهومه عند اللغويين والنحاة
- مفهومه عند الأدباء والنقاد
- مفهومه عند المتكلمين والإعجازيين والبلاغيين

التشبيه من عصر التدوين إلى عصر الإمام عبد القاهر الجرجاني

التشبيه في اللغة : التمثيل ، الشبْه والشبَه والشبيه : المثل ، وأشبه الشيءُ الشيءَ : ماثله ، واشتبه عليّ وتشابه الشيئان واشتبها : أشبه كل واحد منهما صاحبه [١] . وفي الاصطلاح قد وردت تعريفات كثيرة ، أبرزها وأشهرها هي : " مشاركة أمر لآخر في معنى " [٢] أي إلحاق المشبه بالمشبه به في صفة مشتركة ، وهي وجه الشبه بأداة التشبيه مذكورة أو محذوفة .

وتسهيلا لفهم التشبيه عند المؤلفين من بداية ظهوره في مؤلفاتهم حتى أصبح فنا مستقلا من فنون البلاغة ، ولمعرفة حقيقة التشبيه هل هو فن دخيل من الفلاسفة اليونانيين أم هو فن أصيل عند علماء العرب المسلمين ؟ فقد قسم الباب إلى ثلاثة فصول :

أولها : مفهوم التشبيه عند اللغويين والنحاة .

وثانيها : مفهوم التشبيه عند الأدباء والنقاد .

وأما ثالثها : فمفهوم التشبيه عند المتكلمين والإعجازيين والبلاغيين .

---

(١) ينظر : ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر ـ بيروت ، ط (٣) ، ١٩٩٤ ، مادة : شبه ، ١٣ : ٥٠٣

(٢) الخطيب القزويني ، جمال الدين محمد بن عبد الرحمن ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ـ بيروت ، ط (٣) ، ١٩٩٣ ، ٤ : ١٦

الفصل الأول

مفهوم التشبيه عند اللغويين والنحاة

كان اللغويون والنحويون أول من اهتم بأساليب اللغة العربية ولا سيما أسلوب التشبيه ؛ لأنهم رأوا العرب كانوا يحبون استخدام هذا الأسلوب ، فكان قريبا إلى نفوسهم ، " حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يُبعد" [١] وتجدر الإشارة هنا إلى " أن اللغويين في القرون الأولى لم يكونوا منفصلين عن النحاة، بل كانوا يمتزجون في معظم الأحوال حتى لا نكاد أن نرى فرقا بين هاتين الطائفتين " [٢] ، وسيكون أسلوب التشبيه أحد الأساليب في استشهادهم " وكان طبيعيا ـ من الناحية اللغوية ـ أن يلتفت إليه اللغويون والنحويون ، حيث إن وسائله الموصلة إليه لغوية" [٣] ويظهر ذلك بدراسة شيء ما فيه، أو بتوضيحه، أو بإصدار حكم عليه ، ذلك بما يلي :

أ ـ التشبيه عند الخليل (ت / ١٧٥ هـ) وسيبويه (ت / ١٨٠ هـ)

لعل الخليل هو أول من ذكر أداة التشبيه « كأن » ـ كما جاء ذلك في كتاب سيبويه ـ وأنه أول مَن فرق بينها، وبين « الكاف » ، خلافا لمن قال : إن الجاحظ هو أول من تنبه إليها [٤] .

يقول سيبويه" وسألت الخليل عن « كأن » فزعم أنها « إنّ » ، لحقتها الكاف للتشبيه ، ولكنها صارت مع إنَّ بمنزلة كلمة واحدة " [٥].

---

(١) المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد : الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٦ ، ٢ : ٩٩٦

(٢) عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار نهضة مصر – القاهرة ، د . ط ، د . ت ، : ٢٣

(٣) أحمد سعد محمد سعد ، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في الدرس البلاغي، رسالة ماجستير من جامعة عين شمس ، ١٩٩٠ : ١٧٠ .

(٤) ينظر : أحمد مطلوب : البلاغة عند السكاكي ، دار التضامن – بغداد ، ط (١) ، ١٩٦٤ : ٣١٠

(٥) سيبويه ، أبو عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، دار الجيل – بيروت ، ط (١) ١٩٩١ ، ٣ : ١٥١

فهذه الملاحظة الدقيقة من الخليل بمنزلة النواة الأولى لمن أتى بعده ؛ الذين يبحثون التشبيه عامة، والتفريق بين أدواته خاصة .

ولسيبويه في كتابه نظرات صائبة، ولمحات خاطفة في التشبيه [١]، ومن تلك النظرات نقده لأستاذه الخليل" ، وتلك جرأة لا تحمد إلا في الحق، والبحث العلمي" [٢] حيث قال "وزعم الخليل أنه يجوز له صوتٌ صوتُ الحمار على الصفة لأنه تشبيه ، فمن ثم جاز أن توصف النكرة به . وزعم الخليل ـ رحمه الله ـ أنه يجوز أن يقول الرجل : هذا رجل أخو زيد ، إذا أردت أن تشبّهه بأخي زيد . وهذا قبيح ضعيف لا يجوز إلا في موضع الاضطرار ، ولو جاز هذا لقلت : هذا قصير الطويل ، تريد مثل الطويل . فلم يجز هذا" [٣].

وتحدث سيبويه عن صورة من صورما سماه البلاغيون بعده بالتشبيه المؤكد أو التشبيه البليغ [٤] ، في تعليقه على قول الشاعر* :

وأنتَ مكانُك مِن وَائلٍ مكانُ القِرادِ مِن استِ الجَمَلْ

" وإنما حسن الرفع ههنا ؛ لأنه جعل الآخر هو الأول ، كقولك : له رأس رأس الحمار، ولو جعل الآخر ظرفا جاز ، ولكن الشاعر أراد أن يشبه مكانه بذلك المكان" [٥] .

وفرق سيبويه بين التشبيه الصريح، والتشبيه البليغ في قوله :" . . . كما تقول : مررت برجل أسد أبوه ، إذا كنت تريد أن تجعله شديدا ، ومررت برجل مثل الأسد أبوه ، إذا كنت تشبهه" [٦]، أما حديثه عن أدوات التشبيه فهو يتحدث في أبواب

---

(١) ينظر : علي النجدي ناصف : سيبويه إمام النحاة ، المطبعة العثمانية ـ القاهرة ، ط (٢) ، د . ت : ١٩٤

(٢) عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي : ٦٣

(٣) سيبويه ، الكتاب ، ١ : ٣٦١

(٤) ينظر : أحمد سعد محمد سعد : الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في الدرس البلاغي : ١٧٥

* وهو الأخطل ، ينظر : البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ـ القاهرة ، د . ط ، د . ت ، ١ : ٤٦٠ ، و ٢ : ٥٠

(٥) سيبويه ، الكتاب ، ١ : ٤١٧

(٦) المصدر نفسه ، ٢ : ٢٨ – ٢٩

متفرقة من كتابه [١].

فهذا الحديث الذي أورده سيبويه عما أخذه عن أستاذه الخليل ، وكذلك نظراته السديدة فيه ، من ذكره لبعض أنواع التشبيه ، وإن لم يذكرها بأسمائها كما عند البلاغيين ، فإنها تلفت نظر من جاء بعده الذين تطرقوا إلى مسائل التشبيه .

ولهذا ذهب الباحث إلى جانب من قال بأن سيبويه هو أول من ذكر التشبيه ، وبذلك فإنه يعد أول مؤسس لهذا الفن البلاغي [٢] ، خلافا لمن قال: إن الفراء هو مؤسسه [٣]، أوْلِمنْ ذهب إلى أن بشر بن المعتمر [٤] أو الجاحظ هو واضعه [٥] أو من قال بأن أرسطو هو معلمه الأول للمسلمين [٦].

---

(١) ينظر : سيبويه ، الكتاب ، ١ : ٤٠٨، ٤٢١ ، ٤ : ٢١٧

(٢) ينظر : أحمد مصطفى المراغي ، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، ط (١) ، ١٩٥٠ : ٥٨ و ينظر : على النجدي ناصف ، سيبويه إمام النحاة : ١٩٧ وينظر : عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ٦٢ و ينظر : أحمد سعد محمد سعد، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في الدرس البلاغي : ١٧٦

(٣) ينظر : أحمد مكي الأنصاري ، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – القاهرة ، د . ط ، ١٩٦٤ : ٣١٢ وينظر : محمد زغلول سلام ، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري ، دار المعارف – مصر ، ط (٢) ، ١٩٦١ : ٥٦

(٤) ينظر : أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط (١٠) ، د . ت : ٣ : ١٤٢

(٥) ينظر : شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف – القاهرة ، ط (٦) ، د . ت: ٥٧ – ٥٨

(٦) ينظر : طه حسين ، البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر (ضمن كتاب نقد النثر المنسوب إلى قدامة بن جعفر) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، د . ط ، ١٩٨٢ : ٣١

ب ـ التشبيه عند الفراء (ت / ٢٠٧ هـ)

تطرق الفراء إلى فن التشبيه من خلال حديثه عن الآيات القرآنية ، وقد أصاب الفراء في بعض توجيهاته القرآنية ، ولم يحالفه الصواب في بعضها الآخر ، وذلك عندما يعلق على قوله تعالى : ﴿ فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾[١] " فشبه الظلمات بكفرهم، والبرق إذا أضاء لهم فمشوا فيه بإيمانهم" [٢] فكان ينبغي له أن يقول : بأن الله شبه كفرهم بالظلمات ، وشبه إيمانهم بالبرق إذا أضاء لهم فمشوا فيه ، ولعل هذا الخطأ " ناشئ من عمل النساخ " [٣] ، ومع هذا فللفراء توجيه دقيق في التشبيه عندما فرق بين تشبيه الفعل والأعيان ، حينما اشترط في تشبيه الأعيان التناسب في العدد ، وأما في تشبيه الفعل فلا يشترط هذا ، عندما يعلق على قوله تعالى ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ﴾ [٤] قائلا :" فإنما ضرب المثل ـ والله أعلم ـ للفعل لا لأعيان الرجال ، وإنما هو مثل للنفاق ؛ فقال : مثلهم كمثل الذي استوقد نارا؛ ولم يقل : الذين استوقدوا ، . . ولو كان التشبيه للرجال لكان مجموعا ، كما قال : ﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾ [٥] أراد القيم والأجسام ، وقال:﴿ كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ [٦] فكان مجموعا إذا أراد تشبيه أعيان الرجال ؛ فاجْرِ الكلام على هذا ! " [٧]

وهذه الملاحظة الدقيقة الفريدة لم ترد في كتب البلاغة [٨]، ولكن كان لها أثرها في الفكر البلاغي فيما بعد .

٤٧٢٧١٥

(١) سورة البقرة : ١٩

(٢) الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ، معاني القرآن ، عالم الكتب – بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨٠ ، ١: ١٧

(٣) عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية ، عالم الكتب – بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٥ : ١٢٧

(٤) سورة البقرة : ١٧

(٥) سورة " المنافقون" : ٤

(٦) سورة الحاقة : ٧

(٧) الفراء ، معاني القرآن ، ١ : ١٥

(٨) ينظر : عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ١٥٤

جـ ـ التشبيه عند أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت / ٢١٠ هـ)

عندما تحدث أبو عبيدة عن التشبيه في بعض آيات القرآن ، كان مثل سيبويه، والفراء، كما جاء ذلك في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ [١] يقول : " كناية ، وتشبيه "[٢] ولكنه عند ما يعلق على ما جاء من تشبيهات العرب في كتابه النقائض بين جرير والفرزدق ، كان قد تحدث عن طرفي التشبيه، ووجه الشبه، مثال ذلك في تعليقه على قول الشاعر :

عَطَوْنَ بأَعْنَاقِ الظِّبَاءِ وأَشْرَقَتْ مَحَاجِرُهُنّ الغُرُّ بِالأَعْيُنِ النُّجْلِ

يقول : " وإنما يعني الظباء إذا تناولت بأفواهها الغصن إذا طالها فمدت أعناقها إليه ، شبه أعناق النساء بأعناق الظباء في تلك الحال "[٣] .

بهذا كان التشبيه عنده واضحا ، حيث إنه يعرف طرفي التشبيه، ووجه الشبه ، بل إنه في موضع آخر يشير إلى أثر القيود في طرفي التشبيه مما يكمل الصورة ويحقق طرفيها ، وذلك عندما يعلق على قول الشاعر :

يَمْشونَ في حَلَقِ الْحَدِيدِ كما مَشَتْ جَرْبُ الْجِمالِ بِها الكُحَيْلُ المشْعَلُ

قائلا : " شبه الرجال لِعِظَمهم، ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة* بالقَطران** " [٤] .

فإن تحليله لها يبين معرفته تأثير القيود في تطابق طرفي الصورة ، وهذا بلا شك قد أثر فيمن جاء بعده ، كما سيأتي ذكره .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٣

(٢) أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التيمي ، مجاز القرآن ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨١ ، ١ : ٧٣

(٣) أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التيمي ، " كتاب النقائض " نقائض جرير والفرزدق ، باعتناء المستشرق الانكليزي بيفان ، مطبعة بريل – ليدن ، د . ط ، ١٩٠٥ ، ١ : ١٣٦

* اسم المفعول من الهناء ، وهي ضرب من القَطران . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : هنأ ، ١ : ١٨٦

** هي : عصارة الأبهل والارز ونحوهما يطبخ فيُستحلب منه ثم تهنا به الإبل . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : قطر ، ٥ : ١٠٥

(٤) أبو عبيدة ، كتاب النقائض ، ١ : ١٨٣ – ١٨٤

بهذا ذهب الباحث مع الرأي القائل [١]، إن أبا عبيدة قد فهم التشبيه أكثر من فهم الفراء ؛ لأنه قد أشار إلى التشبيه المقيد ، في حين لم يشر الفراء إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد ، خلافا لما ورد في كتاب التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، من أن أبا عبيدة "لم يشر إلى التشبيه غير إشارات عابرة باعتباره مجازا دون أن يحلل ويفصل تفصيل الفراء" [٢]، ولعل الذي دفع إلى هذا القول، إن صاحبة الكتاب لم تطلع على كتاب النقائض لأبي عبيدة .

د ـ التشبيه عند ابن قتيبة (ت / ٢٧٦ هـ)

تطرق ابن قتيبة إلى موضوع التشبيه ؛ فالشبيه والمثل عنده بمعنى واحد ، كما في قوله :" المثل : بمعنى الشبه ، يقال هذا مثل الشيء ومثله ، كما يقال: شبه الشيء، وشبهه ، قال الله تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ﴾ [٣] أي شبه الذين كفروا شبه العنكبوت" [٤] .

و ورد حديثه عن التشبيه متفرقاً في مؤلفاته ، ومنه تعليقه على قوله تعالى : ﴿ إنها ترمى بشرر كالقصر * كأنه جمالة صفر ﴾ [٥] بقوله :" ووقع تشبيه الشرر بالقصر في مقاديره ، ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر وهي السود ، والعرب تسمي السود من الإبل صفرا" [٦] .

(١) ينظر : عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ١٥٣

(٢) واجدة مجيد الأطرقجي ، التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، دار الحرية – بغداد ، د.ط ، ١٩٧٨ : ٢٤

(٣) سورة العنكبوت : ٤١

(٤) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (٣) ، ١٩٨١ : ٤٩٦

(٥) سورة المرسلات : ٣٢ – ٣٣

(٦) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن : ٣٢٠

وكذلك تعليقه على الأبيات التي أورد ها في كتابه الشعر والشعراء[١]، ولم يفرد بابا خاصا للتشبيه، اللهم إلا عندما تحدث عن الشعر في كتابه (عيون الأخبار) فقد أفرد فصلا خاصا عن" حسن التشبيه في الشعر" [٢]، وحديثه عن التشبيه حديث اللغويين "دون أن يتطرق إلى الناحية الفنية" [٣].

هـ ـ التشبيه عند المبرد (ت / ٢٨٥ هـ)

يعد المبرد من أوائل البلاغيين الذين تحدثوا عن هذا الفن البلاغي ، وأفرد له بابا مستقلا في كتابه الكامل ، وبهذا استطاع المبرد أن يشكل بداية مرحلة جديدة في بحث التشبيه عند اللغويين والنحاة، " فنجده العالم الذي له الفضل على البلاغة العربية لهذا الباب الذي عقده في التشبيه" [٤].

وكان المبرد قد قسم التشبيه على أقسام متعددة ثم جمعها في أربعة فقط، حيث قال :" والعرب تشبه على أربعة أضرب : فتشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب ، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه ، وهو أخشن الكلام" [٥]. وهو لم يضع تعريفا لكل ما ذكره من الأقسام ، ولكن الشواهد التي وضعها لكل قسم ، كانت دليلا على مراده ، حيث مثل للتشبيه المفرط قائلا : "ومن التشبيه المفرط المتجاوز قول الخنساء :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِه كأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأْسِهِ نَارُ

فجعلت المهتدي يأتم به ، وجعلته كنار في رأس علم" [٦].

---

(١) ينظر : ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ١ : ١١٠، ١٢٨ ، ٢٣٠ وغيرها .

(٢) ينظر : ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، عيون الأخبار ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، د . ط ، د . ت ، ٢ : ١٨٧ – ١٩١

(٣) أحمد لزهري بلخضر ، التشبيه صوره وألفاظه دراسة تطبيقية في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير من جامعة باتنة ـ الجمهورية الجزائرية ، ١٩٩٢ : ١٤ .

(٤) عبد الفتاح لاشين ، البيان في ضوء أساليب القرآن : ٢٦

(٥) المبرد ، الكامل ، ٢ : ١٠٣٢

(٦) المصدر نفسه ، ٢ : ٩٤١

ويفهم من هذا أن المراد بالمفرط هو المبالغ فيه ، وهكذا فعل في غيره من الأقسام .

وقد استحسن المبرد صورة من صور التشبيه المتعدد ، وهو الذي جاء على شكل الاختصار ، والجمع ، والترتيب ، وهو تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين ، وهذا يوافق الطبع العربي الفطن ، ومن هذا النمط قول امرئ القيس :

كأنّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِي

حيث قال : " فهذا مفهوم المعنى ، فإن اعترض معترض فقال : فهلا فصّل فقال : كأنه رطبا العناب وكأنه يابسا الحشف ؟ قيل له : العربي الفصيح اللقن الفطن يرمى بالقول مفهوما ، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيّا ، قال الله ــ جل وعز ــ ، وله المثل الأعلى : ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ﴾ [١] علما بأن المخاطبين يعلمون وقت السكون ووقت الاكتساب "[٢].

ولعله أول من أطلق على مصطلح تشبيه الجمع " وهو ما تعدد فيه المشبه به " [٣]، عندما استحسن تشبيه قول بشار :

وكأنّ تحْتَ لِسَانِها هَارُوتَ يَنْفُثُ فيه سِحْرا
وتَخَالُ ما ضَمَّتْ علَيْـهِ ثِيابُهَا ذَهبًا وعِطْرا

قائلا " وهذا التشبيه الجامع "[٤].

والمبرد في حديثه أورد كثيرا من الشواهد ، وهذا العمل عون لمن جاء بعده ويريد أن يعرف طرائق العرب في كلامهم البياني ، وأنه مع هذا يعد أول من تحدث عن المقاييس الجمالية للتشبيه ، " ومقياسه على كل حال مقياس ذاتي يعتمد على الذوق "[٥]، ولذا جاء التعليل قليلا ، وفي هذا العصر المبكر لا ينتظر منه أكثر من ذلك.

---

(١) سورة القصص : ٧٣

(٢) المبرد ، الكامل ، ٢ : ٩٢٢ – ٩٢٣

(٣) السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ط (٦) ، د . ت : ٢١١

(٤) المبرد ، الكامل ، ٢ : ١٠٥٣

(٥) بدوي طبانة ، علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، دار الثقافة ــ بيروت ، د . ط ، ١٩٨١ : ٤٩

و ـ التشبيه عند ابن جني (ت / ٣٩٢ هـ)

انطلق ابن جني في حديثه عن التشبيه من منطلقات نحوية ، كما جاء ذلك في كلامه عن التشبيه المقلوب ، و قد حلل فيه كلام الشعراء تحليلا فنيا عندما تطرق إلى باب « من غلبة الفروع على الأصول » ، قائلا : " هذا فصل من فصول العربية طريف ، تجده في معاني العرب ، كما تجده في معاني الأعراب ، ولا تكاد تجد شيئا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة ، فمما جاء فيه ذلك للعرب قول ذي الرمة :

ورَمْلٍ كأوْرَاك الْعَذَارَى قَطعْتُه إذا أَلْبَسته المُظْلماتُ الحَنادِسُ

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعا والفرع أصلا ، وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء " [١].

في هذا البيت يصف ابن جني التشبيه المقلوب بأنه طريف ، وانه موجود في معاني العرب ، وهي نظرة دقيقة ، حيث ربط الأصول النحوية بما جاء عن العرب في التعبير عن المعاني ، " إذ لا يجد فيها شذوذا أو خرما لقاعدة ، وإنما هي تتمشى مع القواعد العربية التي وضحها النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه " [٢]، وكما أنه ذكر غرض التشبيه المقلوب بأنه يفيد المبالغة ، وهذا مفاده من العادة والعرف، حيث ينبغي أن يشبه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء ، ولكن الشاعر عكسه ، " فقلب ذو الرمة العادة والعرف في هذا ، فشبه كثبان الأنقاء بأعجاز النساء ، وهذا كأنه يخرج مخرج المبالغة ، أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لأعجاز النساء، وصار كأنه الأصل فيه ، حتى شبه به كثبان الأنقاء " [٣].

لقد كان تعليق ابن جني ـ وإن كا منطلقا من القواعد النحوية ـ تحليلا دقيقا في موضوع التشبيه ، قلّ أن تجده عند اللغويين والنحاة .

---

(١) ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ط (٣) ، ١٩٨٦ ، ١ : ٣٠١

(٢) عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ٢٢٦

(٣) ابن جني ، الخصائص ، ١ : ٣٠٢

ز ـ التشبيه عند ابن فارس (ت / ٣٩٥ هـ)

حديث ابن فارس عن التشبيه كان ضمن باب الخطاب المطلق والمقيد ، حيث تكلم فيه عن قيمة القيد، وأثره في دقة التشبيه ، في قوله : " أما الإطلاق فأن يذكر الشيء باسمه لا يقرن به صفة، ولا شرط، ولا زمان، ولا عدد، ولا شيء يشبه ذلك . والتقيد أن يذكر بقرين من بعض ما ذكرناه ، فيكون ذلك القرين زائدا في المعنى " [١].

وللتفريق بين الخطاب المطلق، والمقيد ذكر أمثلة لهما ، فمن المطلق" أن يقول القائل : (زيد ليث) ، فهذا إنما شبهه بليث في شجاعته"[٢]؛ لأن فيه صفة الشجاعة لا أكثر .

أما مثال التشبيه المقيد فقد مثل بقوله :" ((هو كالليث الحرِب)) فقد زاد «الحرِب » وهو الغضبان الذي حُرب فريسته ، أي : سلبها ، فإذا كان كذا كان أدهى له" [٣]؛ لأن الموصوف لا يكفي بأن يوصف بالشجاعة فقط ، وإنما مع هذه الصفة مقيد أيضا في حالة الغضبان الذي سلبت فريسته ، ولهذا كان أدهى وأشجع من الأول .

وهذا التفريق يعدّ من حسنات ابن فارس في هذا الفن[٤]، رغم أن أبا عبيدة قد تطرق إلى التشبيه المقيد قبله – كما سبق ذكره – ولكنه لم يفصل مثل تفصيل ابن فارس .

وبعدُ ، فهذا جهد اللغويين والنحاة في فن التشبيه ، حيث كانت لهم نظرات دقيقة في النقد أثناء حديثهم عن النحو واللغة ، ونقدهم هذا يعد في المحل الثاني .

***

---

(١) ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق : عمر فاروق الطباع ، مؤسسة أ . بدران للطباعةوالنشر – بيروت ، ط (١) ، ١٩٩٣ : ٢٠٠

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٠

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٠

(٤) ينظر : عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ٣٥٣

الفصل الثاني

مفهوم التشبيه عند الأدباء والنقاد

بعد أن وقفنا عند موقف اللغويين والنحاة من التشبيه ، وعلمنا أن مشاركتهم كانت بجهد لا ينكر عليهم في بناء قواعد فن التشبيه ، فإن للنقاد والأدباء نصيباً كبيراً في إرساء جماليات التشبيه ، " ومما هو جدير بالذكر أن النقاد من النحاة كان يغلب عليهم القياس النحوي ، . . . ولكن من الإنصاف أيضا أن نقول : إن نقدهم لم يكن ينصب على هذا الجانب وحده ، بل شمل معه عنصر الجمال "[١] وكان أثرهم في فن التشبيه لا يقل شأنا عن اللغويين والنحاة ؛ لأن النقد والبلاغة كانا متلازمين لم يفصل بينهما حتى القرن الخامس الهجري [٢] ، كما أن للنقاد أثرا بارزا في التأصيل لكثير من قوانين البلاغة ، وسيعرض البحث بالإيجاز لهذا الجهد .

أ ـ التشبيه عند ابن المعتز (ت / ٢٩٩ هـ)

لم يذكر ابن المعتز التشبيه بين ألوان البديع التي درسها في كتابه البديع، ولكنه ذكر التشبيه في حديثه عن محاسن الشعر والكلام ، حيث ذكر بأنه لا فرق بين المتقدمين والمتأخرين في استخدامهم إياه ، وإن كان بينهما فرق من ناحية الموضوعات ؛ بسبب تأثير البيئة، والحياة الاجتماعية التي عاشها كل شاعر في عصره .

وقد كان ابن المعتز يكثر من ذكر التشبيه باختياراته لشواهده ، ويكتفي بإطلاق الأحكام العامة ، كقوله : ومنها حسن التشبيه، ومثل لهذا ببيت امرئ القيس :

كأنَّ قُلوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ والحَشَفُ البَالِي

وكقوله : ومما يستحسن من التشبيه . . . ومن عجائب التشبيه . . . وهكذا [٣].

---

(١) عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ٤١

(٢) ينظر : أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ، ط (٨) ، د . ت : ٥١

(٣) ينظر : ابن المعتز ، أبو العباس عبد الله : كتاب البديع ، اعتنى بنشره وتعليق مقدمته : اغناطيوس كراتشقوفسكي منشورات دار الحكمة – دمشق ، د . ط ، د . ت : ٦٨ – ٧٧

ويميل الباحث إلى أن ابن المعتز قد تأثر بأستاذه المبرد ، حيث إنه قد ذكر هذه الأقسام المتنوعة في كتابه الكامل كما ذكر من قبل .

وهذه الاختيارات لها أثر بارز في شواهد البلاغيين عند دراستهم البلاغة لاسيما في هذا الفن .

ب ـ التشبيه عند ابن طباطبا (ت / ٣٢٢ هـ)

لقد استطاع ابن طباطبا أن يضع معيارا دقيقا لمن يريد أن يدرس ما خلفه الأدب العربي من صور التشبيه ويتذوقه، وذلك عند حديثه عن طريقة العرب في التشبيه ، وهو أنه يجب على الدارس ألا يتسرع في إصدار الحكم بالرفض أو بالقبول بناء على حكم مسبق ، إلا بعد أن يتعرف بدقة على طريقة كلام العرب وكيفية استعمالهم للتشبيه ، حيث قال : " فإذا اتفق لك في أشعار العرب التي يحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول ، أو حكاية تستغربها فابحث عنه ونقّر عن معناه ، فإنك لا تعدم أن تجد تحته خبيئة إذا أثرتها عرفت فضل القوم بها ، وعلمت أنهم أدق طبعا من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته ، وربما خفي عليك مذهبهم في سنن يستعملونها بينهم في حالات يصفونها في أشعارهم ، فلا يمكنك استنباط ماتحت حكاياتهم ، ولا تفهم مُثُلها إلا سماعا ، فإذا وقفت على ما أرادوه لطف موقع ما تسمعه من ذلك عند فهمك" [(١)]؛ لأن العرب قد أكثرت في إنشاء قصائدها من الأوصاف، والتشبيهات ما أحاطت به معرفتها، ومرت به تجاربها [(٢)].

كذلك تحدث ابن طباطبا عن أدوات التشبيه ، وفرق بين أدوات التشبيه الصادق، والأدوات التي تستعمل لقرب الصدق" فما كان من التشبيه صادقا قلت في وصفه : كأنه أو قلت ككذا ، وما قارب الصدق قلت فيه : تراه أو تخاله أو يكاد" [(٣)].

---

(١) ابن طباطبا ، محمد أحمد ، عيار الشعر ، شرح وتحقيق : عباس عبدالساتر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٢ : ١٧

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٦

(٣) المصدر نفسه : ٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مميزاته أنه قسم أنواع التشبيه ومثل لكل نوع بكلام العرب ، وبين العلاقة بين طرفي التشبيه في صوره المختلفة ، حيث قال :" والتشبيهات على ضروب مختلفة ، فمنها : تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به معنى ، ومنها تشبيهه به حركة ، وبطئا وسرعة ، ومنها تشبيهه به لونا ، ومنها تشبيهه به صوتا ، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض ، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان، أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف ، قوي التشبيهُ ، وتأكد الصدقُ فيه ، وحسن الشعر به للشواهد الكثيرة المؤيدة له" [١].

جـ ـ التشبيه عند قدامة بن جعفر (ت / ٣٢٦ هـ)

جعل قدامة التشبيه معنى" من المعاني الدال عليها الشعر" [٢] التي يكثر منها الشعراء، ويحومون حولها ، وقد تناول قدامة التشبيه على أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات ، وإنما يقع التشبيه بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ، ولكل منهما خصائص تنفرد عن الآخر" إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات ، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ، ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا ، فصار الاثنان واحدا ، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ، ويوصفان بها ، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها" [٣] ، وهذا الموضوع الذي تطرق إليه قد سبقه سيبويه ، إلا أن قدامة في ذلك يعتمد على حكم فني حيث قال : "فأحسن التشبيه هو ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من إفرادهما فيها ، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد" [٤].

---

(١) ابن طباطبا ، عيار الشعر : ٢٣

(٢) عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، قضية الإعجاز القرآني : ٣٠٢

(٣) قدامة بن جعفر ، أبو الفرج ، نقد الشعر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، ط (١) ، ١٩٧٨ : ١٢٤

(٤) المصدر نفسه : ١٢٤

واستشهد على ذلك بقول يزيد بن عوف العليم حينما ذكر صوت جرع رجل قرى اللبن :

فغب دِخالاً جرعُه متواترٌ كوقْع السَّحاب بالطِّرافِ الممدَّدِ

علق عليه بقوله :" إنما يشبه صوت الجرع بصوت المطر على الخباء الذي من أدم ، ومن جودته أنه لما كانت الأصوات تختلف ، وكان اختلافها إنما هو بحسب الأجسام التي تحدث الأصوات اصطكاكها ، . . . " [١].

ولعله أول من تطرق إلى التمثيل بشكل مستقل [٢] عن التشبيه بل أنه "أول من عدّ التمثيل مخالفا للتشبيه" [٣] وهو عنده :" أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر ، وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه ، ومثال ذلك قول الرماح بن ميادة :

ألَمْ تكُ في يُمْنَى يَدَيْكَ جَعلْتني فلا تجعلنّي بَعْدَ هَا في شِمَالِكا
ولَوْ أنَّني أذْنَبْتُ ما كنْتُ هَالِكا على خِصْلَةٍ مِنْ صالِحَات مهالِكا

فعدل أن يقول في البيت الأول ، إنه كان عنده مقدما فلا يؤخره ، أو مقربا فلا يبعده ، أو مجتبى فلا يجتنبه ، إلى أن قال : إنه كان في يمنى يديه ، فلا يجعله في اليسرى ذهابا نحو الأمر الذي قصد الإشارة إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له ، والإبداع في المقالة" [٤].

أما فَضْلُ ظهورِ فضلِ التمثيل، والفرق بينه وبين التشبيه بشكل واضح ، كان عند الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي سيأتي الحديث عنه فيما بعد .

د ـ التشبيه عند الآمدي (ت / ٣٧٠ هـ)

دارت على لسان الآمدي مصطلحات بلاغية منها التشبيه [٥] في كتابه الموازنة بشكل متفرق ، وله في التشبيه نظرات صائبة بتحليلات وتعليلات ، فكان

---

(١) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر : ١٢٤

(٢) ينظر : بدوي طبانة ، علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية : ٧٤

(٣) أحمد مطلوب ، البلاغة عند السكاكي : ٣١٢

(٤) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر : ١٥٩ – ١٦٠

(٥) ينظر : عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ٣٩

يحكم بما رأى وعرف من التقاليد العربية في الشعر وفي اللغة ، وكان في حكمه يعتمد على الموازنة .

ومثال ذلك ما ذكره في حديثه عن " ما قيل في ائتلاف المحبين" [١] عند ما علق على قول البحتري :

ولَمْ أنْسَ لَيْلَتَنَا في الْعِنا قِ لَفَّ الصَّبَا بِقَضِيبٍ قَضِيْبا

قائلا "وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يقولون : إن هذا البيت أجود ما قيل في العناق ؛ لأنه أصاب حقيقة التشبيه بأجود لفظ ، وأحسن نظم" .[٢] وكعادته أنه عندما يريد أن يحكم على البيت كان يوازنه ببيت آخر يشابهه قائلا :" ومثله قول آخر . . . :

وضَمٍّ لا يُنَهْنَهُ ، واعْتِنَاقٍ كما الْتَفَّ الْقَضِيبُ عَلَى الْقَضِيْبِ

وبيت البحتري أجود سبكا ، وأحلى لفظا ؛ لقوله : « لف الصبا » ؛ لأن القضيب إنما يلتف بالقضيب بالريح" [٣] وهو حينما فضل قول البحتري رأى بأن النظم عنده حسن ؛ لاستغنائه عن أداة التشبيه ، وهذا يدل على اتحاد الطرفين ، خلافا للبيت الثاني ، فإنه ذكرت فيه أداة التشبيه .

هكذا كانت ميزة الآمدي في نقده ، فإنه يحكم حكما دقيقا ، وليس عاما وكان في تحليله لما أورده من الأبيات يعتمد على الموازنة ، وعلى ذوقه ، وثقافته ، وخبرته بكلام العرب .

هـ ـ التشبيه عند القاضي الجرجاني (ت / ٣٩٢ هـ)

لم يتطرق القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة إلى موضوع التشبيه بشكل مستقل ، وإنما كان يتحدث عنه في ثناياه ، ومع هذا فله نظرات سديدة

---

(١) الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف – مصر ، ط (٢) ، ١٩٧٢ ، ٢ : ١٣٨

(٢) المصدر نفسه ، ٢ : ١٣٩

(٣) المصدر نفسه ، ٢ : ١٣٩ – ١٤٠

فيه ، مما تجعل دارسي البلاغة يلتفتون إليه ويستمدون منه بعض قضاياه ، وعلى رأسهم الإمام عبد القاهر الجرجاني .

والقاضي الجرجاني هو أول من فرق بين الاستعارة والتشبيه الذي يعد أصلها [١]، وكان عندما يتحدث عنه يقول : " ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل ؛ فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكر أنواعا من الاستعارة عدّ فيها قول أبي نواس :

وَالْحُبُّ ظَهْرٌ أنْتَ رَاكِبُه فإذَا صَرَفْتَ عِنَانَه انْصَرَفا

ولستُ أرى هذا وما أشبهه استعارة ، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر ، أو الحب كظهر تديره كيف شئت إذا ملكت عنانه ؛ فهو إما ضرب مثل أو تشبيه شيء بشيء ؛ وإنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها " [٢].

وقد استمد الإمام عبد القاهر من القاضي الجرجاني، عندما تحدث عن الفرق بين التشبيه والاستعارة [٣].

وتحدث القاضي الجرجاني عن كيفية وقوع التشبيه عند نقده خصوم المتنبي ، عندما علق على قوله :

بليتُ بِلَى الْأَطْلالِ إنْ لَمْ أَقِفْ بِها وُقُوفَ شَحِيْحٍ ضَاعَ في التُّرْبِ خَاتَمُهْ

حيث قال : " قالوا : أراد التناهي في إطالة الوقوف فبالغ في تقصيره وكم عسى هذا الشحيح بالغا ما بلغ من الشح ، وواقعا حيث وقع من البخل أن يقف على طلب خاتمه ، والخاتم أيضا ليس مما يخفى في الترب إذا طلب ، . . . أقول : إن التشبيه

---

(١) ينظر : عبده عبد العزيز قلقيلة ، النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني ، المطبعة الفنية الحديثة – القاهرة ، ط (١) ، ١٩٧٦ : ٣٨١ وينظر : فضل حسن عباس ، البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية ، دار النور للطباعة – بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٩ : ١٣٩

(٢) القاضي الجرجاني ، علي بن عبد العزيز ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار القلم ــ بيروت ، د . ط ، د . ت : ٤١

(٣) ينظر : الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن : أسرار البلاغة ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ــ القاهرة ، ط (١) ، ١٩٩١ : ٣٢١

والتمثيل قد يقع تارة بالصورة والصفة، وأخرى با لحال والطريقة ؛ فإذا قال الشاعر ـ وهو يريد إطالة وقوفه : إنى أقف وقوف شحيح ضاع خاتمه ، لم يرد التسوية بين الوقوفين في القدر، والزمان، والصورة ، وإنما يريد لأقفنّ وقوفا زائدا على القدر المعتاد خارجا عن حد الاعتدال ، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف في أمثاله ، وعلى ما جرت به العادة في أضرابه" [١].

يُعد القاضي الجرجاني أول من وضع نواة التشبيه البليغ ؛ لنظرته الدقيقة ، وتحليله الكافي ، وبيانه الشافي في إيضاح مراد الشاعر في استعماله التشبيه البليغ [٢]، لا جرم وانه قد أدى بالغ تأثير في من جاء بعده في حديثهم عن التشبيه ، رغم أن حديثه عن التشبيه كان عارضا، ولم يفرد له بابا مستقلا .

و ـ التشبيه عند أبي هلال العسكري (ت / ٣٩٥ هـ)

لقد أفرد أبو هلال العسكري في كتاب (الصناعتين) بابا خاصا للتشبيه، وقسمه إلى فصلين ، الفصل الأول : عن التشبيه الحسن ، و أما الثاني : فعن التشبيه القبيح .

وقد بدأت عنده بوادر " تحول النقد إلى البلاغة" [٣]، وقد تكلم عن أجود التشبيه الفني وأبلغه ، فقال بأنه يقع على أربعة أوجه : " أحدها إخراج ما لا يقع عليه الحاسة . . . والوجه الآخر : إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة . . . والوجه الثالث : إخراج ما لا يعرف بالبديهية إلى ما يعرف بها . . . والوجه الرابع : إخراج ما لا قوة له في الصفة على ما له قوة فيها . . . "[٤].

---

(١) القاضي الجرجاني ، الوساطة : ٤٧١

(٢) ينظر : عبد العظيم إبراهيم المطعني ، التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز . . . ؟ ، دار الأنصار ـ القاهرة ، د . ط ، د . ت : ١١

(٣) محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة ، د . ط ، د . ت : ٢٢٩

(٤) العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله ، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨٤ : ٢٦٢ – ٢٦٤

وفي الحقيقة أنه في حديثه هذا قد أخذ شواهده عن الرماني حرفيا [١]، إلا أنه في الوجه الرابع زاد الشواهد بكلام العرب [٢].

ويرى بعد ذلك أن التشبيه في جميع الكلام يجري على وجوه : " منها : تشبيه الشيء بالشيء صورة . . ومنها : تشبيه الشيء بالشيء لونا وحسنا . . ومنها : تشبيهه به لونا . . ومنها : تشبيهه به حركة . . ومنها تشبيهه معنى . . "[٣] إنه في حديثه هذا مستمد من كلام ابن طباطبا [٤] كما مر ذلك ، ثم إنه ينهي حديثه عن التشبيه بحشد الشواهد للتشبيه الجيد، وأيضا للتشبيه القبيح .

وبعدُ ، فمن الملاحظ إنه عندما يتحدث عن التشبيه يتميز بجمع أراء السابقين، وحشد شواهده ، لسعة اطلاعه .

ز ـ التشبيه عند ابن رشيق (ت / ٤٥٦ هـ)

تحدث ابن رشيق عن التشبيه حديثا واسعا بحكم ثقافته الواسعة [٥]، حيث إنه يجمع أراء السابقين فيه مع شيء من نظراته الجديدة .

---

(١) ينظر : الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى ، النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام ، دار المعارف – القاهرة ، ط (٤) ، د . ت : ٨١ – ٨٥

(٢) ينظر : محمد رجب بيومي ، بين الرماني والخولي ، مجلة " الأديب" لبنان ، الجزء (٦) السنة (٣١) يونيو ١٩٧٢ : ١١ و ينظر : شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ١٤١ وينظر : محمد حسين علي الصغير ، أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة ، طبع في دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، د . ط ، د . ت : ٧٦ وينظر : عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، قضية الإعجاز القرآني : ٣٥٨

(٣) العسكري ، كتاب الصناعتين : ٢٦٧ – ٢٧٠

(٤) ينظر : شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ١٤٢

(٥) ينظر : علي مهدي زيتون ، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد من أول القرن الخامس / الحادي عشر إلى نهاية القرن السابع / الثالث عشر ، دار المشرق ش م م – بيروت ، ط (١) ، ١٩٩٢ : ٢٩٩

تأثر ابن رشيق بالرماني في تقسيمه التشبيه إلى قسمين ، حيث قال: "واعلم أن التشبيه على ضربين : تشبيه حسن ، وتشبيه قبيح؛ فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بيانا ، والتشبيه القبيح ماكان على خلاف ذلك" [١]، وينقل عن الرماني ضرورة ذكر قيد في التشبيه الواقع بين الضدين[٢]، كقولك : العسل في حلاوته كالصبر في مرارته ، أو كالخل في حموضته، وكقول أبي نواس :

أَصْبَحَ الْحُسْنُ مِنْك ، يَا أَحْسَنَ الْـ أُمَّةِ يَحْكِي سَمَاجَةَ ابْنِ حُبَيْشِ

وعلق على ما ذهب إليه الرماني وبين مراده ،" يريد : أن هذا غاية كما أن ذاك غاية " [٣] أي : أن هذا غاية في صفاته كما أن ذلك غاية في صفته ؛ لأن التضاد لا تبنى عليه مشابهة .

وبعد ، فإن هذا بعض ما جاء في كتاب (العمدة)، فمن الملاحظ أنه قد أفاد "كثيرا من الدراسات التي سبقته" [٤]، وفيه أيضا كما هو معلوم بعض إضافاته في بحث التشبيه .

* * *

(١) ابن رشيق القيرواني ،أبو علي الحسن ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق : محمد قرقزان ، دار المعرفة – بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٨ ، ١ : ٤٨٩

(٢) ينظر : محمد خليل محمود الخلايلة : المصطلح البلاغي في كتاب العمدة لابن رشيق، رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية ، ١٩٩٣ : ٣٢ .

(٣) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ١: ٥٠٢

(٤) بدوي طبانة ، علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية :

الفصل الثالث

مفهوم التشبيه

عند المتكلمين والإعجازيين والبلاغيين

كانت للبلاغة وثيقة الصلة بموضوع إعجاز القرآن الكريم ، تناولتها كتب الإعجاز خاصة ، والكتب المتصلة بالقرآن الكريم عامة ، وكان مرجع المتكلمين في جدلهم القرآن الكريم ، لذا كانت "للمعتزلة اليد الطولى في التمكين للدراسات البيانية لأسلوب القرآن" [١] ، وكانوا يستعينون بها؛ لإقناع خصومهم في جدلهم .

كان الناس – للسبب المذكور – يطلبون ويتعلمون منهم القرآن ؛ لكشف ما التبس منه عليهم ، ومعرفة أسرار القرآن المعجز ، لا سيما بعد الفتوح الإسلامية ، حيث هناك من يطعن في القرآن الكريم من الملاحدة وأصحاب النفوس الحاقدة على الإسلام، والمسلمين .

إذن معرفة المسائل البلاغية – ومنها التشبيه – تُعد من المسائل المهمة في كشف الغموض في القرآن، ومعرفة إعجازه ، وبذا كان المتكلمون، والإعجازيون قد شاركوا في تثبيت أركان البلاغة العربية .

أ ـ التشبيه عند الجاحظ (ت / ٢٥٥ هـ)

ذكر الجاحظ الآيات القرآنية في كتابه الحيوان ، وتكلم عما فيها من الجمال الفني ، وأورد بعض التشبيهات التي وقعت في القرآن الكريم ؛ ليرد شبهة المعترضين على غموض وجه الشبه ، ونبه إليه ، " فأوضح المشبه، والمشبه به ، وكشف عن الصلة أو وجه الشبه بينهما، وجلاه ، وبيّن سره وجماله"[٢]، ومثال ذلك

---

(١) محمد زغلول سلام : المصطلح النقدي والبلاغي في الدراسات القرآنية نشأة وتطورا ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس ، عدد خاص (٤) السنة ١٩٨٨ ، شعبة اللغة العربية وآدابها : ٢٧١

(٢) وليد القصاب : التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري ، دار الثقافة – الدوحة – قطر ، د . ط، ١٩٨٥ : ٧٧

قوله تعالى : ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ [١].

عندما قال أهل الطعن والخلاف : " كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه ، ولا وصفت لنا صورته في كتاب ناطق ، أو خبر صادق ، ومخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة ، والتفزيع منها ، وعلى أنه لو كان شيء أبلغ في الزجر من ذلك لذكره . فكيف يكون الشأن كذلك ، والناس لا يفزعون إلا من شيء هائل شنيع ، قد عاينوه ، أو صوّره لهم واصف صدوق اللسان ، بليغ في الوصف ، ونحن لم نعاينها ولا صورها لنا صادق ، . . . فكيف يكون ذلك وعيدا عاما ؟ " [٢]

فيرد الجاحظ على هذا بقوله : " وإن كنا نحن لم نر شيطانا قط ، ولا صور رؤوسها لنا صادق بيده ، . . . ففي إجماع المسلمين والعرب وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان ، دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح " [٣].

إن الجاحظ هنا يعتمد على ثبوته في طباع جميع الأمم من استقباح صور الشياطين ، والشعور بالوحشة ، والخوف ، والنفور منها ، بل من مجرد تصورها ، لا يعتمد على ما هو مدرك بالحس [٤] فقط .

والجاحظ أيضا قد نبه إلى أن المعنى يتغير بتغير العبارة ، كذلك حال أداة التشبيه حين تذكر ، أو تضمر ، وذلك حين علق على " قول الغنوي :

وتَحدّثُوا مَلَأً لِتُصبِحَ أمُّنَا عذْراءَ لا كَهلٌ ولاَ مَوْلُودُ

جعلها إذ قلّ ولدها كالعذراء التي لم تلد قط ، لما كانت كالعذراء جعلها عذراء ، وللعرب إقدام على الكلام ثقة بفهم أصحابهم عنهم " [٥].

---

(١) سورة الصافات : ٦٤ – ٦٥

(٢) الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ٦ : ٢١٢

(٣) المصدر نفسه ، ٦ : ٢١٢ – ٢١٣

(٤) ينظر : وليد قصاب : التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري : ٧٧ و ينظر : عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، قضية الإعجاز القرآني : ١٩٦

(٥) الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ٥ : ٣١ – ٣٢

فقد شرح الجاحظ سر إضمار الأداة، وهو جعل المشبه كأنه عين المشبه، وإن إقدام العرب على هذا الإضمار مبني على وضوح المعنى ، وعلى فهم السامعين .

وبسبب اهتمامه الشديد بالتشبيه جعل له بابا خاصا في كتابه « البيان والتبيين » بعنوان "« باب من الشعر فيه تشبيه الشيء بالشيء »"[١] ، وقد مثل له بكثير من الأمثلة ، منها قول الشاعر :

بَدا الْبَرْقُ مِن نَحْوِ الْحِجَازِ فَشَاقَنِي وكلُّ حِجَازِيٍّ له البَرْقُ شَائِقُ
سَرَى مِثْلَ نَبْضِ الْعِرْقِ واللَّيلُ دُونَه وأَعْلام أُبْلَى كلُّها والْأَسَالِقُ

وبعد ، فإن الجاحظ على كثرة ما كتبه عن التشبيه إلا أنه لم يضع له تعريفا ، ولم يبين أركانه ، ولكنه ألقى ضوءا على ما تطرق إليه من المواضع ، ليكون عونا لمن جاء بعده في إتمامه . . .

وكان الجاحظ في معرفته الواسعة بالتشبيه، منطلقا من ثقافته الواسعة، "وهو ممن جمع بين علم الكلام، والرسوخ في اللغة وآدابها"[٢]، وهذا الفن مما يشترك فيه العرب وغيرهم لما فيه من إيضاح، وتصوير، وتأكيد .

لذا يضم الباحث صوته إلى من قال إن هذا الفن من البلاغة العربية "لم يأخذه العرب عن غيرهم ، فهو قديم في شعرهم ، وشعرهم مبني عليه، ولعله (التشبيه) أول صنف من صنوف البلاغة التي أدركوها ، ودونوها، وعقدوا لها المقارنات، ووازنوا بين عاليها وساقطها"[٣]، خلافا لمن قال إن الجاحظ في هذا قد تأثر بأرسطو؛ لأنه قد اطلع على كتابه «الخطابة»[٤]، ويستند هذا الكاتب فيما ذهب إليه إلى دليلين : الأول : ما ذكره ابن النديم عن ترجمة كتاب ريطاريقا لأرسطو : "معناه الخطابة، يصاب بنقل قديم ، وقيل إن إسحق نقله

(١) الجاحظ ، أبو عمرو بن عثمان بن بحر ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بيروت ، د . ط ، د . ت ، ٢ : ٣٢٨

(٢) محمد الخضر حسين ، الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية : ١٨٠

(٣) إبراهيم سلامة : بلاغة أرسطو بين العرب واليونان دراسة تحليلية ـ نقدية ـ تقارنية ، مطبعة أحمد علي مخيمر – مصر ، ط (٢) ، ١٩٥٢ : ٢٦٩

(٤) ينظر : مجيد عبد الحميد ناجي : الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز ، مطبعة الآداب – النجف الأشرف – العراق ، د . ط ، ١٩٧٦ : ٨٣

إلى العربي ، ونقله إبراهيم بن عبدالله ، وفسره الفارابي أبو نصر ، رأيت بخط أحمد بن الطيب هذا الكتاب ، نحو مائة ورقة بنقل قديم" [١] .

استنادا إلى هذا القول أي القول بوجود نقل قديم يعني قبل إسحاق بن حنين (ت / ٢٩٨ هـ) ، حيث يقول :" من المحتمل جدا أن يكون هذا الكتاب – أي الخطابة لأرسطو – معروفا، ومتداولا قبل وفاة الجاحظ ، وأنه ربما اطلع عليه" [٢].

الثاني : إنه يعتمد على قول ((أو جست ملر)) الذي قال بأن الناقل هو حنين الأب (ت / ٢٦٠ هـ) ، وليس إسحاق الابن (ت / ٢٩٨ هـ) ، وذكر بأن طه حسين ومحمد مندور قد ذهبا إلى هذا أيضا [٣].

وهذان الدليلان مردودان ، لجعل الجاحظ قد تأثر بكتاب أرسطو .

أما الرد الأول : فكما ذكره شوقي ضيف :" ومن المؤكد أن هذا النقل القديم لم يتقدم كتاب ((البيان والتبيين)) للجاحظ المؤلف حوالي سنة (٢٣٠) لسبب مهم ، وهو أن الجاحظ لم يذكره ولم ينقل عنه أي نقل ، ولو عرفه لنقل منه بعض أراء أرسطو في البلاغة أو على الأقل كان يذكره" [٤]، ومن المعلوم أن الجاحظ قد فتح بابا خاصا للتشبيه في كتابه « البيان والتبيين » كما سبق ذكره .

وأما الرد الثاني : فإن طه حسين نفسه الذي اعتمد عليه صاحب هذا الرأي عندما يتحدث عن الجاحظ ، يقول :" ومن المؤكد أنه لم يعرف شيئا عن (كتاب الخطابة) لأرسطو" [٥]، إذن فكيف هو يعتمد على قول طه حسين ، في حين أن طه حسين نفسه لم يعتمد على هذا القول في تأثير كتاب أرسطو في الجاحظ ، بل إنه نفى معرفة الجاحظ عنه صراحة . .

---

(١) ابن النديم ، محمد بن إسحاق : الفهرست ، تحقيق : ناهد عباس عثمان ، دار قطري بن الفجاءة ، ط (١) ، ١٩٨٥ : ٥١٢ وينظر : حاجي خليفة ، المولى مصطفى بن عبدالله القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية – بيروت ، د . ط ، ١٩٩٢ ، ١ : ٦٨٢

(٢) مجيد عبد الحميد ناجي ، الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز : ٨٠

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٨١

(٤) شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ٧٦

(٥) طه حسين ، البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر : ٣

وبعدُ ، فاستغراب صاحب هذا الرأي عن التطور الحاصل عند علماء المسلمين في المسائل البلاغية ، لا يجوز له أن يحكم عليهم بأنهم أخذوا هذا العلم أو تأثروا من اليونان باحتمالاته ؛ لأن الشك يقطعه اليقين . . . ، والعلم يتطور شيئا فشيئا ، هكذا كان عند العرب في المسائل البلاغية ، لا سيما في فن التشبيه؛ لأن العرب كانوا يعجبون به بل ويكثرون منه في كلامهم كما سبق ذكره .

ب ـ التشبيه عند الرماني (ت / ٣٨٦ هـ)

يمهد الرّماني في دراسته للتشبيه بتعريف له قريب من الروح العلمية ، حيث قال: " التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل " [١]، وهذا التعريف أقرب إلى القيمة القياسية منهأن يكون إلى الناحية الفنية[٢].

والتشبيه عنده مما " يتفاضل الشعراء، وتظهر فيه بلاغة البلغاء"[٣] ويوضح سببا لذلك حيث إنه يكسب الكلام بيانا عجيبا .

وأما التشبيه البليغ عنده ، فهو" إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف" [٤] وهذا التعريف يختلف عما يعرف عند من يأتي بعده " إذ هو عندهم التشبيه المحذوف، أو المضمر الآداة " [٥] ومعنى ذلك عند الرماني هو تحقيق الإيضاح والبيان ، حتى مع وجود الأداة فإنه يستحق أن يسمى بليغا ، وجماله لا يكتمل إلا بحسن التأليف .

والرماني لا ينظر إلى التشبيه كنظرة سلفه ، وإنما كانت نظرته إليه نظرة

---

(١) الرماني ، النكت في إعجاز القرآن : ٨٠

(٢) ينظر : مهدي صالح السامرائي ، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، المكتب الإسلامي – دمشق ، ط (١) ، ١٩٧٧ : ١١٠

(٣) الرماني : النكت في إعجاز القرآن : ٨١

(٤) المصدر نفسه : ٨١

(٥) محمد زغلول سلام ، المصطلح النقدي والبلاغي في الدراسات القرآنية نشأة وتطورا : ٣٧٩

جديدة ، فقد قسم التشبيه إلى حسي، وعقلي من جهة طرفيه " أما التشبيه الحسي فكمَاءَيْن وذهبين يقوم أحدهما مقام الآخر، ونحوه ، وأما التشبيه النفسي ، فنحو تشبيه قوة زيد بقوة عمرو ، فالقوة لا تشاهد، ولكنها تعلم" [١] ومعناه أن التشبيه الحسي عنده ماكان طرفاه حسيين ، والعقلي أو النفسي ما كان طرفاه معنويين [٢].

فقد قسم الرماني التشبيه إلى أربعة أقسام :

الأول : إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة ، نحو : تشبيه المعدوم بالغائب .

الثاني : إخراج ما لمْ تجر به العادة إلى ما جرت به عادة ، نحو : تشبيه البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم .

الثالث : إخراج ما لايعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة ، نحو : تشبيه إعادة الأجسام بإعادة الكتاب .

الرابع : إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة ، نحو : تشبيه ضياء السراج بضياء النهار [٣].

وكان يستشهد لكل ذلك بالآيات القرآنية ، ولا يخرج عنها إلى الأبيات الشعرية ، وقد التزم بهذا ؛ لأن القصد من تأليفه هو بيان إعجاز القرآن ، وحديثه عنها كان" حديثا ذوقيا جماليا " [٤] في تحليله للتشبيهات القرآنية ، فقد كشف مواطن الجمال فيها .

هكذا كان الرماني في تشبيهاته يسير في اتجاه جديد ، وكان لهذا تأثير عند من جاء بعده .

(١) الرماني ، النكت في إعجاز القرآن : ٨٠ – ٨١

(٢) ينظر : عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ٢٤٧ – ٢٤٨

(٣) ينظر : الرماني ، النكت في إعجاز القرآن : ٨١

(٤) وليد قصاب ، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة : ١٣٤

ج ـ التشبيه عند الباقلاني (ت / ٤٠٣ هـ)

يتحدث الباقلاني عن التشبيه ضمن حديثه عن الآيات القرآنية، وأيضا عن الشواهد الشعرية .

فعند ما تحدث عن الآيات القرآنية لم يعد التشبيه بمفرده من الإعجاز، وإنما كان إعجاز الآيات القرآنية في نظمها ، كما في قوله :" وإنما ننكر أن يقول قائل: إن بعض هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيه الإعجاز ، من غير أن يقارنه ما يصل به من الكلام ويفضي إليه ، مثل ما يقول : إن ما أقسم به وحده بنفسه معجز ، وإن التشبيه معجز . . "[١].

وذكر بعض الشواهد القرآنية ووصفها بأنها من التشبيه الحسن[٢]، كقوله تعالى : ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾[٣] وكقوله تعالى : ﴿ وكأنهن بيض مكنون ﴾[٤].

ومن لمحاته التي تدل على بصره النافذ، وذوقه الرفيع في فن التشبيه تعليقه على آراء بعض النقاد في الموازنة ، بين قول امرئ القيس، و قول بشار ، نافيا ما قالوه بتساويهما ، حيث فضّل الأول على الثاني بحسن صحة التقسيم في التشبيه ، في قول امرئ القيس :

كأنّ عُيونَ الْوَحْشِ حوْلَ خِبَائِنا وأَرْحُلِنا الجَزْعُ الذي لم يُثَقَّبِ

وقوله :

كأَنّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويَابِسًا لدَى وَكْرِها العُنَّابُ والْحَشَفُ الْبَالِي

حيث قال عنهم :" واستبدعوا تشبيه شيئين بشيئين على حسن التقسيم، ويزعمون أن أحسن ما وجد في هذا للمحدثين ، قول بشار : "[٥]

كأَنّ مُثارَ النَّقْعِ فوْقَ رُؤوسِهِم وأَسْيافَنا لَيْلٌ تَهاوَى كَوَاكِبُهْ

---

(١) الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب ، إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف – القاهرة ، ط (٥) ، د . ت : ٢٧٦

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٧٣

(٣) سورة الرحمن : ٢٤

(٤) سورة الصافات : ٤٩

(٥) الباقلاني ، إعجاز القرآن : ٧٢

وردّ على مزاعمهم هذه ، بقوله : " وقد سبق امرؤ القيس إلى صحة التقسيم في التشبيه ، ولم يتمكن بشار إلا من تشبيه إحدى الجملتين بالأخرى ، دون صحة التقسيم والتفصيل " (١).

وهذه النظرة الدقيقة تدل على أن الباقلاني قد أدرك وفهم تشبيه المفردات، وتشبيه الجمل ، وهذه تعد خطوة متقدمة في مجال التفصيل في التشبيه (٢)، وتدل على أنه قد وصل في النقد إلى مرحلة متقدمة من حسن التذوق ، وحسن العرض لما يتذوقه .

د ـ التشبيه عند القاضي عبد الجبار (ت / ٤١٥ هـ)

كان حديث القاضي عبد الجبار عن التشبيه ونظراته فيه تقوم على بعض تشبيهات القرآن الكريم ، وكان قصده من تلك النظرات أن يرد بها على الطاعنين ؛ لسبب سوء فهمهم لمراد الله في كتابه العزيز، وهو بذلك قد وضع أساسا لفن التشبيه، وبيانا لجمالياته المتميزة .

من ذلك حديثه عن التشبيه البليغ أي المحذوف الأداة ووجه الشبه ، وبيان قيمته، عند ردّه على من يعترض على قوله تعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ (٣) بقولهم : " كيف يصح في أزواجه أن يكن أمهاتهم " (٤).

فجوابه عليهم : " إن أزواجه (ﷺ) أمهات المؤمنين ، فالمراد تأكيد تحريمهن على المؤمنين وتبرئة رسول الله (ﷺ) عن أن يخلفه في أزواجه غيره . . . فأكد ذلك بأن شبههن بالأمهات ، وربما حذف في التشبيه اللفظ ؛ ليكون

(١) الباقلاني ، إعجاز القرآن : ٧٢

(٢) ينظر : أحمد جمال العمري ، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري ، مطبعة المدني – القاهرة ، د . ط ، ١٩٩٠ : ٢١٨

(٣) سورة الأحزاب : ٦

(٤) القاضي عبد الجبار ، عماد الدين بن أحمد ، تنزيه القرآن عن المطاعن ، دار النهضة الحديثة – بيروت ، د . ط ، د . ت : ٢٣٢

على وجه التحقيق ، كما يقال للرجل البليد : هو حمار ، ولمن لا يصغي ولا يفهم : إنه ميت ، قال تعالى : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ [١] " [٢].

وكان بهذا يدرك قيمة إضمار أداة التشبيه، وسر تفضيله في سياقه ، حيث بين فائدة ذلك وهو لتأكيد الكلام وتحقيقه .

هكذا كانت نظراته وإشاراته في التشبيهات القرآنية ، يأتي بها ليرد على الطاعنين في كتاب الله تعالى ، ويبين الوجه الصحيح ، ويشرح ملاءمة التشبيه لسياقه وغرضه ؛ دفاعا عن القرآن الكريم ، وقد تأثر به الزمخشري صاحب (الكشاف) في تفسيره لكتاب الله تعالى .

هـ ـ التشبيه عند ابن سنان الخفاجي (ت / ٤٦٦ هـ)

إن تناول ابن سنان للتشبيه في كتابه (سر الفصاحة) كان تابعا لمن سبقه[٣]، فاستفاد من السابقين ولا سيما من الرماني ، كما حديثه عن حسن التشبيه، وهو عنده " أن يمثل الغائب الخفي الذي لايعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد ، فيكون حسن ، هذا لأجل إيضاح المعنى، وبيان المراد" [٤] وهذا الذي جاء به ابن سنان يُعد تلخيصا لما قام به الرماني [٥]، وكان في حديثه هذا يستشهد بالشواهد التي استشهد بها الرماني، ولكنه لم يعلق عليها شاهدا شاهدا كما فعل الرماني ، مكتفيا بالتعليق في آخر ها بقوله : " وهذه التشبيهات كلها ما بيناه من التشبيه الخفي بالظاهر المحسوس، والذي لا يعتاد بالمعتاد ، لما في ذلك من البيان" [٦] إلا

(١) سورة النمل : ٨٠

(٢) القاضي عبد الجبار ، تنزيه القرآن عن المطاعن : ٣٣٣ – ٣٣٤

(٣) ينظر : بدوي طبانة ، علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية : ٥١

(٤) ابن سنان الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن محمد : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط (١) ، ١٩٨٨: ٢٤٦

(٥) ينظر : الرماني ، النكت في إعجاز القرآن : ٨٠ – ٨١

(٦) ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة : ٢٤٧

أنـه اسـتثنى من تلك الشـواهد قـوله تعالى : ﴿ ولـه الجـوار المنشـئات في البحـر كالأعلام﴾[١] حيث ذكر أن التشبيه فيها للمبالغة .

كما تحدث في كتابه عن التشبيهات التي جاءت في الشعر ، وقسمها إلى أربعة أقسام ، وهي : تشبيه جيد ، وتشبيه مختار ، وتشبيه بغير أداة التشبيه ، وتشبيه رديء ، وأورد لكل قسم شواهد من الشعر ويكثر منها ، مكتفيا في تعليقه على بعضها .[٢]

و ـ التشبيه عند الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت / ٤٧١ هـ)

اكتملت ملامح التشبيه في تراث اللغويين والنحاة ، والأدباء والنقاد ، والمتكلمين والإعجازيين والبلاغيين على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني ، الذي وضع نظريته في صورتها النهائية ، فكانت نظريته تمثل توازنا بين القواعد والتطبيق ، وقد استغرق بحثه عن التشبيه قرابة نصف كتابه (أسرار البلاغة) وبسبب هذا كان يعد "من أكبر علماء البلاغة الذين استوعبوا دراسة السابقين استيعابا مكنه من التجديد في بحثه" [٣] ولعل سبب إطنابه في حديثه عنه كان عائدا إلى أنه يريد أن يظهر بأن نص القرآن الكريم تفوق على النصوص الأدبية في إعجاز أسلوبه البياني [٤].

ومن اللافت للنظر أنه مع هذا التفصيل في حديثه عنه لم يضع تعريفا للتشبيه أو التمثيل ، وإنما كان يتحدث عنهما من خلال الشواهد [٥].

لعل من أبرز ما قام به عبد القاهر في دراسته التشبيه هي تفريقه الواضح بين التشبيه، والتمثيل ، وكان القدماء لم يفرقوا بين هذين المصطلحين ،

---

(١) سورة الرحمن : ٢٤

(٢) ينظر : ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة : ٢٤٧ – ٢٥٦

(٣) عبد الفتاح لاشين ، البيان في ضوء أساليب القرآن : ٣٥

(٤) ينظر : علي مهدي زيتون ، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي : ٣٠٢

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٣٠٢

أو أنهم كانوا يفرقون ولكن بصورة جزئية ، لا تقيم حدودا واضحة بينهما، ولا الخصائص لكل منهما .

قال الإمام عبد القاهر : " إن التشبيه عام ، والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلا " [١] ؛ لأن التشبيه الصريح حسي ، والتمثيل عقلي، والحسي أسبق من العقلي ، ولايمكن تصور هذا إلا بعد تصور المحسوس له [٢].

إن التشبيه الصريح عنده ما كان وجه الشبه فيه متحققا في طرفيه ، غير محتاج إلى تأول في حصوله ، كأن يكون حسيا أو غريزيا ، ومثل لكل منهما ، كتشبيه الخدود بالورد في اللون ، وكتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة ، وقال بعد سرد الأمثلة له : " فالشبه في هذا كله بين لا يجري فيه التأول ، ولا يفتقر إليه في تحصيله، وأي تأول يجري في مشابهة الخد للورد في الحمرة ، وأنت تراها ههنا كما تراها هناك ؟ وكذلك تعلم الشجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجل " [٣].

وأما التشبيه التمثيلي : فهو ما كان وجه الشبه فيه محصل بضرب من التأول، يكون محققا في الطرفين بطريقة من التلطف والذكاء ، أي الوجه فيه يكون عقليا غير حقيقي، من غير نظر إلى إفراد أو تعدد أو تركيب [٤]، كقولهم : ((هذه حجة كالشمس في الظهور)) ، ومعرفة وجه الشبه فيه " لا يتم لك إلا بتأول ، وذلك أن تقول : حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوه ، مما يحول بين العين وبين رؤيتها ، ولذلك يظهر الشيء لك إذا لم يكن بينك وبينه حجاب ، . . . كما أن الشمس الطالعة لا يشك فيها ذو بصر ، ولا ينكرها إلا من لا عذر له في إنكاره، فقد احتجت في تحصيل الشبه الذي أثبته بين الحجة، والشمس إلى مثل هذا التأول كما ترى " [٥].

(١) الجرجاني ، أسرار البلاغة : ٩٥

(٢) ينظر : عبد الكريم أحمد العبد السالم ، عبد القاهر الجرجاني في " أسرار البلاغة " ، رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية ، ١٩٧٧ : ١٢٨ .

(٣) الجرجاني ، أسرار البلاغة : ٩٢

(٤) ينظر : إبراهيم محمد سالم ، المصطلح البلاغي والنقدي عند عبد القاهر الجرجاني ، رسالة ماجستير من جامعة يرموك ، ١٩٩٢ : ٢٢٠ .

(٥) الجرجاني ، أسرار البلاغة : ٩٢ – ٩٣

ثم ذكر أن التشبيه التمثيلي على درجات من جهة القدر الموجب للتأمل في التأول ، فمنه : ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ، وذلك إذا كان مفردا ، ومثّل لذلك بالمثال السابق ذكره ، وهذا أقرب إلى التشبيه العادي أي الصريح .

ومنه : ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل ، وذلك إذا كان متعددا ، ومثّل لهذا بـ : (ألفاظه كالماء في السلاسة ، وكالنسيم في الرقة وكالعسل في الحلاوة) .

ومنه : ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل رويّة ولطف فكرة ، وذلك إذا كان مركبا ، ومثل لهذا بقول كعب الأشقري عندما سُئل عن بني المهلب ، (قال : كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها) [١].

فهذه التقسيمات مما يدل على تفاوت درجاته في الحسن ، وإن أفضله ما كان مركبا ، بدليل قوله : " فأما ما كان مذهبه في اللطف مذهب قوله : ((هم كالحلقة)) ، فلا تراه إلا في الآداب والحكم المأثورة عن الفضلاء ، وذوي العقول الكاملة " [٢].

بهذا يخالف الباحث الدكتور شوقي ضيف عندما قال : " إن التمثيل (عند الإمام عبد القاهر) يختص بالتشبيهات المركبة ، التي يكون فيها وجه الشبه عقليا منتزعا من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها " [٣] ؛ لأن الإمام عبد القاهر نفسه لا يشترط هذا ، وإنما كان يفضله على المتعدد ، والمفرد ، كما ذكر سابقا .

ولعل الدكتور شوقي ضيف لم يتنبه إلى الأمثلة التي ذكرها الإمام عبد القاهر بأنها ثلاثة أنواع ، مفرد ، ومتعدد ، ومركب ، صحيح أنه هنا لم يذكر صراحة ولكن شواهده تدل على ذلك . . ، ومما يقوي ما ذهب إليه الباحث هو قول الإمام عبد القاهر نفسه ـ كأنه يحس بذكائه ، ربما هناك من لم يفهم مراده فأكد كلامه ـ في موضع آخر : " إن هذا الشبه العقلي ربما انتزع من شيء واحد ، . . . . وربما انتزع من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ، ثم يستخرج من مجموعها

(١) ينظر : الجرجاني ، أسرار البلاغة : ٩٢ – ٩٤

(٢) المصدر نفسه : ٩٤

(٣) شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ١٩٦

الشبه،... "[١] أي أنه يجوز انتزاع الشبه العقلي من مفرد، أو مركب .

ثم جعل الإمام فصلا خاصا للتفريق بين التشبيه الصريح، والتشبيه التمثيلي، بناء على ما أفاد من أسلافه اللغويين لا سيما ابن جني ، وذلك في جعل الفرع أصلا والأصل فرعا ، ومما يعرف عند البلاغيين بالتشبيه المقلوب أو المعكوس، وأضاف إلى ذلك كثيرا من الموازنات بين التشبيه والتمثيل ، ووضع الضوابط الفنية التي تحكمها ، مع استكثاره من الاستشهاد، والتحليل .[٢]

وباختصار إن القلب يأتي كثيرا في التشبيه الصريح ،" فمن أظهر ذلك أنك تقول في النجوم : ((كأنها مصابيح)) ، ثم تقول في حالة أخرى في المصابيح : ((كأنها نجوم)) ،"[٣] وبناء على ملاحظاته الدقيقة فإن لهذا القلب درجات متفاوتة في جوازه [٤].

أما في التشبيه التمثيلي فإن القلب لا يجوز فيه إلا بتأول وتخيل ، يخرج عن الظاهر خروجا واضحا ، ومثّل لذلك بقول الشاعر*:

وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاه سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

فالقلب فيه جائز؛ لأن ((السنن)) يخيل لنا أنها جنس من الأجناس التي لها إشراق ونور، وابيضاض في العين ، وأن ((البدعة)) يخيل أنها نوع من الأنواع التي يختص بسواد اللون ، فصار تشبيهه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع ، مثل تشبيههم النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب [٥].

وبعد هذا العرض الموجز عن بعض النماذج التي تحدث عنها الإمام عبد القاهر في التشبيه ، فإن من الملحوظ أنه لا يكرر ما قاله السابقون ، إلا إذا أراد

---

(١) الجرجاني ، أسرار البلاغة : ١٠١

(٢) ينظر : عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ٣٢٦

(٣) الجرجاني ، أسرار البلاغة : ٢٠٤

(٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٠٤ – ٢٢٥

* هو القاضي التنوخي ، ينظر : الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك النيسابوري ، تحقيق : مفيد محمدقميحة،دارالكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٣ ، ٢ : ٣٩٥

(٥) ينظر : الجرجاني ، أسرار البلاغة : ٢٢٥ – ٢٢٧

أن ينطلق منه إلى مجالات جديدة بتطوير المسائل، وإثرائها بالنقاش والشواهد، حيث يصل الغاية ، أو أن يستقل بأراء جديدة ، التي تؤثر في علماء البلاغة المتأخرين ، فكلهم عالة عليه في اقتفاء أثره، ومن المؤكد الذي لا يقبل بادرة من شك أن البلاغة بعد عبد القاهر قد أصيبت بالجفاف والعقم؛ لأن العناية ـ قد أصبحت ـ بالشكليات، والتجرد من روائع الفن ، ومتعة الجمال [١]، والعصر الذي جاء بعده كان عصر التلخيصات، والشروح للبلاغة .

ومن الغريب أن ينبري ـ في العصر الحديث ـ واحد مثل الدكتور طه حسين للنيل من علماء العرب المسلمين ، حيث اتهم الإمام عبد القاهر بلا تردد بأنه في (أسرار البلاغة) مجرد فيلسوف، وشارح لكتاب أرسطو ، وذلك عندما قال: " لم يكن عبد القاهر الجرجاني عندما وضع في القرن الخامس كتاب (أسرار البلاغة) المعتبر غرة كتب البيان العربي إلا فيلسوفا يجيد شرح أرسطو، والتعليق عليه" [٢].

وهذا الاتهام ليس صحيحا؛ لأن عبد القاهر كان يهتم في دراسته البلاغة؛ لبيان الإعجاز في الخطاب العربي المبين، وفي مقدمته القرآن الكريم ، فتحول عنده مما كانت الدراسة تعتمد على التنويع في الموضوعات، والترويح على السامع إلى الاعتماد على عرض الفكرة، وتقريرها بخطاب استدلالي سجالي [٣].

ومن المعلوم أن أسلوب التشبيه من الأساليب المشتركة بين العرب وغيرهم ، ولهذا يكون التشابه بين بحوث المشتغلين بهذه الدراسات في اللغات المختلفة ونتائجهم أمرا متوقعا، وطبيعيا[٤] ، وهو يتطور عند العرب بفضل علمائه ، كما يتطور عند اليونان " شيئا فشيئا بفضل المعلمين والمؤدبين، قبل أن يصل إلى أن يكون علما منظما توضع له القواعد، وتؤلف فيه الكتب" [٥].

(١) ينظر: عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ٤٠٨

(٢) طه حسين ، البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر : ١٤

(٣) ينظر : محمد عابد الجابري ، بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ، ط (٢) ، ١٩٩٠ : ٣٢

(٤) ينظر: محمد أبو موسى ، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، مطابع الشروق ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٧٨ : ١٥١

(٥) محمد الخضر حسين ، الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية : ١٧٢

ولا يكون هذا الاتهام الظالم " إلا إذا أسأنا الظن بعلماء المسلمين، وأنزلناهم منزلة هي أدنى من منزلة العوام " [١]؛ لأن معرفة ذلك عندهم لا تحتاج إلى مراجعة كتب أرسطو أولا ، فهي موجودة عند العرب عبر تاريخهم .

وأغرب من هذا حينما اتهم طه حسين علماء العرب المسلمين كافة ، في استعمال لفظ الأسد للشجاعة من أنهم أخذوه من اليونان ، عندما قال :" غير أنهم أوردوا مرة أحد أمثلة أرسطو ، . . . عندما يقول (هو ميروس) في حديثه عن أخيل (كرّكالأسد) ، فهذا تشبيه ، . . . لأنه لما كان الرجل والحيوان في هذا المثال ممتلئين شجاعة . . . خُذْ أي كتاب من كتب البيان العربي ، فستجد فيه هذا المثال سِوَى أنه قد استعمل فيه لفظ (زيد) المألوف في شواهد البلاغة والنحو ، بدلا من (أخيل) وإذاً فقد فهم العرب هذا المثال " [٢].

ذكر الجاحظ أن العلماء والبلغاء قد شبهوا الإنسان بالأسد وبغيره [٣] ، كما أن سيبويه قد أورد مثالا للتشبيه ، يستعمل فيه لفظ الأسد في قوله :" مررت برجل مثل الأسد أبوه " [٤]، وكذلك قد استعمل الرسول (ﷺ) الذي لاينطق عن الهوى لفظ الأسد ، حينما شبه سيد الشهداء سيدنا حمزة رضي الله عنه في شجاعته في قوله : (حمزة بن عبد المطلب أسد الله ، وأسد رسوله)[٥]، فضلا عن أن فريقا من العرب يسمون أبناءهم بالأسد ، ومعلوم أن هذه وردت قبل أن تترجم كتب أرسطو إلى العربية ، فكيف غاب هذا عن عميد الأدب العربي؟ !

لا شك أن الغرض من هذا الكلام هو تجريد علماء العرب المسلمين من كل ابتداع في العلوم والمعارف ، وإظهارهم بمظهر المتكئ على غيرهم في كل ما يأتي[٦].

(١) محمد أبو موسى ، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان : ١٥٠

(٢) طه حسين ، البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر : ١٢ – ١٣

(٣) ينظر : الجاحظ . كتاب الحيوان ، ١ : ٢١١

(٤) سيبويه ، الكتاب ، ٢ : ٢٩

(٥) ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك الحميري ، السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا ، المكتبة العلمية ـ بيروت ، د . ط ، د . ت ، ٣ : ٩٦

(٦) ينظر : فضل حسن عباس، البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية : ١٨٧ـ ١٨٨

وسلف القول : إن أسلوب التشبيه ، هو أسلوب ورد كثيرا عند العرب، " حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يُبعد" [١] وهذا الفن يعد من صميم الأساليب العربية ، وهو" عربي النشأة ، قرآني الحس ، نبوي التوجيه" [٢] . . .

* * *

(١) المبرد ، الكامل ، ٢ : ٩٩٦

(٢) فضل حسن عباس ، البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية : ١٨٨

الباب الثاني :

صورة الإنسان

في التشبيهات القرآنية

تشبيه الإنسان بالطبيعة

» » بالحيوان

» » بالإنسان

الفصل الأول

تشبيه الإنسان بالطبيعة

جاء القرآن الكريم بهدف هداية الناس جميعا؛ ليكونوا من أهل التقوى إذا تدبروا وعملوا بما فيه، كما قال الله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾[١] ومن تمسك به وبسنة رسوله (ﷺ) فيكون من الناجين في الدارين، كما قال رسول الله (ﷺ) : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه)[٢] ، وللوصول إلى هذه الغاية المرجوة استخدم القرآن الكريم جميع وسائل البيان في إقناعهم ، ومن أكثرها استخداما التشبيه؛ لأنه ألطف وأكثر دورانا على ألسنة العرب [٣].

لقد جعل الله تعالى هذا التشبيه في كتابه العزيز مرآة لمن تدبّر . . ؛ لأن الغرض الأهم في أسلوب القرآن الكريم هو التبليغ والتبيين عما يتضمنه ، والطبيعة هي الماثلة أمام حواس الإنسان وعقله ، يراها ويحسها ويتفكر فيها أحيانا ، ولهذا جعلها الله ـ عز وجل ـ في كتابه الكريم إحدى المشبهات بها؛ لتقنع الإنسان بما أخبره سبحانه وتعالى، وشأن القرآن أن يقرع الإنسان بالحجة في بيانه ، ولا ينكرها إلا من على قلوبهم أقفالها . . .

ولهذا شبه الله تعالى الإنسان في جميع أحواله ـ خيره وشره ـ بالطبيعة المحسوسة أو حتى المعقولة ، ليرى كل واحد منهم أين مكانه من هذه الأصناف التي شبه بها الله سبحانه وتعالى؛ أهو من أهل الإيمان أو من أهل الشرك أو من أهل النفاق أو غير ذلك ؟ . . .

(١) سورة البقرة :٢

(٢) مالك بن أنس ، الموطأ ، دار الجيل ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٩٣ ، ١ ـ ٢ : ٧٨٥

(٣) ينظر : المبرد ، الكامل، ٦ : ٩٩٦

وقد كان عدد تشبيهات الإنسان بالطبيعة تسعة وعشرين تشبيها من مائة وثمانية وأربعين تشبيها من تشبيهات الإنسان الواردة في القرآن الكريم ، أي ما يعادل ٢٠ ٪ منها، وتأتي هذه التشبيهات في موقع وسط، إذا ما قورنت بعدد تشبيهات الإنسان بالإنسان، وتشبيهات الإنسان بالحيوان الواردة في القرآن الكريم .

ولعل سبب ذلك يعود إلى أن الإنسان إذا استخدم عقله تجاه ما يحيط به من الطبيعة ، سيُقر بوجود الخالق الأحد، الفرد الصمد، الحكيم في تصرفه وتدبيره، وسيعترف بفضل الله ـ عزوجل ـ على الناس، بنعمه الدائمة الشاملة [1]، وهذه وسيلة من وسائل دعوة الناس إلى اتباع العقيدة الصحيحة .

فقد قام القرآن بتشبيه الإنسان بمختلف أشكال الطبيعة ومظاهرها ؛ الجوية والبرية والبحرية ، ـ وإن لم يكن العرب على معرفة شاملة بهذه المظاهر والأشكال عند نزول القرآن الكريم ـ وكان أكثر هذه الأنماط استخداما هو تشبيه الإنسان بالطبيعة البرية ، حيث جاء عشرون تشبيها من تسعة وعشرين تشبيها . . ، لعل ذلك يرجع إلى أن العرب كانوا يعيشون في الصحراء بعيداً عن الطبيعة البحرية ، وعن الطبيعة الجوية أيضا، حيث إنها جاءت أربعة تشبيهات فقط من تسعة وعشرين تشبيها . . ، ولعل هذا عائد إلى أن الطبيعة الجوية متعلقة بوجود الصناعة والآلات التي تسمح بإيجاد الأبنية العظيمة ، كما تُعرف عند أقوام؛ مثل: الفراعنة واليونان والفرس ، فالعرب أمةٌ بداوة، تتقاسمها تخوم الصحراء من جهة ، وتخوم الريف والمدينة من جهة أخرى ، وعلاقتها بالأرض علاقة ارتحال على الأغلب، وليست علاقة استقرار ، فإذا كانت هناك علاقة بالجو، فلا تكون إلا من خلال الاستهداء بالنجوم وأجرام السماء ، كالقمر والشمس ، فلذلك جاء التشبيه بها قليلا . . .

---

(١) ينظر : كاصد ياسر الزيدي ، الطبيعة في القرآن الكريم ، دار الرشيد ـ العراق ، د . ط ، ١٩٨٠ : ٢٤٠

١ ـ تشبيه الإنسان بالطبيعة الجوية

أ ـ التشبيه بالظاهرة الجوية

قال الله تعالى: ﴿ فَمن يُرِدِ اللهُ أن يَهدِيَه يشرحْ صدْرَه للإسلام ، ومَن يُرِدْ أنْ يُضلّه يجعلْ صدرَه ضيِّقا حَرَجا ، كأنّما يَصَّعّد في السّماءِ ، كذلك يَجْعلُ اللّهُ الرِّجْسَ على الَّذين لا يُؤمِنُون ﴾ (١)

من أراد الله له الهداية من عباده يشرح صدره للإسلام " يلطف به حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه " (٢) ؛ لأنه الدين الحقيقي الذي لا مجال لإنكاره ، كما قال الله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (٣) فيمتلئ به قلبه . . .

أما من أراد الله أن يضله من عباده الذين يؤثرون الكفر على الإيمان ، فإنه يجعل صدره ضيقا عن استيعاب الإسلام ، فلا يتقبل هداه ، و يوقعه الشيطان بحبائله، حتى ليشعر من شدة هذا الضغط بأن صدره قد ضاق، ويصبح أمره عسرا، كأنما يصعّد في السماء ، وهو ضارب بقدميه في الأرض ؛ " لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع، ويبعد من الاستطاعة، وتضيق عنه المقدرة " (٤) فقلبه مغلق مختوم عليه يجد العسر والمشقة في قبول الإسلام ، وهذه هي حالته النفسية التي تجسمت في حالة حسية ، من ضيق النفس، وكربة الصدر . . .(٥) ويعني الضيق

(١) سورة الأنعام : ١٢٥

(٢) الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر للطباعة ، د . م ، ط (١) ، ١٩٧٧، ٢ : ٤٩

(٣) سورة آل عمران : ١٩

(٤) الزمخشري ، الكشاف ، ٢ : ٤٩ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف ، تفسير البحر المحيط ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٩٣ ، ٤ : ٢٢٠

(٥) ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ـ بيروت ، ط (٢٢) ، ١٩٩٤ ، ٣ : ١٢٠٣

الحرج هو الشك بلغة قريش ،[١] والمقصود هنا " الصدر الذي لاتصل إليه الموعظة، ولا يدخله نور الإيمان ، لرَيْن الشرك عليه " [٢].

هذا التشبيه ﴿ كأنما يصعّد في السماء ﴾ يشير إلى ظاهرة جوية تحدث في الجو ، وهي الضيق الذي يشعر به الإنسان في الأماكن المرتفعة [٣]، ويزداد الضيق كلما قلّتْ " مقادير الهواء عامة ومنها الأوكسيجين بالارتفاع فوق سطح الأرض ، ولهذا يشعر الإنسان بضيق الصدر عندما يصعد في الجو من غير حماية أو تكييف خارجي يوفرله نفس مقادير الهواء التي ألفها على سطح الأرض كما في الطائرات "[٤].

ومثل هذه الظاهرة التي تحدث عنها القرآن لم تكن معروفة عند العرب ، فكانت الآية الكريمة من الأمور الغيبية ، ولما اكتشف الناس هذه الحقيقة بعد صعودهم إلى طبقات الجو العليا ظهرت إحدى معجزات القرآن العلمية ، و كان هذا "اتفاقا رائعا للفكرة القرآنية مع الواقع العلمي " [٥].

وهكذا حال من يضله الله تعالى ، إذ يسلط عليه الوساوس ، والهموم ، والأثقال، والقلق، والاضطراب ، حتى ليشعر كأنما يصعد في الفضاء

(١) ينظر : ابن سلام ، أبو عبيد القاسم ، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم ، رواية الصحابي الجليل ابن عباس ، تحقيق : عبد الحميد السيد طلب ، مطبوعات جامعة الكويت ، د . ط ، ١٩٨٤ : ٩٨

(٢) الطبري ، .أبو جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ط (١) ، ١٩٩٢ ، ٥ : ٢٣٧

(٣) ينظر : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، البيان في إعجاز القرآن (علوم القرآن وأصول التفسير) ، دار عمار ــ عمان ، د . ط ، د . ت : ٢٩١ ــ ٢٩٢ وينظر : خليل ياسين ، أضواء على متشابهات القرآن ، دار مكتبة الهلال ــ بيروت ، د . ط ، د . ت : ٢٢٩ وينظر : يوسف مروة ، العلوم الطبيعية في القرآن ، مطابع الوفاء ــ بيروت ، ط (١) ، ١٩٦٨ : ١٦

(٤) محمد جمال الدين الفندي ، مع القرآن في الكون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ، د . ط ، ١٩٩٢ : ١٠٤

(٥) علاء الدين شمس الدين المدرس ، الظاهرة القرآنية والعقل ، دراسة مقارنة للكتب المقدسة ، مطبعة العاني ــ بغداد ، ط (١) ، ١٩٨٦ : ٢٣٤

بـلا أوكـسيجين يمده بالحياة ، فكأنما أراد الله تعالى أن يبين لنا بأن الإسلام هو سبب الحياة ، وهـو سبب هنائها، وراحتها ، وأنه بدون الإسلام تضيق الصدور ، وتقلق القلوب ، "وهكذا صور الله ضيق صدورهم" [١] .

وهذا أيضا يعد أحد الأدلة على أن القرآن الكريم لم ينزل على جيل من الناس دون سواه، ولا إلى أمة بعينها أو مجتمع معين ، كما قال الله تعالى مخاطبا حبيبه المصطفى (ﷺ) : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[٢]، وفيها أيضا حث الله الإنسان على البحث عن ظواهر الكون التي خلقها سبحانه وتعالى؛ لخدمة البشر جميعا ، وسخرها لهم ؛ لاستمرار حياتهم، وبناء حضاراتهم .

ولعل الغرض من هذا التشبيه هو تقريب صورة المشبه به ، بشيء يمكن أن يحس به البشر جميعا ؛ مؤمنهم، وكافرهم، ومنافقهم ؛ لأن ضيق الصدر بسبب نقص الهواء من الأشياء التي يحسها الناس جميعا ، وإن هذا التشبيه جاء به للمبالغة في ضيق صدر من يزاول ما لا يقدر عليه . . . وفي ذلك تنبيه على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود [٣].

ويُعد هذا من التشبيه التمثيلي ؛ لأن وجه الشبه فيه يحصل بضرب من التأول، وهو عدم استطاعة الإنسان الذي ختم الله على قلبه عن استيعاب الإسلام ؛ لعدم وجود الهداية منه سبحانه وتعالى ، كعدم استطاعة وصول الإنسان إلى السماء بدون مساعدة خارجية ؛ لأنّ لا يوجد فيها ما يحتاج إليه الإنسان في حياته وهو الأوكسيجين . وهذه الآية ليست من باب الاستعارة كما قال علاء الدين المدرس [٤]؛ لأن الطرفين ؛ المشبه والمشبه به مذكوران .

(١) بكري شيخ أمين ، التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ــ بيروت ، ط (١) ، ١٩٧٣: ١٩٤

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧

(٣) ينظر : أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، ٣ : ١٨٣ وينظر : محمود صافي ، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة ، دار الرشيد ــ دمشق ، ط (١) ، ١٩٩٠، ٤ : ٢٧٩

(٤) ينظر : علاء الدين شمس الدين المدرس ، الظاهرة القرآنية والعقل ، دراسة مقارنة للكتب المقدسة : ٢٣٤

ب ـ التشبيه بالذي لا يستقر في الهواء

قال الله تعالى : ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيرَ مُشرِكِين بِه ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّه فكأنّما خَرَّ مِن السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهْوِي بِه الرّيحُ في مَكانٍ سَحِيق ﴾ [١]

في هذه الآية يأمر الله عباده بأن يكونوا على الصراط المستقيم ، " مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له ، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام ، غير مشركين به شيئا من دونه " [٢] ﴿ حنفاء لله غير مشركين به ﴾ مائلين عن أية عقيدة غير عقيدة التوحيد التى تقوم على الشهادة ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وكل اعتقاد، أو تفكير ، أو مقولة بخلاف هذه العقيدة ، إنما هو ضرب من الشرك المذموم ، الذي يزل الإنسان باتباعه، ويرتكب أكبر خطيئة أو معصية في حياته؛ لأن الشرك بالله من أعظم الكبائر . . ولأن الشرك افتراء وكذب على الله ، و حتى يتوضح قدر الجرم الذي يرتكبه الإنسان عندما يشرك بالله تعالى، يبين لنا سبحانه وتعالى بأن ذلك الإنسان يكون كأنما سقط من شاهق عالٍ ، لا أحد من البشر يعرف مدى هذا العلو ، فتتلقفه الطيور بجوارحها ، و " تقطعه بمخالبها" [٣] لتمزق لحمه إربا إربا ، وتكسر عظامه قطعا قطعا ، ويعلق سيد قطب على الآية الكريمة بقوله: "يريد أن يبين أن الذي يشرك بالله ، لا منبت له ولا جذور ، ولا بقاء له ولا استقرار " [٤] ويقول أيضا : " والملحوظ هو سرعة الحركة مع عنفها، وتعاقب خطواتها في اللفظ (بالفا) وفي المنظر بسرعة الاختفاء . . . " [٥] لقد تمزق هو قبل أن يصل إلى الأرض ؛ لأن المسافة بين الأرض والسماء بعيدة ، ولذلك فان الطير تتوزعه فيصير غذاء لها قبل أن يصل إلى الأرض .

(١) سورة الحج : ٣١

(٢) الطبري ، تفسير الطبري ، ٩ :١٤٥

(٣) القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، د . ط ، ١٩٩٣ ، ١٢ : ٣٨

(٤) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ـــ بيروت ، ط (٨) ، ١٩٨٣ : ٤٣

(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٤ : ٢٤٢١

وزيادة في التجريح والإيذاء، فقد جعل للمشبه به صورة أخرى هي صورة من يهوي إلى مكان سحيق، تعصف به الرياح كيفما تشاء، تهوي به وتسير سيرا سريعا إلى مكان عميق ؛ فالمكان هنا منكّر؛ لأنه مكان غير معروف ، وهذا هو سر الرهبةوالخوف ، "والصورة صورة غريبة كما ترى ، إنسان يخر من السماء ولم يسقط على الأرض، وإنما يضيع بين السماء والأرض " [١].

فالآية الكريمة ترسم لنا مشهدا مرعبا لمن يشرك بالله عز وجل ؛ لأن من "أشرك بالله فقد سقط عند الله"[٢] ، فهو يصور حال من تزل قد ماه عن خط التوحيد فيهوي إلى درك الشرك ، فإذا هو ضائع ، قد ذهب بددا ، وكأن لم يكن أبدا ، وهي صورة قرآنية صادقة لحال من يشرك بالله ، فيهوي من أفق الإيمان السامق إلى حيث لا فناء فينطوي الذكر ، ولا نجاة ترجى . .

هذا التشبيه يمكن أن يكون مركبا، أو مفرقا : [٣]

فكون التشبيه مركبا ؛ لأنه يشبه من يشرك بالله تعالى بالرجل الذي تسبب في هلاك نفسه هلاكا لا ترجى معه نجاة ، ولأنه يصور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته الطير في الفضاء، ثم مزقته مزقا بمخالبها ، أو عصفت به ريح وهوت به في أودية سحيقة ، بعيدة الأغوار ، أو حيث لا قرار.

ويكون التشبيه مفرقا ، إذا شبه الإيمان في علوه بـ (السماء) ، والذي أشرك بالله وترك الإيمان بـ (الخار من السماء) ، والأهواء التي تتوزع أفكاره بـ(الطير المختطفة) ، والشيطان الذي يضله بـ (الريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة) .

---

(١) محمد أبو موسى ، التصوير البياني ، دراسة تحليلية لمسائل البيان : ٩٩

(٢) الترمذي ، أبو عبدالله محمد بن علي الحكيم ، الأمثال من الكتاب والسنة ، تحقيق : السيد الجميلي ، دار ابن زيدون - بيروت ، د . ط ، د . ت : ٣٢

(٣) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٣ : ١٢ ــ ١٣ وينظر: النسفي ، أبو البركات عبد الله ، تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، دار الفكر للطباعة والنشر ، د . ط ، د . ت ، ٣ : ١٠١ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٦ : ٣٤٠

ويرى الباحث أن التشبيه المركب في مثل هذه الصورة أولى من المفرق؛ لأنه يحتاج إلى التكلف في التخريج ، وهذا قد يكون غير مراد الله سبحانه وتعالى .

* * *

٢ ـ تشبيه الإنسان بالطبيعة البرية

أ ـ التشبيه بالحجارة

قال الله تعالى : ﴿ ثُم قَسَتْ قُلوبُكم مِنْ بَعْدِ ذلك فَهِيَ كالْحِجَارَةِ ، أوأَشَدُّ قَسْوَةً ، وإنّ مِنَ الْحِجارةِ لَمَا يتَفَجَّرُ منه الأنْهَارُ ، وإنّ مِنها لَمَا يَشَّقَّقُ فيَخرجُ مِنه الماءُ ، وإنّ مِنها لَمَا يَهْبِط مِن خَشْيَة اللّه ، ومَا اللّه بِغَافِلٍ عَمّا تَعْملون ﴾ [١]

أورد الله سبحانه وتعالى قبل هذه الآية الكريمة معجزة إحياء الموتى التي تدل على قدرة الله تعالى وهي في قوله : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم أياته لعلكم تعقلون ﴾[٢] أي عندما ضرب اليهود قتيلا لهم بأجزاء من بقرة فأحياه الله تعالى ، فأشار القتيل إلى من قتله ، وبعد فعله هذا أماته الله مرة ثانية ،[٣] وهذه الآية قدرآها اليهود بأعينهم ، وليس هذه فقط، وإنما هناك آيات كثيرة شاهدوها ، مثل انبثاق اثنتي عشرة عينا من الصخرة الكبيرة ، ويشرب من كل عين سبط من أسباطهم الاثني عشر[٤]، ومعجزة انفلاق أمواج البحر؛ ليعبروا من بينها، ولينجوا من ظلم فرعون [٥] ، وأيضا مثل معجزة المنّ والسلوى التي أنزلها الله تعالى عليهم من السماء ليأكلوا منها ، وهم في الصحراء القاحلة [٦]. . .

كل هذه الآيات رآها اليهود وشاهدوها بأنفسهم ولكن مع ذلك لم يؤمنوا، ولم يتبعوا ما جاءمن عند الله إلا ما يوافق هواهم . .

---

(١) سورة البقرة : ٧٤

(٢) سورة البقرة : ٧٣

(٣) ينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ١ : ٤٢٥

(٤) ينظر : قوله تعالى : ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم ﴾ سورة البقرة : ٦٠

(٥) ينظر : قوله تعالى : ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ سورة الشعراء : ٦٣

(٦) ينظر : قوله تعالى : ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ سورة البقرة : ٥٧

في هذه الآية الكريمة خاطب الله اليهود ، بعدما رأوا معجزة البقرة في إحياء القتيل ، بقوله : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ "وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى ، قال أبو العالية ، وقتادة ، وغيرهما : المراد قلوب جميع بني إسرائيل ، وقال ابن عباس : المراد قلوب ورثة القتيل ؛ لأنهم حين حَيِيَ ، وأخبر بقاتله ، وعاد إلى موته أنكروا قتله ، وقالوا : كذب ؛ بعد ما رأوا هذه الآية العظمى ؛ فلم يكونوا قط أعمى قلوبا ، ولا أشد تكذيبا لنبيهم منهم عند ذلك" [١] ، بينما رجح الرازي بأن المراد في هذه الآية هم أهل الكتاب في عصر سيدنا محمد (ﷺ) بعد أن رأوا البينات التي جاءت على سلفهم ، والعقاب على من أصر على المعصية منهم ، وعلى كل من دان بالتوراة ممن سواهم بجفائهم عنها ، حيث علل لذلك بقوله : "لأن قوله تعالى ﴿ ثم قست قلوبكم ﴾ خطاب مشافهة فحمله على الحاضرين أولى" [٢].

شبه الله قلوبهم في عدم تأثرها بالحق ، واستجابتها للداعي إليه بالحجارة ، "لأن لليهود بها سابق عهد . . . ، وبهذا تتحقق الملائمة المعنوية في السياق" [٣] ووجه الشبه فيه القسوة ، أي : "فصارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمد قاسية ، بعيدة عن الموعظة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات ، فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج للينها ، أو أشد قسوة من الحجارة ، فإن من الحجارة ما يتفجر منها العيون بالأنهار الجارية ، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء وإن لم يكن جاريا ، ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله ، وفيه إدراك لذلك بحسبه" [٤].

ولعل هذه القسوة في قلوبهم بسبب إنكارهم على هذه المعجزات العظيمة التي شاهدوها بأعينهم ، أو بجفائهم عما تتضمن التوراة من الحقائق ،

---

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١ : ٣١٤

(٢) الرازي ، محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر ـ بيروت ، ١٩٩٤ ، ٣ : ١٣٨

(٣) محمد حسن مخلوف ، طرفا التشبيه القرآني بين السياق والدلالة ، رسالة دكتوراة من جامعة الأزهر الشريف ، ١٩٩٢ : ٢١٥

(٤) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل القرشي ، تفسير القرآن العظيم ، دار الجيل للطباعة ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٩١ ، ١ : ١٢١

وهـــذه القسوة نوع من عذاب الله لليهود في دنياهم قبل آخرتهم لأعمالهم السيئة ، وليس في ذلك كما قال أبو حيان: "وفي ذلك إشارة إلى أن اعتياص قلوبهم ليس لعارض ، بل خلق ذلك فيها خلقا أوليا كما أن صلابة الحجر كذلك"[١] لأن الله ليس بظلام للعبيد .[٢]

وأما سر عدم استعمال أفعل التفضيل من الفعل نفسه " أقسى" بل : (أشد قسوة) لبلوغ قلوبهم في القسوة درجة عظيمة كما قال الزمخشري : " لكونه أبين وأدل على فرط القسوة " [٣].

وهذا التشبيه يُعد من تشبيه العقلي بالعقلي ، كما ذكر ذلك الزركشي[٤] ؛ لأن القلوب التي لا تلين بالمواعظ وبما شاهدت قاسية [٥]، لعدم ذكر الله،عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ) : (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي) [٦] وإنها لاتثمر الخير أبدا ، مثل الحجارة فهي ليست موضعا صالحا للإنبات [٧].

ويعد من التشبيه المرسل المفصل ، المرسل لكون أداة التشبيه فيه مذكورة ، وهي "الكاف" ، والمفصل لكون وجه الشبه فيه مذكورا وهو القسوة ،

(١) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ١ : ٤٢٨

(٢) ينظر : قوله تعالى : ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ سورة آل عمران : ١٨٢

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ١ : ٢٩٠

(٤) ينظر : الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات المكتبة العصرية ــ بيروت ، د . ط ، د . ت ، ٣ : ٤٢٠

(٥) ينظر : شوقي ضيف ، الوجيز في تفسير القرآن الكريم ، دار المعارف ــ القاهرة ،د . ط ، د . ت : ٢٥

(٦) الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٧ ، ٤ : ٥٢٥

(٧) ينظر : محمد أبو موسى ، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان : ٢٠

وليس كما ذهب إليه الصابوني حيث أسماه "مجملا" ؛ لعدم ذكر وجه الشبه [١].

ب ـ التشبيه بالصفوان

قال الله تعالى : ﴿ يا أيّها الذِينَ آمَنُوا لا تُبطِلوا صَدَقاتِكم بالْمنِّ والْأَذَى، كالّذي يُنفِق مالَه رِئآء النّاسِ ولايُؤمِنُ باللّه واليَوْمِ الآخِرِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عليْه تُرَابٌ فأَصَابَه وَابِل فَتَرَكَه صَلْدا ، لا يَقْدِرونَ عَلى شَيْءٍ مِمّا كسَبوا ، واللّهُ لا يَهْدي الْقَوْمَ الْكَافِرين ﴾[٢]

المال قد يكون على صاحبه نعمة من النعم، أو نقمة من النقم ؛ لأن المال والبنين زينة الحياة الدنيا ، والرياء نوع من المرض الذي يعاني منه المجتمع الإنساني ، والذي بواسطته يريد الإنسان الماكر الوصول إلى ما يريده من أغراض شخصية ، دون أن يراعي عاقبته . . .

وحينما أمر الإسلام المسلمين بالصدقات كان يرجو من وراء ذلك إخلاص العبادة، والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك أمر الله تعالى الذين آمنوا بألا يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى ، بل بالمحافظة على مشاعر مستلميها لكي لا يمتهن بهما فجعلهم يحسون بالألم النفساني ، وجعلت هذه الصدقة على متصدقها نقمة، وندما في العاقبة حيث لا ينفع الندم .

فقد صور الله هؤلاء المسلمين الذين يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى، بالمرائين في الإنفاق .

ذكر الطبري بأن المراد من المرائين هنا المنافقون [٣] . ويرى القرطبي بأن المراد الكفار [٤]، بينما يرى أبو حيان جواز أي واحد منهما ، حيث قال : ضرب

(١) ينظر : محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير للقرآن الكريم جامع بين المأثور والمعقول ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، د . ط ، ١٩٩٢ ، ١ : ٦٩

(٢) سورة البقرة : ٢٦٤

(٣) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ٣ : ٦٦

(٤) ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٣ : ٢٠٣

الله لهذا المنافق المرائي، أو الكافر المباهي" [١].

ويميل الباحث في هذا إلى الرأي الأخير ؛ لأن القرآن لم يخصص أي واحد منهما ، بل أشار إلى أن المراد من المرائين هنا هم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وهذه الإشارة تصدق على الكفار الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر صراحة ، وعلى المنافقين الذين أخفوا كفرهم بهما ، ولذا فالنص القرآني يشمل جميع المرائين كفارهم، ومنافقيهم .

وقد شبه الله المؤمنين المنفقين الذين يبطلون صدقاتهن بالمن والأذى، بالمرائي الكافر أو المنافق ، وشبه المرائي بالصفوان . . ؛ لأن الضمير في (فمثله) يعود على (الذي ينفق ماله رئاء الناس) كما رجح ذلك أبو حيان ؛ لقربه منه و لإفراده ، [٢] وتشبيه هذا المرائي في نفقته الذي لا ينتفع بها البتة بحجر أملس علي تراب . . في قوله تعالى ﴿ فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا. . .﴾ فيه ما فيه من دقة التمثيل " أي مثل المرائي في نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبتة طيبة ، فإذا أنزل عليها المطر انكشف التراب ، فيبقى الحجر لا منفعة فيه ، فكذلك المرائي يظن أن له أجرا ، فإذا كان يوم القيامة انكشف سره، ولم تنفعه نفقته" [٣] وفي هذا المثل يقول ابن قيم : "وتأملْ أجزاء هذا المثل البليغ ، وانطباقها على أجزاء الممثل به ، تعرفْ عظمة القرآن وجلالته ، فإن الحجر في مقابلة قلب هذا المرائي والمانِّ والمؤذي ؛ فقلبه في قسوته عن الإيمان والإخلاص والإحسان بمنزلة الحجر ، والعمل للذي عمله لغير الله بمنزلة التراب الذي على ذلك الحجر ؛ فقسوة ما تحته وصلابته تمنعه من النبات والثبات عند نزول الوابل ؛ فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء، وينبت الكلأ ، وكذلك قلب المرائي ليس له ثبات عند وابل الأمر، والنهي، والقضاء، والقدر ...، وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرائي ونفقته، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوج ما كان

---

(١) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٢ : ٣٢١

(٢) ينظر : المصدر نفسه ، ٢ : ٣٢١

(٣) الكلبي ، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي ، التسهيل لعلوم التنزيل ، دار العربية للكتاب ، د . م ، د . ط ، د . ت : ٩٢

إليه"[١] ، خلافا لما ذهب إليه الرازي وغيره في أن هذا المثل ـ بالصفوان ـ ضرب لعمل المان المؤذي ، ولعمل المرائي معا [٢] ، لكن لا دليل لديهم في جمع المنّان المؤذي، والمرائي في هذه الآية الكريمة .

ويميل الباحث إلى الرأي الأول ؛ لوجود الضمير المناسب الذي يعود على المرائي، وليس على المنّان المؤذي والمرائي معا .

وفي هذا التشبيه ما يناسب الجو التصويري ؛ لأن "القلب الصلد المغشى بالرياء يمثله ﴿ صفوان عليه تراب ﴾ حجر لا خصب فيه ولا ليونة ، يغطيه تراب خفيف يحجب صلادته عن العين ، كما أن الرياء يحجب صلادة القلب الخالي من الإيمان . . " [٣] ، وهذا المشبه به من نوع الطبيعة الصامتة غير النباتية [٤] كما الحال في التشبيه بالحجارة السابق الذكر .

ويُعد هذان التشبيهان من التشبيه التمثيلي؛ لأن وجه الشبه فيهما ينتزع بضرب من التأول ، وهو عدم فائدة أعمالهم في العاقبة .

جـ ـ التشبيه بحبة الزرع

قال الله تعالى :﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقون أمْوَالَهم في سَبيلِ اللّهِ، كَمَثَلِ حَبّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْع سَنَابِلَ ، في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّة ، واللّهُ يُضاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ، واللّهُ واسعٌ عَليمٌ﴾[٥]

إن المال الذي قسم الله لعباده ، والذي يجهد الإنسان في جمعه

(١) ابن قيم الجوزية ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٧٧، ١ : ١٨٥ ـ ١٨٦ وينظر : للمؤلف نفسه : الأمثال في القرآن الكريم ، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة ـ بيروت، ط (٢) ، ١٩٨٢ : ٢٥٧ـ٢٥٨

(٢) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٧ : ٥٩ وينظر : كاصد ياسر الزيدي ، الطبيعة في القرآن الكريم : ٣٨٨

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١ : ٣٠٩ وينظر : محمد رجب البيومي ، البيان القرآني ، دار النصر للطباعة ـ القاهرة ، د . ط ، ١٩٧١ : ٩٦

(٤) ينظر : كاصد ياسر الزيدي ، الطبيعة في القرآن الكريم : ٤٤٥

(٥) سورة البقرة : ٢٦١

هـو أمانـة مـن عند الله ، ولـكن هـذا الـرزق كما ذكـر إمـا أن يكـون نعمـة، أو نقمـة على صـاحبه .

فـإذا اسـتعمل الإنسـان هذا الرزق في السـبيل الذي أمر الله أن ينفق فيـه، فإنه سيكون خيرا له في دنياه، وأخراه؛ لأن الله تعالى قد وعد بهذا في القرآن الكريم فقال: ﴿يربي الصدقات﴾ [١] وعلى العكس من ذلك إذا أنفق الإنسان المال في السبيل الذي لا يرضـى عنه الله تعالى . . فسيكون مصيره إلى زوال .

من هنا كان الله وما يزال يحض الناس على الإنفاق، فـي الأعمال الخيرية التي ترضيه سبحانه وتعالى بأموالهم التي رزقها إياهم، وبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأن المال الذي ينفق في سـبيله يضـاعف يـوم القيامة أضعافا كثيرة ، و "الأعمال الصالحة ينميها الله ـ عز وجلَّ ـ لأصحابها ، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة" [٢] وهـذا الإنفاق هـو قرض يقرضه المنفق لـربه الغني الكريم ، ليجزيه له أضعافا مضاعفة في الدنيا والآخرة [٣] كما قال الله تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قـرضا حسنا فيضاعفه له أضـعافا كثيرة ﴾ [٤] ولعل لهذا الوعد سراً في معالجة النفوس الشحيحة .

ويكون هذا الإنفاق في سبيل الله في جميع وجوه البر والخير ، كما ورد ذلك في قول الرسول (ﷺ) : (النفقة في الحج كالنفقة في سـبيل الله بسـبعمائة ضعف) [٥] إن ظاهر الآية السابقة لا يختص بالإنفاق على الجهاد في سبيل الله كما ذكر الطبري في تفسيره : "يعني بذلك : مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم في جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم" [٦] ، وإنـما هذا يدل على إطـلاقه في أي عـمل مـن

(١) سورة البقرة : ٢٧٦

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١ : ٣٣٩

(٣) ينظر : عـبـد القـادر حسـين ، من علوم القـرآن وتحليل نصـوصـه ، دار قطري بن الفجاءة ـ قطر ، د . ط ، ١٩٨٧ : ٥٢

(٤) سورة البقرة : ٢٤٥

(٥) ابن حنبل ، أحـمـد ، مـسـند أحـمـد بن حنبل ، ISTANBUL _ CAGRI YAYINLARI ، د . ط ، ١٩٨٢ ، ٥ : ٣٥٥

(٦) الطبري ، تفسير الطبري ، ٣ : ٦١

أعمال البر ، بشرط أن يكون هذا العمل لوجه الله ، ولا يتبع هذا الإنفاق بالمن ، وبتعداد ما أنفق ، وإذلال المعطى له ، وألاّ يرافقه أذًى يمسّ كرامة المُنعَم عليه ، فهذا هو الأقرب لما دعا إليه الإسلام في الوصول إلى أهداف سامية [١] ولما جاء في قول الرسول (ﷺ) في شأن الإنفاق السالف الذكر، يقول أبو حيان: " وهذا المثل يتضمن التحريض على الإنفاق في سبيل الله ، جميع ما هو طاعة، وعائد نفعه على المسلمين، وأعظمها وأعناها الجهاد لإعلاء كلمة الله" [٢].

ضرب الله هذا المثل في الإنفاق في سبيله تعالى بالنبات بعد بذر حبة ، فالإنسان هو الذي يبذر الحبة ، ولا تنبت الحبة عادة إلا سنبلة واحدة ، ولكن التشبيه القرآني يريد إبراز فضل الإنفاق في سبيل الله ، فبيّن أن هذا الإنفاق كمثل الحبة التي وضعت في الأرض . . . ثم أنبتت سبع سنابل ، وكل سنبلة تحمل مائة حبة ، فيكون مجموع ما ينتج عن الحبة الواحدة سبعمائة حبة ، وهذا أقل ما يحصل عليه المنفقون في سبيل الله . . وقد يستغرب الإنسان ذلك ، ولكن إذا فكر قليلا بأن الله هو المنبت ، والحبة مجرد سبب أسند إليها الإنبات كما أسند إلى الأرض والماء ، فلن يستغرب أيضا إذا كان الله هو الذي يضاعف ، وما كان التشبيه إلا تصورا للأضعاف كأنها ماثلة أمام عيني الناظر . . ولا يقدح فيه ان المشبه به غير موجود في الواقع ؛ لأن التشبيه على سبيل الفرض والتقدير [٣] ، و"هي صورة حسية ماثلة أمام النظر لمن تأمل، وهي صورة عجيبة إذ لا عهد للزارع بمثلها ، تقرب للأفكار كيفية تكثير الله لثواب المنفقين المخلصين" [٤].

والإنفاق الذي يتقبله عز وجّل ويضاعفه في الدنيا والآخرة ، هو

(١) ينظر :كاصد ياسر الزيدي ، الطبيعة في القرآن الكريم : ٣٩٢

(٢) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٢ : ٣١٥

(٣) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ١ : ٣٩٣ وينظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، ١ : ٢٥٧ وينظر : خليل ياسين ، أضواء على متشابهات القرآن : ١١٦

(٤) عبد العظيم المطعني ، الحكمة ، والمثل والتمثيل ، نظرات في أصولها وخصائصها البلاغية ، مجلة بحوث كلية اللغة العربية ، المملكة العربية السعودية ـ مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، السنة الثانية ، العدد الثاني ، ١٩٨٤ / ١٩٨٥ : ١٣٩

الإنفاق الذي يرفع من قدر الإنسان ولا يضعفه ، وهو الذي لا يؤذي كرامة هذا الإنسان، ويكون في نفس الوقت متجها إلى الله وحده ؛ لابتغاء مرضاته الكريم ، أما مضاعفة الله في رده فهو لمن يشاء هو نفسه إلى ما لا نهاية له [١]، و"ذلك بحسب حال المنفق وإيمانه، وإخلاصه، وإحسانه، ونفع نفقته، وقدرها، ووقوعها موقعها ؛ فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان، والإخلاص، والتثبيت عند النفقة ، وهو إخراج المال بقلب ثابت قد انشرح صدره بإخراجه ، وسمحت به نفسه ، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده ، فهو ثابت القلب عند إخراجه" [٢].

هذا التشبيه يهدف إلى التربية في إثارة مطامع الإنسان ؛ لأنهم يعرفون قيمة العطاء الزراعي إذا أقبل ، وكانت إثارته للمزارع والتاجر بطبعه أعظم وأكثر ، فأي إنسان لا يحب الربح ؟ . . . وأي إنسان لا يطمع بزيادة الثروة ؟ . . . إذن هذا الغرض سيؤدي ذاتيا إلى الترغيب في الأنفس على بذل الأموال في سبيل الله [٣].

ويعد هذا من التشبيه المقيد ؛ لأن المؤمنين مقيدون في إنفاقهم ، ليكون في سبيل الله ، كما قيدت ذات الباذر ببذره حبة أنبتت سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، ومن التشبيه التمثيلي؛ لأن وجه الشبه فيه ينتزع بضرب من التأول ، حيث إن المنفق زارع خير ، و الباذر زارع حبوب ، كلاهما عاد إليه ما أخرجه بالنفع أضعافا مضاعفة .

د ـ التشبيه بالزرع

قال الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، والَّذِينَ مَعَه أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهم ، تَرَاهُم رُكَّعًا سُجَّدًا ، يَبْتَغونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ ورِضْوَانا، سِيمَاهُم

---

(١) ينظر : الترمذي ، الأمثال من الكتاب والسنة : ٢٤

(٢) ينظر : ابن قيم الجوزية ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ١ : ١٨٤ وينظر : للمؤلف نفسه ، الأمثال في القرآن الكريم : ٢٥٣ ـ ٢٥٤

(٣) ينظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ، دار القلم ـ دمشق ، ط (٢) ، ١٩٩٢ : ٨٦ ـ ٨٧ وينظر: فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع : ٩٢

في وُجوهِهِمْ مِن أَثَرِ السُّجودِ ، ذلك مَثَلُهُم في التَّوْرَاة ، وَمَثَلُهُم في الإنجيلِ كَزَرْعٍ أخْرَجَ شطْأَهُ ، فآزَرَه فاسْتَغْلَظ فاسْتَوى على سُوقِه ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ ، وَعَدَ اللّهُ الذين آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ مِنْهم مَغْفِرةً وأجْرًا عَظِيمًا ﴾ [١]

وصف الله تعالى حبيبه المجتبى (ﷺ)، وأصحابه الكرام في هذه الآية الكريمة بهذه الصورة الوضيئة ، ليرد على كيد قريش في استهزائهم به ووصفهم إياه(ﷺ) بالضعف، وقلة الأعوان، بعكس ما ظنوا فيه ، وشبهه في الآية بما خالف ما زعموه [٢]، وبهذا الثناء الكريم على تلك الجماعة الفريدة التي رضى الله تعالى عنها، وبلغها رضاه ، فقد ذكر اسم حبيبه سيدنا محمد (ﷺ)؛ ليزيل كل شبهة بشأنه ، بقوله تعالى : ﴿ محمد رسول الله ﴾ ففيها اجتباء ، واصطفاء، وتمييز ، وفيها عهدة إلى من يقدر على تحمل العبء ، والقيام بما يفرضه التكليف ، وهي مزية خاصة لفرد معين من بني البشر يحمل وسام الرضى، وشرف الرفعة والسمو ؛ لأنها العطاء الإلهي والفضل الكبير . . . وليعلم أهل السماوات والأرض، بأن ليس هناك صفة لنبينا محمد (ﷺ) أرفع وأعظم من أن يكون رسول الله سبحانه وتعالى للناس كافة ، فليكن ذلك سبيلا للإيمان برسالته ، والالتفاف حوله لنصرة دينه .

بعد هذا البيان عن مهمة حبيبه (ﷺ) ، ذكر الله تعالى بعض صفاته هو ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم ، بقوله : ﴿ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . . . ﴾ أي أن "صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار ، رحيما برا بالأخيار ،غضوبا عبوسا في وجه الكافر ، ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن " [٣]، كما في قوله تعالى: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ [٤]، وكما قال الرسول (ﷺ) : (مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه

(١) سورة الفتح : ٢٩

(٢) ينظر : ابن ناقيا ، عبد الله البغدادي ، الجمان في تشبيهات القرآن ، تحقيق : مصطفى الصاوي الجويني ، مطبعة الجيزة بالإسكندرية ، د . ط ، د . ت : ٢٥٨

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٢١٥

(٤) سورة المائدة : ٥٤

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى)[١]، يقول سيد قطب في هذه الصفة مبينا لها :" فهي الشدة لله والرحمة لله ، وهي الحمية للعقيدة ، والسماحة للعقيدة ، فليس لهم في أنفسهم شيء ، ولا لأنفسهم فيهم شيء ، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم ،كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها ، يشتدون على أعدائهم فيها ، ويلينون لأخوتهم فيها ، قد تجردوا من الأنانية ومن الهوى ، ومن الانفعال لغير الله . . ."[٢].

ومن صفاتهم أنهم راكعون ساجدون يلتمسون زيادة النعمة من رضى الله سبحانه وتعالى ، وليس هناك أعظم وأجل من رضى الله على عباده ؛ لأن من ناله فقد فاز في الدارين .. وقد وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ تميز سيماهم في وجوههم بالأثر الظاهر على جباههم من كثرة السجود بالوضاءة، والإشراق، والصفاء ، وقد اختار لفظ ﴿ السجود ﴾؛ لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها ، فإن هذا الخشوع يظهر في الجبهة ، وفي ملامح الوجه حيث تتوارى الكبرياء والطواغيت ، ويحل مكانها التواضع النبيل ، الذي يزيدهم لطفا، وكياسة، ورحمة ، وهذه الصورة ليست مبتدعة، وإنما جاء ذكرها في التوراة والإنجيل كما قال ابن عباس :" نعتهم مكتوبا في التوراة والإنجيل قبل أن يخلق الله السماوات والأرض"[٣]، ﴿ ذلك مثلهم في التوراة﴾ أما في الإنجيل فقد ذكرت أوصافهم مع الرسول (ﷺ) بأنهم كزرع . . . ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾ هذه هي بشارة من الله سبحانه وتعالى في الإنجيل بمجيئ سيدنا محمد رسول الله (ﷺ) بعد عيسى عليه السلام ، وهذه هي صفته مع أصحابه الكرام ، حيث إنهم يكونون في الابتداء قليلا ، ثم يزدادون

---

(١) مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، CAGRI YAYINLARI _ ISTANBUL ، د.ط ، د.ت ، ٣ : ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٦ : ٣٣٣٢

(٣) ابن عباس ، عبد الله بن عباس ، تفسير ابن عباس المسمى صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم ، تحقيق : راشد عبد المنعم الرجال ، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٩١ : ٤٥٧

ويكثرون ويقووون كالزرع ، قال الطبري : " إنما مثلهم بالزرع المشطئ ؛ لأنهم ابتدأوا في الدخول في الإسلام ، وهم عدد قليلون *، ثم جعلوا يتزايدون ، ويدخل فيه الجماعة بعدهم ، ثم الجماعة بعد الجماعة ، حتى كثر عددهم ، كما يحدث في أصل الزرع الفرخ منه ، ثم الفرخ بعده حتى يكثر وينمي " (٢). وهذه الميزة الفريدة التي توجد في أصحاب الرسول (ﷺ) لا توجد في أصحاب الرسل السابقين عليهم السلام كما قال الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ (٣) وقد علّل سبب هذا الفضل الإمام الشافعي رضي الله عنه ، بقوله : " ففضلهم : بكينونتهم من أمته(ﷺ)، دون أمم الأنبياء قبله " (٤).

هذه الصورة غنية عن الشرح ، ومثل واضح لا يحتاج إلى بيان ، فهي مظهر نماء الأمة الإسلامية، وتكاثرها، وتماسكها، ووحدة كيانها ، متمثلا في سيدنا محمد (ﷺ) في بدئها ، ثم القلة المخلصة التي اجتمعت حوله إلى التكاثر السريع ، حتى أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، (٥) وهذا التشبيه يعلمنا بأن الإسلام قد تم كماله في صورة دقيقة ، حيث شبهت أطوار نموه بأطوار نمو الزرع ، وهي مراحل طبيعية لا تخالف سنن النشوء والارتقاء . . . وفي هذا لا يريد الله سبحانه وتعالى أن يشبههم في المقدار ؛ لأن " جثثهم أكبر، وأعظم مقدارا من

---

* أي : قلة العدد ودقة الجثة ، يقال : قوم قليلون وأقلاء وقُلٌّ وقُلُلون . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب مادة : قلل ، ١١ : ٥٦٤

(٢) الطبري ، تفسير الطبري ، ١١ : ٢٧٢ وينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٦ : ١٩٤ وينظر : الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر – بيروت ، د . ط ، ١٩٩٣، ٥ : ٨١

(٣) سورة آل عمران : ١١٠

(٤) الشافعي ، أبو عبدالله محمد بن إدريس ، أحكام القرآن ، جمعه الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي النيسابوري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، د . ط ، ١٩٨٠، ٢ : ٥

(٥) ينظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع : ١٠٠

الزرع"[١]، وإنما كان وجه الشبه بينهما هو التدرج في مراحل النمو من القلة إلى الكثرة، ومن الضعف إلى القوة .

هذا النمو الذي يسبب الغيظ والكمد والحقد للكفار ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ كما قال الزمخشري : " لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم، وترقيهم في الزيادة والقوة " [٢].

وفوق هذا التكريم، وعدهم الله تعالى بالمغفرة والأجر العظيم نتيجة إيمانهم، وعملهم الصالح ، بقوله : ﴿ وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ و في قوله تعالى : ﴿ منهم ﴾ يقول السيوطي أن : "مِن لبيان الجنس لا للتبعيض ؛ لأنهم كلهم بالصفة المذكورة " [٣].

وذكر الإمام النسفي أن: "هذه الآية ترد قول الروافض إنهم كفروا بعد وفاة النبي (ﷺ) إذ الوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ، إنما يكون أن لو ثبتوا على ماكانوا عليه في حياته"[٤]، ولهذا القول كفّر الإمام مالك الروافض الذين يبغضون الصحابة ، كما ذكره ابن كثير : "ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه ، في رواية عنه ، بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم ، قال : لأنهم يغيظونهم ، ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ، ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك" [٥].

(١) ابن أبي الحديد، عزالدين عبد الحميد المدائني، الفلك الدائر على المثل السائر ، تحقيق: أحمد الحوفي، دار الرفاعي ـ الرياض، ط (٢) ، ١٩٨٤ : ٢٠٢

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ٣ : ٥٥١

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ، تفسير الجلالين ، دار الفكر ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨٩ : ٥٥٣ وينظر: البيضاوي ، عبدالله بن عمر ، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار االتأويل ، (ضمن حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي) ، دار صادر ـ بيروت ، د . ط ، د . ت ، ٨ : ٧٠ وينظر : الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، د . ط ، د . ت ، ٢٦ : ١٢٨

(٤) النسفي ، تفسير النسفي ، ٤ : ١٦٥

(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٢١٦

ويعد هذا من التشبيه التمثيلي ؛ لأن وجه الشبه فيه ينتزع بضرب من التأول ، وهو التدرج في النمو ، والتحول من القلة إلى الكثرة والقوة .

هـ ـ التشبيه بالخشب

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذا رَأَيْتَهم تُعْجِبُك أَجْسَامُهم، وإِنْ يَقُولوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ، كأنّهم خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ، يَحْسَبونَ كلَّ صيْحَةٍ عليْهم، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُم، قَاتَلَهُم اللّهُ، أنّى يُؤْفَكون ﴾ (١)

حذر الله سبحانه وتعالى حبيبه المصطفى (ﷺ) ـ قبل هذه الآية ـ من كيد المنافقين وخداعهم ، في قوله : إذا جاءك المنافقون ، وقالوا بألسنتهم خلاف ما في صدورهم ، فهذا شيء معروف ؛ لأنك يا محمد رسول الله للناس كافة ، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما يشهدون به أمامك مخالفا لما يضمرونه ؛ لأنهم لا يريدونك رسولا ، ولايريدون أن يتبعوا ما جئت به من الدين الحنيف (٢). أما الإيمان الذي يظهرونه إنما يقولونه للتقية ، وليخفوا أمرهم وحقيقتهم على المسلمين ، وإنهم كانوا يحلفون الإيمان كلما افتضح أمرهم ؛ لكي يأمنوا على أنفسهم، وأموالهم ، في حين أنهم صدوا عن سبيل الله ، بإظهار هم أنهم يناصرونه (ﷺ) ، بينما كانوا في الحقيقة يبطنون عكس ذلك ، من تدبيرهم له الدسائس مع المشركين، وإنهم كانوا يبثون بين المسلمين روح الشقاق والنزاع، وغير ذلك من الأعمال الخبيثة (٣).

ثم بعد ذلك شبه الله حسن مظهرهم، وحسن قاماتهم مع فراغ الإيمان في قلوبهم بالخشب المنصوبة إلى الحائط ، يحسب كل من يراها أنها سليمة

---

(١) سورة " المنافقون " : ٤

(٢) ينظر : قوله تعالى ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ سورة "المنافقون" : ١

(٣) ينظر : قوله تعالى : ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ سورة "المنافقون" : ٢

صحيحة ، وهي في حقيقة أمرها متهالكة متآكلة [١]،﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾ "وهي الخشبة التي دعرجوفها أي فسد ، شُبهوا بها في نفاقهم، وفساد بواطنهم" [٢] قال الزمخشري: "شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير، بالخشب المسندة إلى الحائط ، ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظانّ الانتفاع ، وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط" [٣] وأنهم كانوا لا يسمعون، ولا يعقلون ، كأشباح بلا أرواح ؛ وأجسام بلاأرواح ، لأن الخُشب لاتعقل ولا تفهم ، فكذلك أهل النفاق ، كأنهم في ترك التفهم والاستبصار بمنزلة الخُشب المسندة التي عفا عليها الدهر، فلم تصبح موضع أمل أو مورد نفع[٤].

هكذا حال المنافقين ، فإن ظاهرهم قد يكون معجبا لناظره ، ولكن باطنهم أبعد ما يكون عن الخير ، فهم لا يفقهون الإيمان، ولا يتذوقون حلاوته . . . وإن دعوا إلى القتال أظهروا بأسا وشدة ، ولكن كلما سمعوا صيحة يظنون أنها منصبة عليهم لهلاكهم ، وهذا تعبير عن قلقهم النفسي الدائم المتجدد تظهر ذلك في استعماله سبحانه وتعالى الفعل المضارع في قوله : ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ الذي يدل على التجدد في العمل ، وهم" في غاية الضعف، والخور، والهلع، والجزع، والجبن" [٥] وخوفهم من اكتشاف نفاقهم ، لما هم عليه من الغش والخداع والكذب ، ولما في صدورهم من الخيانة ؛ لأنهم يعرفون أنهم منافقون يسترون أنفسهم بتظاهرهم على الإيمان، وعلى استخدام الحلف . . . وفي هذه الآية أعطانا الله ـ عز وجل ـ مزيدا من الإيضاحات عن الطبيعة المنافقة في كونها تحسن الكلام في الدنيا ، وفي كونها لا حياة فيها ؛ لأنه لا عمل صالحا لها ، وفي كونها

---

(١) ينظر : عبد القادر حسين ، القرآن إعجازه وبلاغته ، مطبعة الأمانة ـ مصر ، د . ط ، د . ت ، : ١٣٥

(٢) أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، ٨ : ٢٥٢

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ٤ : ١٠٩ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨ : ٢٦٨

(٤) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ١٥ : ١٦ وينظر :القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ١٨ : ٨٢ وينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ٤ : ٢٥٨

(٥) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٣٨٩

كثيرة الجبن شديدة الشك" [١].

ومع هذه الصورة المزرية للمنافقين ، يبين الله تعالى أنهم هم العدو الأول للرسول (ﷺ)، وللمؤمنين " هم العدو الحقيقي ، العدو الكامن داخل المعسكر ، المختبئ في الصف ، وهو أخطر من العدو الخارجي الصريح" [٢] ولذلك ينبهه إلى الحذر منهم ﴿ فاحذرهم ﴾ ولا يأمن لهم ؛ لأن " ألسنتهم إذا لقوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم ، فهم عين لأعدائكم عليكم" [٣].

ثم بعد البيان عن حالتهم، والتحذير منهم، يجيءالتوبيخ والتقريع الإلهي بقوله تعالى: ﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ إنها دعوة من الله تعالى عليهم بالهلاك؛ " لأن من قاتله الله فهو مقتول ومن غالبه فهو مغلوب" [٤]، وقد حق عليهم أن يقتلهم الله سبحانه ؛ لأنهم يصرفون أنفسهم، وغيرهم من الناس عن الحق بعد ظهور الحجة والبرهان عليه .

وهذا من روائع التشبيه في القرآن الكريم الذي يدل على إعجازه ، كما قال ابن ناقيا : " والتشبيه في الآية واقع أحسن مواقعه في أنفس مواضعه ، والعبارة عنه بارعة البيان دالة ببلاغتها على معجز القرآن" [٥] وهو من التشبيه المرسل المجمل ، إذ ذكرت أداة التشبيه فيه وهي (كأن) ، وحذف منه وجه الشبه ، وهو أن الجانبين كونهما أجساما خالية من العلم والنظر [٦].

* * *

(١) سعيد حوى ، الأساس في التفسير، دار السلام ـ القاهرة ، ط (٢) ، ١٩٨٩ ، ١٠ : ٥٩٣١

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٦ : ٣٥٧٥

(٣) الطبري ، تفسير الطبري ، ١٢ : ١٠٢

(٤) الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، دار المعرفة ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٦ ، ٩ ـ ١٠ : ٤٤٠

(٥) ابن ناقيا ، الجمان في تشبيهات القرآن : ٢٢٠

(٦) ينظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ١٤ : ٢٥٦

٣ ـ تشبيه الإنسان بالطبيعة البحرية

أ ـ التشبيه بظلمات البحر

قال الله تعالى : ﴿ والذين كفروا أعمالُهم كَسَراب بِقيعَةٍ، يَحسَبُه الظَّمْآنُ ماءً، حتّى إذا جَاءَه لَمْ يَجِدْهُ شيْئا، وَوَجَد اللّهَ عِندَه فوفّاه حِسَابَه ، واللّهُ سَريعُ الحساب * أوْ كَظُلُماتٍ في بحْرٍ لُجّيٍّ، يَغْشاهُ مَوْجٌ مِن فوْقِه مَوْجٌ مِنْ فَوْقِه سَحَابٌ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُها فوْقَ بعْضٍ، إذا أخْرَج يدَه لمْ يَكَدْ يَراها، وَمَن لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَه نُورا فَمَالَه مِنْ نُور ﴾ [١]

شبه الله تعالى أعمال الكفار في هاتين الآيتين بصورتين : [٢]

الصورة الأولى : شبهت فيها بالسراب الذي يراه الناظر ، فيحسبه ماء ؛ لأنه كالماء يبدو من بعيد ، وهكذا يفعل الكافرون في هذه الدنيا ، يلهثون وراء أعمالهم ، ويكابدون المشقات في سبيلها ، وهم يتوهمون أنها المكتسبات الكبيرة ، والإنجازات العظيمة التي تحقق لهم كل الأماني والأهداف ، حتى إذا أتى يوم الحساب ، وجدوا أن كل أعمالهم تلك كانت " كسراب يُرى في أعين الناظرين ماء ولا حقيقة له " [٣]، وأن ما زينته لهم تلك الأعمال من فلاح ونجاح كان وهما ، وسرابا خادعا ، وهكذا " حال أهل الجهل وأهل البدع والأهواء " [٤]، ووجد الله عنده فوفاه حسابه، وأدخله النار، ولقي هلاك أمثاله في مقام كان يتوقع منه النجاة [٥]....

---

(١) سورة النور : ٣٩ ـ ٤٠

(٢) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ : ٣٢٥

(٣) ابن قيم الجوزية ، الأمثال في القرآن الكريم : ١٩١ ـ ١٩٢

(٤) المصدر نفسه : ١٩١

(٥) ينظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، ٦ : ١٨١ وينظر : ابن أبي الأصبع المصري ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، تحقيق : حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ الجمهورية العربية المتحدة ، د.ط ، د.ت ، ١٦٠ وينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر ، معترك الاقران في إعجاز القرآن ، صححه : أحمد شمس الدين ، دار الكتبالعلمية ـ بيروت، ط (١)، ١٩٨٨ ، ١ : ٢٠٦ وينظر : للمؤلف نفسه ، الإتقان ، ٣ : ١٢١

" فالجامع كون الشيء على صفة يتوهم نفعه وهو في الباطن غير نافع بل ضار " [١] وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول [٢].

أما الصورة الثانية : فهي صورة مخيفة . . ؛ لأن البحر وحده خطر على من يركبه ، فما بالك إذا كان هذا البحر ملفوفا بالظلمات من كل جانب ، فالنص القرآني يصورها كظلمات في بحر لجي ، بعيد الغور ، والموج فيه يعلو ويهبط ، وفوق هذه الأمواج يتكاتف سحاب داكن ، فهذه الظلمات في جوف البحر ، وعلى سطحه ، وفي ثنايا أمواجه ، وفي السحاب ، من شأنها أن تجعل الرؤية كلها ظلاما دامسا ، والتائه في هذه الظلمات يعاني المرارة والألم ، إذ يشعر وكأن لا أمل له في النجاة ، مادام أنه لا يستطيع رؤية يده ، أو لا يكاد يراها على شدة قربها من نظره ﴿ إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ .

فأي تصور ذهني يمكنه أن يجسد هذه الحالة الرهيبة من الظلمات العاتية التي تجمعت، وتصارعت فيها الحركات ، كتصارع الأمواج المتلاطمة في ظلمة فوق ظلمة . . " فهو شيء لا يعرفه سكان الجزيرة العربية ولا ما حولها ، فالتمثيل به ينطوي على دليل من أهم أدلة الإعجاز ، ويؤكد ما ينبغي أن يعلمه كل مسلم من أن هذا الكتاب إنما هو كلام الله ـ عز وجلّ ـ ، لم يتدخل في صياغة شيء منه أي بشر من الناس كائنا من كان " [٣].

ومن إعجاز هذه الآية الكريمة أن دخل الإسلامَ أحدُ علماء الطبيعة عند سماعها ، كما ذكر الصابوني هذا النبأ بقوله : " سمع بعض علماء الطبيعة من غير المسلمين هذه الآية ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج . . . ﴾ الآية ، فسأله : هل ركب محمد البحر ؟ فقالوا : لا ، فقال : أشهد أنه رسول الله ، قالوا :

---

(١) السبكي ، بهاءالدين ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، (ضمن كتاب شروح التلخيص) ، دار السرور ـ بيروت ، د . ط ، د . ت ، ٣ : ٢٧٥

(٢) ينظر : المصدر نفسه ، ٣ : ٢٧٥ وينظر : ابن الناظم ، بدرالدين ابن مالك ، المصباح في المعاني والبيان والبديع ، تحقيق : حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ـ القاهرة ، ط (١) ، ١٩٨٩ : ١٠٨

(٣) محمد سعيد رمضان البوطي ، من روائع القرآن ، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عزوجل ، د . م ، د . ط ، د . ت ، ١٨٦ وينظر : كاصد ياسر الزيدي ، الطبيعة في القرآن الكريم : ٤٠٢

وكيف عرفت؟ فقال: إن هذا الوصف للبحر لا يعرفه إلا من عاش عمره في البحار، ورأى الأهوال والأخطار، فلما أخبرت أنه لم يركب البحر عرفتُ أنه كلام الله تعالى "[1].

هذه الصورة هي مثل للكافرين "الذين عرفوا الحق والهدى، وآثروا عليه ظلمات الباطل، والضلال"[2]، فغطت الظلمة عيونهم، وغشت بصائرهم حتى تاهوا عن الحق المبين؛ فتاهوا في تيارات ظلمات ثلاث، ظلمة الجهل، وظلمة النفس، وظلمة المصير.. فهم لم ينتفعوا بعلمهم الذي تعلموه، فغدوا كالجاهلين تماما، وشرّا من الجاهلين، بل صاروا كالتائه في بحر لجي، تكتنفه الظلمات، وتعلو فوقه حتى تصل إلى السحب المتراكمة الداكنة، إذن هي في النهاية ظلمات الكفر التي يتخبط فيها الكافرون بعيدين عن نور الإيمان، ولم يعد لهم من مخرج، ولم يعد لهم من خلاص؛ لأن الله غضب عليهم، فظلوا في ظلام الكفر، لا يبصرون نور الحق والإيمان؛ لأنه ليس لهم من نور يهتدون به ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ﴾ ومن لم يهده الله فما له من هاد.. وهكذا يضرب الله لنا هذا التشبيه؛ للتدليل على المعرضين عن الحق، والهدى؛ لأن الكفار يعانون من ظلام الكفر الذي يفرغ معنى الحياة؛ وبذلك يشقى الكافرون في ظلام الجحيم.

ويُعد هذا من تشبيه المحسوس بالمعقول؛ لأن فيه تشبيه "حال الكفرة فيما هم فيه من الكفر، والجحود، والإصرار، والتمادي بالباطل، بظلمات بعضها فوق بعض، فلا يدرك لها حالة في النور، ولا يهتدى إليه"[3]، وبهذا يكون زعم من قال: "وليس في القرآن سوى هذين اللونين من التشبيه: تشبيه المحسوس بالمحسوس، وتشبيه المعقول بالمحسوس"[4] غير صحيح؛ لأن بعض شواهد القرآن الكريم تدل على عكس ما ذهب إليه.

---

(١) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ٢: ٣٤٦

(٢) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ١: ١٥٧

(٣) العلوي، يحي بن حمزة بن علي اليمني، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مكتبة المعارف ـ الرياض، د.ط، ١٩٨٠، ٢: ٣٣٢

(٤) أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، دار نهضة مصر ـ القاهرة، د.ط، د.ت: ١٩٤

ب ـ التشبيه بالياقوت والمرجان

قال الله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُم وَلا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [١]

هذه الآيات الكريمة من الوعود الأخروية ، التي أعدها الله لأهل الجنة ، ومن الواضح أن تزيين المشبه في صفاته بقياسه على مشبه به ذي صفات محبوبة فيما مضى وغيره مما يدفع على العمل والإخلاص ؛ لنيل النعم الجليلة في الدنيا والآخرة .

قال ابن كثير : " ﴿ فيهن ﴾ أي في الفرش ﴿ قاصرات الطرف ﴾ أي غضيضات عن غير أزواجهن ، فلا يرين شيئا في الجنة أحسن من أزواجهن " [٢]، وهن نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن ، لا ينظرن إلى غيرهم ، لم يمسسهن ولم يجامعهن قبلهم أحد من الإنس والجن ؛ لأنهن خلقن في الجنة ، فبأي النعم تكذبان أيها الإنس والجن ؟

فقد شبه نساء الجنة القاصرات الطرف الأبكار بالياقوت والمرجان في الصفاء والبياض ودلالات النضارة ، ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ أي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجنة ، وبالمرجان ـ وهو صغار الدر ـ في بياض البشرة وصفائها، فإن صغار الدر أنصع بياضا من كباره[٣] وفي تشبيههن بالياقوت والمرجان معنى النفاسة والزكاوة ؛ لأن من يملك شيئا من هذين النوعين فهو عليه حريص، وبه معتز .

وقال القرطبي : " فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لأريته من ورائه " [٤]، وأما المرجان فهو صغار الدر، أو اللؤلؤ بل إنه أبيض من اللؤلؤ " [٥]، وهو "من عجائب مخلوقات الله ، يعيش في البحار على أعماق

(١) سورة الرحمن : ٥٦ ـ ٥٨

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، ٤ : ٢٩٣

(٣) ينظر: أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، ٨ : ١٨٥ وينظر : البيضاوي، تفسير البيضاوي ، ٨ : ١٢٨ وينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٤ : ٤٩

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٧ : ١١٨

(٥) ينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ٤ : ٢١٣

تتراوح بين خمسة أمتار وثلاثمائة متر "[١]، وقد ورد قول الرسول (ﷺ): (إن المرأة من نساء أهل الجنة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حُلّة حتى يرى مخها)[٢] وليس في الياقوت والمرجان لون فحسب، وإنما هولون صاف حي فيه نقاء، وهدوء، وهي أحجاركريمة تصان، ويحرص عليها، كما في قوله تعالى: ﴿ وعندهم قاصرات الطرف عين * كأنهن بيض مكنون ﴾[٣]؛ لأن للنساء نصيبا من الصيانة والحرص.

وهذان المشبهان بهما من الأشياء التي يرتاح بحسنها، فالتشبيه بالياقوت في إملاسه وشفوفه، وبالمرجان في إملاسه وجمال منظره[٤].

ومن البيّن أن غرض هذا التشبيه قد تحقق، وهو بيان أحوال المشبه المجهولة للمخاطبين وأوصافه مع تزيين هذه الحال للترغيب، فيه غرضان لا يتناقضان، بل يتعانقان.

ويعد هذا من التشبيه المرسل المجمل، إذ ذكرت فيه أداة التشبيه وهي (الكاف)، وحذف منه وجه الشبه، وهو بالياقوت في حمرة الوجه، وبالمرجان في بياض البشرة وصفائها، وهذا من تشبيه المحسوس بالمحسوس، " وهو أجلى ما يكون من التشبيهات"[٥].

ج ـ التشبيه باللؤلؤ المنثور

قال الله تعالى: ﴿ ويَطوفُ عَلَيْهِم وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ، إذا رَأَيْتَهُم حَسِبْتَهُم لُؤْلُؤًا مَنْثورًا ﴾[٦]

أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أحد ألوان النعيم التي

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦: ٣٤٥٣

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، ٤: ٥٨٣

(٣) سورة الصافات: ٤٨ ـ ٤٩

(٤) ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٨: ١٩٦

(٥) العلوي، الطراز، ٣: ٣٣١

(٦) سورة الإنسان: ١٩

ذكرت في سورة الإنسان ، وهو كون أهل الجنة لهم من يطوف لخدمتهم ، وهم ولدان من ولدان الجنة ، يبقون فيها على حالة واحدة من الشباب والنضارة ، لا يهرمون، ولا يتغيرون، ولا يموتون ، إذا نظرت إليهم في انتشارهم لحظة قضاء حوائج أهل الجنة ، ظننتهم من صباحة وجوههم ، وحسن ألوانهم، وثيابهم، وحليهم ، لؤلؤا مفرقا [١].

ذكر سيد قطب أن اللؤلؤ أصله حيوان ، " ولعل اللؤلؤ أعجب ما في البحار ، فهو يهبط إلى الأعماق ، وهو داخل صدفة من المواد الجيرية لتقيه من الأخطار . . . " [٢].

واللؤلؤ وسيلة من وسائل الزينة النفيسة الغالية ؛ لأنه يمتاز باللمعان، والنعومة، والجمال، وله مكانة خاصة في النفوس ، ولهذا شبه به ولدان الجنة ، فهو من وسائل الترف والنعم ، وكذلك حال المؤمنين في الجنة ، حيث إنهم في أتم النعمة وغاية الراحة والفرح ، وشبه الولدان في حسنهم وصفاء ألوانهم ، وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم عند اشتغالهم بأنواع الخدمة باللؤلؤ المنثور؛ لأن " اللؤلؤ إذا نثر على بساط كان أحسن منه منظوما " [٣] ، ولا يكون التشبيه أحسن من هذا؛ لأنهم سراع في الخدمة يجيئون، ويذهبون ، بخلاف الحور العين ، في تشبيههن باللؤلؤ المكنون ؛ لأنهن لا يمتهن بالخدمة [٤] ؛ لأن العفة، والحصانة، والطهارة من خصائص حور العين، وقال النسفي: " وتخصيص المنثور؛ لأنه أزين في النظر من المنظوم"[٥]، وقيامهم في خدمة أهل الجنة ، لا يسبب لهم المشقة والتعب ، بل إنهم يشعرون باللذة، والراحة، والسرور ؛ لأن الجنة ليست دار المحنة ، وإنما دار النعمة [٦]، وقال عبد الله بن عمرو : (ما من أهل الجنة من أحد إلا ويسعى

(١) ينظر : الشوكاني ، فتح القدير ، ٥ : ٤٩٣

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٦ : ٣٤٥٢ نقلا عن كتاب الله والعلم الحديث: ١٠٥

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٩ : ٩٣

(٤) ينظر : المصدر نفسه ، ١٩ : ٩٣ وينظر : الشوكاني، فتح القدير ٥ : ٤٩٣

(٥) النسفي ، تفسير النسفي ، ٤ : ٣١٩

(٦) ينظر: الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٩ ـ ١٠ : ٢٥١

عليه ألف غلام ، كل غلام على عمل ما عليه صاحبه)[١].

وهذا من عجيب التشبيه الرائع ، " لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقا يكون أحسن في المنظر، لوقوع شعاع بعضه على البعض فيكون مخالفا للمجتمع منه"[٢].

هكذا كانت حالتهم : ﴿ . . ولدان مخلدون . . ﴾أي دوامهم على تلك الصورة الحسنة ، وأيضا تتضمن معنى بقاء حياتهم، ومواظبتهم في هذه الخدمة الشريفة الطيبة . . .

وهذا يعد من التشبيه التمثيلي؛ لأن وجه الشبه فيه ينتزع بضرب من التأول ، وهو كون سرعة الولدان في خدمة أهل الجنة، وحسن منظرهم ، كاللؤلؤحال كونه منثورا لوقوع شعاع بعضه على بعضه الآخر .

* * *

(١) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ١٢ : ٣٧٠

(٢) الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٣٠ : ٢٥٢

الفصل الثاني :

تشبيه الإنسان بالحيوان

إن الإنسان، والحيوان متقاربان جدا من حيث الخلقة ، إلا أن للإنسان عقلا يعقل به ، و غايةً خلقه الله تعالى من أجلها وهي العبادة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [١] أما الفرق الأساسي بينهما فهو كما يقول سيد قطب : " إن للإنسان إرادة، وهدفا، وتصورا خاصا للحياة يقوم على أصولها الصحيحة ، المتلقاة من الله خالق الحياة ، فإذا فقد هذا كله فقد أهم خصائص الإنسان المميزة لجنسه ، وأهم المزايا التي من أجلها كرمه الله " . [٢]

فقد شغل الحيوان تفكير الإنسان في حياته اليومية منذ أن خلقه الله تعالى ، و لا يستغني الإنسان عن بعض الحيوانات في حياته ، لا سيما في العصور المتقدمة ؛ لأنه قد جعل بعض الحيوانات وسائل النقل الأساسية للإنسان، وبضائعه، وجعل بعضه الآخر لمأكولاته . . لهذا السبب كان الإنسان يعرف مميزاته وخصائصه ، حسناته وسيئاته معرفة جيدة . .

لذا ، بالإضافة إلى الظواهر الطبيعية التي وردت في التشبيهات القرآنية، فقد استخدم الله تعالى في كتابه الكريم بعض الكائنات الحية لضرب الأمثال، وتصوير الأحداث ، ومسايرة الواقع المعاصر في الحال، والاستقبال . . فقد اختار أوهن الحيوانات لتشبيه ضعف العبادة ووهنها وهو العنكبوت ، وأغباها، لمن يحمل العلم ولم ينتفع به، ويتعب نفسه في حمله وهو الحمار [٣] وهكذا . .

---

(١) سورة الذاريات : ٥٦

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٦ : ٣٢٩٠

(٣) ينظر : محمد حسين الصغير ، أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة : ٨١

لقد كانت تشبيهات الإنسان بالحيوان الواردة في القرآن الكريم قليلة ، فلم تشغل حيزاً كبيرا من مساحة التشبيه العامة ، بالمقارنة مع تشبيهات الإنسان بالإنسان ، حتى بالطبيعة أيضا ، حيث جاء اثنا عشر تشبيها فقط من مائة وثمانية وأربعين تشبيها من تشبيهات الإنسان الواردة في القرآن الكريم ، أي ما يعادل ٨ ٪ فقط.

ولعل سبب ذلك عائد إلى أن أكثر التشبيهات بالحيوان لا علاقة له بالعقيدة، التي هي من الأغراض الأساسية في القرآن الكريم ، وإنما ورد أكثرها لغرض الذم في عدم استعمال الإنسان عقله الذي ميزه الله به عن الحيوان . .

ومن الحيوانات التي وردت في التشبيهات القرآنية : الطيور، والحشرات، والحيوانات الأليفة .

وكان أكثر هذه الحيوانات حضورا في تشبيهات الإنسان بالحيوان في القرآن الكريم هي الحيوانات الأليفة ، ولعل سرّ ذلك هو قربها إلى الإنسان، وكثرة استخدامه إياها، واعتماده على بعضها في قوت يومه بالمقارنة مع غيرها ، وبسبب هذه الصلة الوثيقة كانت خصائصها ماثلة أمام عينيه من سائرها ، فإذا شبه الله تعالى الإنسان بأي منها فسرعان ما يفهم مراد الله ـ عز وجلّ ـ من هذا التشبيه ، ويأتي في المرتبة الثانية تشبيه الإنسان بالحشرات ، إذ كانت أقل نسبة مما هي عليه الحيوانات الأليفة ، ثم الطيور حيث لم يشبه القرآن الكريم الإنسان بالطير إلا مرة واحدة فقط ، وهو الغراب ، ولعل سبب ذلك راجع إلى بعد المجتمع العربي في حياتهم اليومية عن الطيور مقارنة مع سائر الحيوانات الأخرى ، و من عادة الطير ألايعيش إلا في الأماكن التي يجد فيها الماء ، ومن المعلوم أن معظم حياة العرب في الصحراء ، والماء فيها قليل ، لذا كانت العرب لا تعرف كثيرا عن أوصاف الطير وخصائصه مثل معرفتهم الحيوانات الأليفة التي لا تكاد تنفصل عن حياتهم اليومية، ولهذا جاءت تشبيهات الإنسان به قليلة جدا . . .

١ ـ تشبيه الإنسان بالطيور

ـ التشبيه بالغراب

قال الله تعالى : ﴿ فطوَّعَتْ لَه نَفْسُه قَتْلَ أَخِيه، فَقَتَلَه فَأَصْبَح مِنَ الْخاسِرين * فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ في الْأَرْضِ، لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ، قالَ يا وَيْلَتَا، أَعَجَزْتُ أَنْ أَكونَ مِثْلَ هَذا الْغُرَابِ، فَأُوَارِي سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النّادِمِينَ ﴾[١]

هذه هي أول جريمة قتل حدثت على وجه الأرض ، كما قال الرسول (ﷺ) : (لا تقتل نفس ظلما ، إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها ؛ لأنه كان أول مَن سنَّ القتل)[٢] ارتكبها قابيل بن آدم ـ عليه السلام ـ حين قتل أخاه هابيل، وعن سبب قتله، قيل: إن ابنَي آدم ـ عليه السلام ـ قدّما قربانا إلى الله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، وقيل: إن سببه هو رفض أخيه هابيل تزويج توأمه إياه ؛ لأنها جميلة[٣]، ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ أي : " فوسعته له، ويسرته من طاع له المرتع إذا اتسع . . . كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته، ولم تمتنع "[٤] فقتله حتى صار من الخاسرين في الدارين ، وبذلك يكون قد خسر الدنيا والآخرة، وذهب عنه خيرهما ، " أما الدنيا فهو أنه أسخط والديه وبقي مذموما إلى يوم القيامة، وأما الآخرة فهو العقاب العظيم "[٥] وذلك هو الخسران المبين .

وبعد أن قتل قابيل أخاه لم يدر ما يصنع به ؛ لأنه أول قتيل على وجه الأرض من بني آدم ،فحمله على ظهره في جراب سنة ، وراح يدوربه حتى صار جسد أخيه جيفة ، وعكفت عليه السباع تنتظر متى يرمى به لتأكله ، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم بحث التراب بمنقاره، وبرجليه حتى حفر حفرة ، ثم أثار التراب على الغراب الميت ليواريه ، وذلك ليرى قابيل كيف يستر

(١) سورة المائدة : ٣٠ ـ ٣١

(٢) مسلم ، صحيح مسلم ، ٢ : ١٣٠٤

(٣) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ٤ : ٥٢٧

(٤) الزمخشري ، الكشاف ، ١ : ٦٠٨

(٥) الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ١١ : ٢١٤

جيفة أخيه [١]، وبعد أن رآه عرف ضعفه، وجهله وما كان غافلا عنه، فقال : ﴿ يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي ﴾ فتعلم منه سنة الدفن ، فعرف كيف يواري الميت ، ثم وارى أخاه .

قال أبو الهيثم : "والحكمة في أن الله تعالى بعث إلى قابيل لما قتل أخاه هابيل غرابا، ولم يبعث له غيره من الطير ، ولا من الوحش ، أن القتل كان مستغربا جدا إذ لم يكن معهودا قبل ذلك ، فناسب بعث الغراب" [٢] وقيل : لأنه يتشاءم به في الفراق والاغتراب [٣]. ﴿ فأصبح من النادمين ﴾ أي: "على ما فرط منه ، من معصية الله عز ذكره في قتله أخاه"[٤] ولعل هذا الندم لم يكن على الوجه الذي فيه التوبة إلى الله تعالى.

أما على المستوى التركيبي فيعد هذا من التشبيه االمرسل المجمل، إذ ذكرت فيه أداة التشبيه وهي "مثل" ، وحذف منه وجه الشبه ، وهو كيفية دفن ميتهما .

* * *

(١) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ١ : ٦٠٨ وينظر : القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ٦ : ٩٢

(٢) الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى ، حياة الحيوان الكبرى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ، ط (٥) ، ١٩٧٨ ، ٢ : ١٠٧

(٣) ينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٣ : ٤٨٠

(٤) الطبري ، تفسير الطبري ، ٤ : ٥٤٠

٢ ـ تشبيه الإنسان بالحشرات

أ ـ التشبيه بالعنكبوت

قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أولياءَ، كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتا، وإنَّ أوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ الْعنْكبوتِ، لَوْ كانوا يَعْلَمون ﴾ [١]

بعد أن بيّن الله سبحانه وتعالى هلاك المشركين الذين أشركوا بالله بعاجل العقاب في الدنيا [٢]، شبه حالهم في اتخاذهم آلهة لهم من دون الله تعالى ، يلوذون بها ، ويبتغون نصرها، أو نفعها لهم ، بحال العنكبوت التي تبني بيتا تأوي إليه من خيوط واهية ، لا تغني عنها شيئا عند حاجتها إليه ، أنها لا ترد عنها غائلة البرد أو الحر ، ولا تحميها من أدنى المخاطر التي قد تتعرض لها ، فكذلك آلهة المشركين لا تغني عنهم شيئا حين نزل بهم أمر الله، وحل بهم سخطه ، لا تنفعهم في الدنيا والآخرة [٣]، و " قوة الله وحدها هي القوة ، وولاية الله وحدها هي الولاية ،وماعداها فهو واهن ضئيل هزيل . . ."[٤]، ولو كان المشركون يعلمون هذه الحقيقة الواضحة ، لما اتخذوا من دون الله أولياء ضعافا ، حقيرين ، لا يملكون نفعا ولا ضرا . .

إن مثل المشركين، والكافرين في عبادتهم لآلهتهم واتخاذها أولياء لهم يدل على الضعف في الاعتقاد، والعبادة ، كمثل بيت العنكبوت الذي هو في منتهى الضعف والهوان ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾.

يقول النسفي : " إن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت ،

---

(١) سورة العنكبوت : ٤١

(٢) ينظر : قوله تعالى : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ سورة العنكبوت : ٤٠

(٣) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ١٠ : ١٤٢ وينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ٣ : ٢٥٨

(٤) سيد قطب . في ظلال القرآن ، ٥ : ٢٧٣٧

كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان " [١]، وهذا التشبيه يشير إلى أن أضعف ما يكون الكفار حين اتخذوا آلهة من دون الله فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفا [٢]، ولو علموا أن لجوءهم إلى عبادة الآلهة، واتخاذها زلفى إلى الله لا يمنع عنهم عقابه الشديد ، لعرفوا أن عبادتهم تلك واهية مثل بيت العنكبوت في وهنه ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أي لو كانوا يعلمون ضعف حقيقة دينهم ، " وأن أمر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية لأقلعوا عنه، وما اتخذوا الأصنام آلهة " [٣]، ويقول الزمخشري : " إنه إذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت ، فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون " [٤] ولذلك ضرب الله تعالى هذا التشبيه للناس حتى تتبين لهم الحقيقة من الضلال . .

وهذا التشبيه يبقى تذكرة وموعظة لجميع الناس ، وإن كان لا يعي هذه التذكرة إلا من يعلم وجه الشبه بين المشبه والمشبه به ، فلابد لكل بيت من أن يكون له حائط وسقف وباب وغير ذلك ، وكذلك للمعبود يجب أن يكون له الخلق، والرزق وجر المنافع، ودفع المضار . . وإذا كان " لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معاني البيت شيء ، "كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معاني الأولياء شيء " [٥].

ولعل الغرض من هذا التشبيه هو تقرير وهن أمر دينهم ، بأنه قد بلغ غايته في الضعف والوهن، ولغرض " التنفير من اتخاذ أولياء من دون الله " [٦].

وهذا من تشبيه المحسوس بالمعقول ، فالمشبه حسي ؛ لأن عبادة المشركين للأصنام والأوثان تحس بإحدى الحواس الخمس ، والمشبه به هو

(١) النسفي ، تفسير النسفي ، ٣ : ٢٥٨

(٢) ينظر : ابن قيم الجوزية ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ١ : ١٥٤

(٣) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٧ : ١٤٩

(٤) الزمخشري ، الكشاف ، ٣ : ٢٠٦

(٥) الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٢٥ :٦٩

(٦) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع: ٨١.

عدم حصول العنكبوت على ما أرادته من معاني البيت شيئا في اتخاذها إياه بيتا، وهو عقلي، ويعد من التشبيه التمثيلي ؛ لأن وجه الشبه فيه ينتزع بضرب من التأول، وهو كون العنكبوت في اتخاذ ها البيت لم تحصل على ما يفيده البيت عادة من حماية صاحبه من البرد، والحر وغير ذلك ، كذلك الكفار في عبادتهم الأوثان لم يحصلوا على ما أرادوا من جلب المنافع، ولا من دفع المخاطر .

ب ـ التشبيه بالفراش

قال الله تعالى : ﴿ الْقارِعَةُ * مَا الْقارِعَةُ * وما أدْرَاكَ مَا الْقارِعَة * يَوْمَ يكونُ النّاسُ كالْفَرَاشِ الْمَبْثوث ﴾ (١)

بعد أن ذكر الله تعالى مشاهد يوم القيامة بشكل موجز بهذا القرع المتلاحق يقول الألوسي : " فهي من القرع وهو الضرب بشدة بحيث يحصل منه صوت شديد " (٢) بين الله تعالى حال الناس في ذلك الوقت : ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ أي يوم خروج الناس من القبور ، ليسيروا على غير هدى في كل اتجاه في جو من الهول، والخوف الساحق ، شأنهم في ذلك كالحشرة الطائرة المعروفة المنتشرة المتفرقة ، فهم في انتشارهم، وتفرقهم، وذهابهم، ومجيئهم؛ بسبب حيرتهم مما هم فيه ، كأنهم فراش مبثوث ، والفراش هو " الحيوان الذي يتهافت على السراج ويحترق " (٣).

شبه الله ـ عز وجلّ ـ الناس في هذه الحالة حين خروجهم من قبورهم بما هم عليه من الفزع، والخوف بالفراش المبثوث ، والفراش يرد في كلام العرب في سياق الغفلة ، الذي لا تكون فيه السيطرة على النفس ، وإنها تطوف حول النار

(١) سورة القارعة : ١ ـ ٤

(٢) الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ٣٠ : ٢٢٠

(٣) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، (ضمن كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط (٥) ، ١٩٧٨ : ٣٠٢

حتى تحرق نفسها ، كما ورد ذلك في قول الرسول (ﷺ) : (إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا ، فجعلت الدواب والفراش يقعْن فيه ، فأنا آخذ بحُجزكم، وأنتم تقحّمون فيه) [١].

فقد شبههم الله تعالى في الآية الكريمة بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة وذهابهم ومجيئهم من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار ويتجه إليها [٢]، وهناك احتمال معنى آخر في تشبيههم به وهو لتساقطهم في جهنم، كما يتساقط الفراش في المصباح [٣].

ويعد هذا من تشبيه المعقول بالمحسوس ، حيث إن المشبه هو حالة الناس عند الخروج من قبورهم ، وهم في حيرتهم وخوفهم من مصيرهم يذهبون، ويرجعون بلا إحساس ، كل واحد منهم يفكر بنفسه إلى أين سيكون مصيره؟ . . هذه الصورة المحيرة شبهت بشيء معلوم، ومحسوس لدى الناس وهو الفراش المتفرق ؛ لأن الفراش من عادته أن يتجه إلى الضوء ثم يذهب، ويجيء مرة ثانية وهكذا . . .

ويعد من التشبيه المرسل المجمل ، إذ ذكرت فيه أداة التشبيه ، وهي "الكاف" ، وحذف منه وجه الشبه ، وهو الكثرة والضعف والتموج والاضطراب .

جـ ـ التشبيه بالجراد

قال الله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُم يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ [٤]

وصف الله تعالى في هاتين الآيتين الكريمتين أحد أهوال يوم القيامة بعد البعث حين يدعو الداعي ، وينفخ فيه مرة ثانية ، فينبعث الموتى من قبورهم ،

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، ٢ : ١٧٨٩

(٢) ينظر : الزمخشري ، الكشاف، ٤ : ٢٧٩ وينظر : الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ٢ : ١٤٩

(٣) ينظر : الكلبي ، التسهيل لعلوم التنزيل : ٨٠٥

(٤) سورة القمر : ٦ ـ ٧

ويخرجون منتشرين في هذا المشهد الحافل " تقرع آذانهم دعوة الداعي، وتذهلهم مشاهد الهول، ومخاوف العاقبة ، فيسرعون في سعيهم " [١] تلبية لهذه الدعوة .

وفي قوله تعالى : ﴿إلى شيء نكر﴾ بين الزمخشري سرّ التنكير هنا بقوله : " منكر فظيع تنكره النفوس؛ لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة " [٢]، ثم شبه الله تعالى الناس حين خروجهم من جوف الأرض، وانتشارهم وسعيهم على ظهرها إلى موقف الحساب بالجراد المنتشر في الكثرة، وما يحدث عند الهول من التفرق والتناثر متجها إلى الداعي ، كما قال الزمخشري : " الجراد مثل في الكثرة والتموج ، يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاءوا كالجراد وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته " [٣]، كل واحد منهم يذهب ويتحرك ويموج من غير تحديد ، ومن غير تعقل وسيطرة على النفس والحركة ، وعلق سيد قطب على هذه الآية الكريمة بقوله: " ومشهد الجراد المعهود يساعد على تصور المنظر المعروض "[٤].

وقال القرطبي في بيانه للآية الكريمة وللآية ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ [٥] : " فهما صفتان في وقتين مختلفتين ؛ أحدهما : عند الخروج من القبور ، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون فيدخل بعضهم في بعض ؛ فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لاجهة له يقصدها ، الثاني : فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر ؛ لأن الجراد له جهة يقصدها" [٦].

(١) حسن عبد السلام ، الرأي والأثر في تفسير سورة القمر ، د . م ، د . ط ، ١٩٨٧ : ٨١

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ٤ : ٣٦

(٣) المصدر نفسه : ٤ : ٣٧ وينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ٤ : ٢٠٢ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨ : ١٧٤

(٤) سيد قطب ، مشاهد القيامة في القرآن ، دار الشروق ـ بيروت ، ط (٧) ، ١٩٨٢ : ٩٦

(٥) سورة القارعة : ٤

(٦) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٧ : ٨٥ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨ : ١٧٤

من الملحوظ هنا أن خروجهم يكون متصفا بالخشوع في أبصارهم ﴿خشعا أبصارهم﴾ وهي كناية عن الذلة ، كون " الخشوع في البصر الخضوع والذلة ، وأضاف الخشوع إلى الأبصار ؛ لأن أثر العز ، والذل يتبين في ناظر الإنسان" [١] ، كما في قوله تعالى : ﴿أبصارها خاشعة﴾ [٢] لما في البصر الخاشع من معنى الاستسلام ، والخضوع ؛ لأن تماسك النفس ، وتخاذلها يظهران في أحوال البصر .

وعلى كل فهذا التشبيه يبين أحوال الخلق في الآخرة يوم بعث الناس ونشرهم وكيفيتهما .

ويعد هذا من التشبيه المرسل المفصل ، لأن أركان التشبيه الأربعة مذكورة كلها .وهي : أن المشبه هو الناس بعد بعثهم حين دعوا إلى موقف الحساب ، والمشبه به هو الجراد في انتشاره ، وأداة التشبيه هي حرف كأن ، ووجه الشبه فيه هو الكثرة والانتشار .

***

---

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٧ : ٨٥ وينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٤ : ٣٦

(٢) سورة النازعات : ٩

٣ ـ تشبيه الإنسان بالحيوانات الأليفة

أ ـ التشبيه بالكلب

قال الله تعالى : ﴿ واتْلُ عَلَيْهِم نبَأَ الّذي آتَيْناه آياتِنا، فانْسَلَخ منْها،،فأتْبَعَه الشّيْطانُ فكانَ مِنَ الْغاوين * ولو شِئْنا لَرَفَعْناه بِها، ولكِنّه أَخْلَد إلى الْأَرْضِ واتَّبَعَ هَوَاه، فَمَثَلُه كَمَثَلِ الْكَلْبِ، إنْ تَحْمِلْ عليه يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث، ذلك مَثَلُ الْقَومِ الَّذين كذّبُوا بِآياتِنا، فاقْصُصِ الْقصَصَ لَعلَّهم يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

إن أفضل مراتب الفكر الإنساني العلم ؛ لأنه يهدي لمن طلب منه الهداية، والمعرفة ، وأسمى مراتب العلم ما دعي به إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنه هو العلم النافع حقا ، كما قال الإمام علي كرم الله وجهه (٢):

ما الْفَضْلُ إلا لأهْلِ العلْمِ إنّهم ... على الْهُدى لِمَنِ اسْتهْدى أدِلاءُ

وقيمةُ المَرْءِ ما قدْ كانَ يُحسِنُه ... والْجاهِلونَ لأهْلِ الْعِلْمِ أعْداءُ

ففُزْ بعلْمٍ ولا تَطْلُبْ به بَدَلا ... فالنّاسُ موْتَى وأهلُ العلْمِ أحْيَاءُ

ولو عرف أهل العلم جميعا هذه الحقيقة ، لما كانوا استخدموا علمهم للضرر بالإنسان حتى صار العلم مسخّرا للأهواء، والمصالح . .

لقد فضل الله العلماء على سائر الناس؛ لأن " تلك المرتبة هي التي تلي مرتبة النبوة ، وجميع مراتب المؤمنين أنزل منها " (٣) ؛ لأنهم ورثة الأنبياء كما قال الرسول (ﷺ) : (وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما . .) (٤).

---

(١) سورة الأعراف : ١٧٥ ـ ١٧٦

(٢) أبو السبطين ، علي بن أبي طالب ، ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ، د . م ، د . ط ، د . ت : ٧

(٣) الحداد ، عبد الله بن علوي الحضرمي الشافعي ، النصائح الدينية والوصايا الإيمانية ، دار الحاوي ، د . م ، ط (٢) ، ١٩٩٤ : ٧١

(٤) أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داود ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر للطباعة ـ بيروت ، د . ط ، ١٩٩٤ ، ٣ : ٣١٣

ولكن ، مع هذا الفضل العظيم الذي أكرمه الله تعالى للعلماء ، فإن منهم من قد تغره الحياة الدنيا ، فيتخلى عن العطاء الذي منّ الله تعالى عليه به ، ويترك منهج ربه ، ليسير لاهثا وراء أهوائه ورغباته . . . ولهذا السبب أنزل الله الوحي على رسوله الكريم (ﷺ) يوجهه لأن يتلو على المشركين وعلى الناس أجمعين ، نبأ من آتاه الله سبحانه علما ، ومعرفة ، عرف بهما آيات الله العظيمة ، إلا أنه انسلخ منها حتى لم يعد منها شيء في عقله ، وقلبه ، لاتباعه وساوس الشيطان ، ﴿ فكان من الغاوين ﴾ أي " فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان من المهتدين " [١].

قيل : إن الذي تخبر عنه الآية الكريمة بلعم بن باعوراء من بني إسرائيل ، وقيل : أمية بن أبي الصلت الثقفي[٢] ، وذلك عند ما سئل بلعم — وهو رجل مجاب الدعوة ، ولا يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه — بأن يدعو على موسى ، ومن معه ، في البداية أنه رفض ، ثم ألح عليه السؤال حتى دعا عليهم ، فسلخه الله ما كان عليه[٣] ، أما أمية بن أبي الصلت فهو رجل عالم قد قرأ الكتب ، وعلم أن الله سبحانه وتعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ، ورجا أن يكون هو المرسول ، لكي يكون زعيم الأمة ، فلما بعث الله تعالى سيدنا محمدا (ﷺ) حسده وكفر به[٤] ، فتخلى عن مزاياه الرفيعة ، وعن إيمانه ، ليهبط ، ويغرق في أو حال الكفر . . .

هذا مصير من يتبع همزات الشياطين ، وانصاع إلى غوايته ، فصار من الغاوين ، الفاسدين المفسدين ، والضالين المضلين . .

(١) أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، ٣ : ٢٩٢

(٢) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ٦ : ١٢٢ وينظر : ابن ناقيا ، الجمان في تشبيهات القرآن : ٩٤ وينظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ٤ : ٢٣٦

(٣) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٢ : ١٣٠ وينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢ : ٢٩٤

(٤) ينظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ٤ : ٢٣٦ وينظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، ٣ : ٢٩٢

وبين الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) قضاءه في ذلك الغاوي ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ﴾ أي : لو شاء الله تعالى لرفعه بآيا ته إلى أعلى درجات الطاعة والهداية والمقام ، ولكنه آثر الكفر على الإيمان ، وآثر سخط الله على رضاه ، والمخلوق على الخالق ، وفضل الحياة الدنيا، ولذاتها على الآخرة، ونعيمها [١].

شبه الله هذا الإنسان " بملازمته، واتباعه هواه ، وقلة مزايلته له بالكلب الذي لا يزايل اللهث على جميع الأحوال " [٢] في قوله تعالى : ﴿ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ إن تطارده يخاف، ويهرب وهو يلهث ، وإن تتركه يظل يلهث ، قال ابن عباس : " إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها ، وإن ترك لم يهتز لخير كالكلب إن كان رابضا لهث ، وإن طرد لهث " [٣]، ومن خصائص الكلب أنه من أمهن الحيوانات ، وأحملها للهوان، وأرضاها بالدنايا ، والجيف القذرة، أحب إليه من اللحم الطري ، والقذرة أحب إليه من الحلوى ، وإذا ظفر بميتة تكفي مائة كلب لم يدع كلبا يتناول معه منها شيئا إلا هرّ عليه، وقهره ؛ لحرصه وبخله، ومن عجيب أمره وحرصه أنه إذا رأى ذا هيئة سيئة، وثياب دنية، وحال رزيّة نبحه وحمل عليه كأنه يتصور مشاركته له، ومنازعته في قوته ، وعكسه إذا رأى ذا هيئة حسنة، وثياب جميلة وضع له خشمه بالأرض ، لم يرفع إليه رأسه خضوعا له [٤].

هذه بعض خصائص الكلب ؛ ومن أخلد إلى الأرض، واتبع هواه، وآثر الدنيا على الأخرى تنطبق عليه هذه الخصائص المادية والمعنوية ؛ لأنه يعيش في همّ دائم لصغائر الأمور وعظائمها ، فهو لا يرضى بما قسم الله له ، بل يطمع بالاستزادة ، وضرب هذا التشبيه للذم ؛ لأن في المشبه به صفة يستقبحها الناس، ويذمون من رضي عنها لنفسه [٥].

---

(١) ينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ٢ : ٨٦

(٢) الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة ـ بيروت ، د . ط ، د . ت : ٤٦٣

(٣) ابن عباس ، تفسير ابن عباس : ٢٤١

(٤) ينظر : ابن قيم الجوزية ، الأمثال في القرآن الكريم : ٢١٦

(٥) ينظر : محمد الخضر حسين ، بلاغة القرآن ، أشرف على طبعه ونشره علي الرضا ، د . م ، د . ط ، ١٩٧١ : ٢٤

وفيه سر بديع كما يقول ابن قيم ، وهو " الكلب منقطع الفؤاد ، ولا فؤادله، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، فهومثل الذي يترك الهدى ، ولا فؤادله إنما فؤاده ينقطع ، قلت : مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمل على الصبر، وترك اللهث ، وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمل على الصبر عن الدنيا، وترك اللهف عليه " [١]، ﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أي أن ذلك المثل الخبيث يصلح لجميع من يكذب بآيات الله ، "إن وعظتَه فهو ضال ، وإن لم تعظه فهو ضال"[٢]، ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ أي فاقصص أيها الرسول البشير النذير بأخبار هؤلاء القوم المكذبين بآيات الله تعالى ، وبما يشبههم به رب العالمين، لعلهم يخجلون من وصف ربهم لهم ، ولعلهم يرجعون عن تكذيبهم ، " ففي إخبارك بذلك أعظم معجز لعلهم يتفكرون فيما جرى على المكذبين ، فيكون ذلك عبرة لهم ، ورادعاً عن التكذيب ، وأن يكونوا أخباراً شنيعة تقص كما قص خبر ذلك المنسلخ" [٣].

ويعد هذا من التشبيه التمثيلي ؛ لأن وجه الشبه فيه ينتزع بضرب من التأول ، وهو أن الإنسان الذي أعطاه الله الفضل من العلم، والمعرفة ، ثم لم يشرك الله بما فضله عن غيره، ولم يعمل بما علم ، بل يطمع في الزيادة عن الحد الذي أعطاه الله ، مثله كمثل الكلب في خصائصه ، وهو دائما يلهث في جميع حالاته .

ب ـ التشبيه بالحمار الذي يحمل أسفارا

قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا، كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، واللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٤]

إن الله تعالى بعد أن أثبت التوحيد، والنبوة ، وبعد أن بعث

(١) ابن قيم الجوزية ، الأمثال في القرآن الكريم : ٢١٦ ـ ٢١٧

(٢) ابن قتيبة ، تاويل مشكل القرآن : ٣٦٩

(٣) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٤ : ٤٢٤

(٤) سورة الجمعة : ٥

الرسول (ﷺ) الأمي إلى الأميين ، أثار اليهود شبهة ، قالوا : إنه (ﷺ) بعث إلى العرب خاصة، ولم يبعث لنا، فرد الله عليهم بهذه الآية الكريمة، حيث إن اليهود لم يعملوا بما في التوراة ؛ لأن فيها بشارة بمقدمه ، والدخول في دينه [١].

في الآية الكريمة استخدم الله تعالى أسلوب التشبيه لإعطاء صورة جلية واضحة، وأخّاذة عن المعنى الذي يريد إبرازها ، وإظهار الأهداف المقصود منها ، بحيث لا يسع العاقل العارف إلا أن يقف خاشعا لقول الله تعالى ، مبهورا ببلاغة الأداء، وعظمة البيان ، التي تعبر عن واقع اليهود في حمل التوراة ، " وهي صورة زرية بائسة ، ومثل سيئ شائن ، ولكنها صورة معبرة عن حقيقة صادقة " [٢] ؛ لأن التوراة تضمنت الشريعة التي نزلت على نبي الله موسى عليه السلام ، و " فيها نعت رسول الله (ﷺ)، والبشارة به " [٣].

إن اليهود قد أخذ عليهم العهد بأن يحملوا التوراة ، ويؤمنوا بما فيها من عقيدة التوحيد ، ويعملوا بما حوته من الشريعة الصالحة للمعاش والمعاد ، كما أنزلها رب العباد ، ولكن اليهود لم يقدروها حق قدرها ، ولا اهتدوا بها ، أوانتفعوا بما فيها من خير وصلاح، بل عملوا بعكس ذلك ، فحرفوا كثيرا مما أنزل فيها وبدلوه ، " فالتحريف لم يكن في اللفظ والسند فقط، وإنما أيضا في التناول، والتفسير، والغرض منها " [٤] وتعدوا حدود الله تعالى، بما أشربوا في قلوبهم من الوثنية منذ عبدوا العجل،وبما جرهم إليه طمعهم في زخرف الدنيا، وحب المال، الذي أضلهم عن الحق، وأعمى بصائرهم عن الهدى ، واستمروا في هذه الحالة حتى شبههم بالحمار في هيئة مخصوصة ، ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ الأسفار هي الكتب بلغة كنانة [٥]، والتنكير فيه يشعر بأن الكتب كانت كبارا [٦]، أي أنهم

(١) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٣٠ : ٦

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٦ : ٣٥٦٧

(٣) النسفي ، تفسير النسفي ، ٤ : ٢٥٥

(٤) فؤاد علي رضا ، من علوم القرآن ، مكتبة مدبولي ـ القاهرة ، ط (١) ، ١٩٨٢ : ١٥٩

(٥) ينظر : ابن سلام ، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم : ٢٨٠

(٦) ينظر : الالوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ٢٨ : ٩٥

مثل الحمار ، يحمل على ظهره الكتب القيمة في الحكمة، والمعرفة والعلم ، من غير أن يحس أو يعرف ما يحمل ، ومن غير أن ينتفع بأدنى شيء من فوائدها . . بل إنهم أسوأ حالا من الحمير ؛ لأن الحمار لافهم له، وهؤلاء لهم أفهام لم يستعملوها [١].

والحكمة من تعيين الحمار من بين سائر الحيوانات هي : إن الله عز وجّل خلق ﴿ الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ [٢] ، الحمل، والركوب في الحمار أظهر، وأغلب بالنسبة إلى الخيل، والبغال وغيرها من الحيوانات ، ومنها : إن هذا التشبيه لإظهار الجهل والبلادة ، وذلك في الحمار أظهر ، ومنها : إن في الحمار من الذل والحقارة ما لا يكون في غيره ، والغرض من الكلام في هذا التشبيه تعيير القوم بذلك وتحقيرهم ، فيكون تعيين الحمار من بين سائر الحيوانات أليق وأولى ، ومنها: إن حمل الأسفار على الحمار أتم وأعم وأسهل وأسلم ؛ لكونه ذلولا ، سهل الانقياد يستطيع الصبي أن يقوده من غير كلفة أو مشقة [٣].

وبهذا لا يوافق الباحث ما ذهبت إليه واجدة الأطرقجي في قولها : لعل المراد بالحمار في التشبيه القرآني هو الخشبة التي توضع فوق الراحلة [٤]. .؛ لأن هذا لا يناسب المقام الذي تتحدث فيه الآية الكريمة ، حيث إنها في مقام الذم لمن أتعب نفسه في حمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم لا ينتفع به لجهله [٥]، هذه الصفة معروفة وتوجد في الحمار الذي بمعنى الحيوان المعروف ، ولا توجد في الحمار الذي بمعنى الخشبة كما زعمت . .

وينطبق هذا التشبيه على كل من يقتني القرآن الكريم ويتلوه بلسانه ، من غير أن يفقه معانيه، ولا يعمل بما فيه ، لأنه كما قال القرطبي : "وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ؛ لئلا يلحقه من الذم

(١) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٣٨٤

(٢) سورة النحل : ٨

(٣) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٣٠ : ٦ ـ ٧

(٤) ينظر : واجدة الأطرقجي ، التشبيهات القرآنية والبيئة العربية : ١٨٣

(٥) ينظر : الحلبي ، شهاب الدين محمود ، حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد ـ الجمهورية العراقية ، د . ط ، ١٩٨٠ : ١١٣

ما لحق هؤلاء " [١]، وكل من علم ما في الكتاب من الأوامر والنواهي ولم يعمل بعلمه فهذا مثله [٢].

والمشبه به في الآية الكريمة " منتزع من أحوال الحمار ، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومستودع ثمر العقول ، ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها ، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدلالة عليه بسبيل ، فليس له مما يحمل حظٌّ سوى أنه يثقل عليه " [٣].

ويعد هذا من التشبيه التمثيلي ؛ لأن الوجه فيه ينتزع بضرب من التأول ، وهو" حرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء بالانتفاع به ، مع الكد والتعب في استصحابه "[٤]، وهو من التشبيه المقيد ؛ لأنه لم يحصل من مجرد الحمل ، وإنما لأمرين آخرين [٥]، وهما : حمل الكتب القيمة ، وعدم انتفاع بها .

جـ ـ التشبيه بالحمر المستنفرة

قال الله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [٦]

وظيفة القرآن الكريم هي تعليم الناس، وتوجيههم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، ويدل الناس إلى الأصول الصحيحة، والقواعد السليمة

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٨ : ٦٢

(٢) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٤ : ١٠٣

(٣) الجرجاني ، أسرار البلاغة : ١٠١

(٤) السكاكي ، أبو أيوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ، مفتاح العلوم ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨٧ : ٣٤٩
وينظر : السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ١ : ٢٠٤

(٥) ينظر : النويري ، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، د . م ، د . ط ، د . ت ، ٧ : ٤١

(٦) سورة المدثر : ٤٩ ـ ٥١

في تعاملهم مع أنفسهم ومع الآخرين ، ويؤكد حقيقة البعث والجزاء ، بأساليبه الرفيعة، ودلالته المنيعة ، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه .

مع هذا كله هناك كثير من أهل مكة أعرضوا عن خالقهم ، وعن آياته المجيدة ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾، والإعراض عن القرآن من وجهين ، الأول : الإنكار والجحود ، والثاني : ترك العمل بما فيه [١].

وطبيعة الإنسان أنه خلق حرا ، والقرآن جاء مبشرا للناس ونذيرا ، بدعوة فكرية بحقائق علمية من لدن حكيم عليم ، يطلب منهم أن يعملوا بما فيه ، ثم يتذكروه؛ ليكون موجها لإرادتهم في حياتهم ، ولهم الحرية في أن يقبله أو أن يرفضه ؛ لأن الإسلام دين سماحة ، كما قال الله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ [٢]، فهو إذن ليس شأنه أن يكره الناس، ويطاردهم ـ كما يفعل الحيوان المفترس في ملاحقة طريدته ليفترسها ـ حتى يدخلوا الإسلام . . .

فإذا وجدنا أناسا تعرض عليهم التذكرة التي لا إكراه فيها ، ولكنهم ينفرون منها نفرة عشوائية على غير هدى ، فأشبه شيء لحالة هؤلاء المعرضين هو قطيع من الحمر الوحشية التي يطاردها الأسد، أو جماعة من الرماة ، فشردت مذعورة يمنة ويسرة [٣] ؛ لأن من " عادة العرب أنها تشبه في السرعة بعدو الحمر وخصوصا إذا أحست بقانص فجرى على ما عهدوه " [٤].

فقد شبه الله تعالى حالة المعرضين عن أيات كتابه المبين ، وعن دعوة رسوله الكريم (ﷺ) ، التي تقوم على الفكر، والعلم، والمنطق السليم، والبرهان المبين ، في خوفهم، وفرارهم منها ، بالحمر الوحشية [٥] التي تفر

---

(١) ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٩: ٥٨

(٢) سورة البقرة : ٢٥٦

(٣) ينظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع : ٢٦١ ـ ٢٦٢

(٤) الزمخشري ، الكشاف ، ٤ : ١٨٧

(٥) ينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ٤ : ٣١٢ وينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٤٧٢ وينظر : الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ١ : ٣٦١

حال رؤيتها القسورة أي الأسد [١]، أو الرماة [٢] الذين يصيدونها ؛ لشدة خوفها منهم لتصيدهم إياها .

والتعبير بـ" المستنفرة" أبلغ، وأدق معنى من " النافرة" ؛ لأن المستنفرة معناها الشديدة النفار [٣]، فإنها لشدة نفورها يستنفر بعضها بعضا ، ويحثه على الهرب والنفور [٤] . . وهذا مناسب لحالة المعرضين عن الحق ، الذين لا يكتفون بإعراض نفوسهم ، بل يتواصون فيما بينهم ، ويتواطأون، ويحضون عليه . .

هذا من روائع التشبيه؛ لأن الإعراض عن آيات الله دليل الجهل، والضلال كما قال ابن قيم : " وهذا من بديع القياس، والتمثيل ، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله (ﷺ) كالحمر ، وهي لا تعقل شيئا ، فإذا سمعت صوت الأسد، أو الرامي نفرت منه أشد النفور ، وهذا غاية الذم لهؤلاء ، فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم، نفور الحمر عما يهلكها، ويعقرها " [٥].

وهذا من التشبيه المرسل المجمل ، ومن نوع التشبيه التمثيلي ، المرسل لكون أداة التشبيه مذكورة ، وهي الحرف " كأن" ، والمجمل لعدم ذكر وجه الشبه فيه، والوجه منتزع بضرب من التأول ، وهو إعراض المشركين عن سماع القرآن الكريم، وعن دعوة الرسول الكريم (ﷺ) إلى الحق المبين ، ونفرهم منها نفرة عشوائية ، كذلك حالة الحمر عندما أحست بقدوم الأسد، أو الرامي نفرت منه أشد النفور بمنة ويسرة من غير نظام .

(١) ينظر : ابن عباس ، تفسير ابن عباس : ٥٠٧ وينظر : الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ٢ : ٢١١

(٢) ينظر : ابن ناقيا ، الجمان في تشبيهات القرآن : ٣٢١ وينظر ، الزمخشري ، الكشاف ، ٤ : ١٨٧ ـ ١٨٨

(٣) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٤ : ١٨٧

(٤) ينظر : ابن قيم الجوزية ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ١ : ١٦٤

(٥) المصدر نفسه ، ١ : ١٦٤

د ـ التشبيه بصوت الحمير

قال الله تعالى : ﴿ واقْصِدْ في مَشْيِكَ، واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، إنَّ أَنْكَرَالأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (١)

في هذه الآية الكريمة علّم الله تعالى الإنسان الأدب الرفيع ، بأن يكون متوسطا في أفعاله، وأقواله ، ينبغي للإنسان القصد أي التوسط في المشي ليس بالبطيء المتثبت ، ولا بالسريع المفرط بل عدلا بين بين (٢)، قال الرسول (ﷺ) : (سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن) (٣) ، وفي شأن الصوت فقد نهى الله تعالى في رفعه فيما لا فائدة فيه ، مثل في الخصومة وفي الباطل ، أما رفع الصوت للآذان، والتلبية فهو محمود (٤)، ﴿ واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ أنكر الأصوات أي أشدها ، فقد أمر الله تعالى بخفضه ، فإن شدة الصوت تؤذي آلة السمع ، وتدل على الغرور، والاعتداد بالنفس، وعدم الاكتراث بالآخرين ، ولهذا كان هذا الأمر يقتضي تحريمه، وذمه غاية الذم (٥)، ولأن الاعتدال في الصوت أوقر للمتكلم ، وأقرب لاستيعاب الكلام ووعيه وفهمه .

أما سر ذكر المانع من رفع الصوت، وعدم ذكره من سرعة المشي ، هو أن رفع الصوت ـ في الغالب ـ يؤذي السامع، ويقرع الصماخ بقوة ، وربما يخرق الغشاء الذي داخل الأذن ، أما سرعة المشي فلا تؤذي ، أو إن كانت تؤذي فلا تؤذي

(١) سورة لقمان : ١٩

(٢) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ : ٤٩١ ـ ٤٩٢

(٣) أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٨ ، ١٠ : ٢٩٠ وينظر : الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق : بكري حياني ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط (٥) ، ١٩٨٥ ، ١٥ : ٤١٢

(٤) ينظر : السجستاني ، أبو بكر محمد بن عزيز ، غرائب القرآن المسمى بنزهة القلوب ، تصحيح : مصطفى غناني بك ، المطبعة الرحمانية ـ مصر ، ط (٢) ، ١٩٣٦ : ١٨

(٥) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ : ٤٩٢

غير من في طريقه ، خلاف الصوت فإنه يبلغ من على اليمين واليسار ، ولأن المشي يؤذي آلة المشي فقط ، بينما الصوت يؤذي آلة السمع، وآلة السمع على باب القلب - وهذا خطر عليه - لأن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب ولا المشي كذلك، ولأن القبيح في الصوت أقبح من القبيح في الفعل (المشي) لكون اللسان ترجمان القلب[١].

وقد علل النهي عن رفع الصوت بأنه يشبه صوت الحمير في علوه، ورفعه وقبحه ؛ لأن أقبح الأصوات صوت الحمير ، وهو بغيض إلى الله سبحانه وتعالى ، وكان الرسول (ﷺ) قد أمرنا بالاستعاذة بالله تعالى من الشيطان كلما سمعنا صوت الحمير، حيث قال : (إذا سمعتم صياح الدِّيَكة ، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا ، وإذا سمعتم نهيق الحمار ، فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنه رأى شيطانا) [٢].

وفيه علّم الله تعالى عبادَه الأدَبَ ، في ترك الصياح في وجوه الناس فيما لا فائدة منه ؛ لأنه من أخلاق الجاهلية وعاداتها ، فقد كانت الأعراب تفخر بجهارة الصوت . . لهذا الغرض استخدم سبحانه وتعالى أسلوب التشبيه لقوة تأثيره في الكلام . .

ويعد هذا من التشبيه الضمني، أي الذي لا يصرح به ويجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إليه المشبه [٣] ؛ لأنه جاء في هذا المقام للأمر بخفض الصوت إذا كان لغير الحاجة ، والدليل على ذلك هو أن صوت الحمير مع أنه أرفع الأصوات هو أنكرها ؛ لأن " الحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة،

(١) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٢٥ : ١٥٢

(٢) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، تحقيق : محب الدين الخطيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د . ط ، د . ت ، ٢ : ٤٤٥

(٣) ينظر : السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ٢٢١

وكذلك نُهاقه *"[٢]، فإذا كان المشبه به واضحا كل الوضوح بما يُسلّم به، ولا يناقش في صدقه، إذن فلا بد أن يسلم بالمشبه أيضا [٣].

وبهذا لا يتفق الباحث مع من ذهب إلى أنها من الاستعارة التصريحية [٤]، أو من الاستعارة التمثيلية [٥].

هـ ـ التشبيه بالأنعام* في سلب الإدراك

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهنَّمَ كَثيرًا مِنَ الْجِنِّ والْإِنْسِ، لَهُم قُلوبٌ لا يَفْقَهونَ بِها، وَلَهُم أعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها، وَلَهُم آذانٌ لا يَسْمَعُون بِها، أُولٰئِك كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ، أُولٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [٦]

لقد خلق الله سبحانه وتعالى لجهنم كثيرا من الجن والإنس، وهيأهم لها، وجعلهم من أهلها الذين بعدوا عن الهدى، وعن الانتفاع بالإيمان، وعن العمل بتعاليم السماء التي بلغها رسله عليهم السلام؛ لأن الله تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ما سيعملون قبل كونهم، فكتب ذلك قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة [٧]، كما ورد ذلك في قول الرسول (ﷺ): (كتب الله

* نُهاق الحمار: صوته، نَهَق الحمار ينهِق وينهَق ويَنْهِق، نَهْقا ونهيقا ونُهاقا ونهيقا ونُهاقا وتَنْهاقا: صوّت. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: نهق، ١٠: ٣٦١

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٣: ٢٢٤

(٣) ينظر: محمد علي أبو حمدة، من أساليب البيان في القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة ـ عمان، ط (٢)، ١٩٨٣: ١٢٤

(٤) ينظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، ١١: ٨٦

(٥) ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ٢: ٤٩٤

* معناه: الإبل والبقر والغنم ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: نعم، ١٢: ٥٨

(٦) سورة الأعراف: ١٧٩

(٧) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢: ٢٩٧

مقـادير الخـلائق قبل أن يخلق السمـاوات والأرض بخمسـين ألف سنة)[١]، وأما سر تقديم الجن على الإنس فيها ، فقد تحدث أبو السعود عنه بقوله :" تقديم الجن؛ لأنهم أعرق من الإنس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات ، وأكثر عددا، وأقدم خلقا" [٢].

يصف الله أهل النار أولئك بأن لهم قلوبا قد طبع عليها فصارت مغلقة لا ينفذ إليها الإيمان ؛ لأنهم لم يستعملوا عقولهم استعمالا صحيحا للاهتداء إلى هذا الإيمان ، ولهم عيون لا ينظرون ولا يبصـرون بها نظر تبصّر، واعـتبار، وإمعان في آيات الله الدالة على وجوده ، والتي ترشدهم إلى سعادتهم في الدارين ، فكأنما عمياء لا تحركها أنوار الحق المبين . . ولهم آذان لا يسمعون بها الذكر العظيم، والوعد، والوعيد ولم يعوا دعوات الأنبياء، والرسل، وترغيبهم، وترهيبهم ، ولا يتعظون بأخبار التاريخ والأمم الغابرة [٣]. . . ؛ لأنهم لم يفتحوا القلوب التي أعطوها ليؤمنوا ، ولا حركوا العقول التي وهبوها ليفقهوا ، مع أن دلائل الإيمان والهدى حاضرة في الوجود، وفي الرسالات السماوية، تدركها العقول، والقلوب المفتوحة .

شبههم الله تعالى بالأنعام بل إنهم أضل منها" في عدم الفقه والنظر للاعتبار، والاستماع للتدبر" [٤].

وفي الإشارة بـ (أولئك) معنى البعد ؛ للإيذان ببعد منزلتهم في الضلال،وهي ترجع إلى هؤلاء المذكورين الموصوفين بالأوصاف السابق ذكرها[٥]، أي أولئك في الضلال أضل من الأنعام ؛ لأنها لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل ، في حين أن الإنسان قد أعطي القدرة على تحصيلها ، ومن أعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان أسوأ حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها ، وقيل : لأن الأنعام مطيعة لله تعالى، والكافر غير مطيع ، وقيل : لأن الأنعام تبصر منافعها، ومضارها فتسعى في تحصيل منافعها، وتحترز

---

(١) مسلم ، صحيح مسلم ، ٣ : ٢٠٤٤

(٢) أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، ٣ : ٢٩٥

(٣) ينظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ٤ : ٢٣٨

(٤) الزمخشري ، الكشاف ، ٢ : ١٣٢

(٥) ينظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، ٣ : ٢٩٥

عن مضارها، وهؤلاء الكفار، وأهل العناد أكثرهم يعلمون أنهم معاندون ومع ذلك يصرون عليه [١].

إذن فبسبب عدم تفقه قلوبهم معنى الحياة، وغاياتها، وعدم تبصر عيونهم مشاهدها ودلالاتها، وعدم تسمع آذانهم إيحاءاتها، فإنهم يكونون أضل من الأنعام الموكولة إلى استعداداتها الفطرية الهادية لها، فعاشوا غافلين عنها، لا يفكرون بها، ولا يعتبرون . . .

يعد هذا التشبيه من التشبيه التمثيلي؛ لأن وجه الشبه فيه محصل بضرب من التأول، وهو كون كفار الجن، والإنس في عدم انصياعهم لأوامر الله، ونواهيه، مع أنهم أعطوا القدرة على اكتساب ذلك إلا أنهم لم يستعملوها، وهؤلاء مثل الأنعام بل بما هو دونها ارتكاسا، وتدنيا في مهابط الرذيلة في الضلال، وسلب الإدراك.

و ـ التشبيه بالأنعام في عدم الهداية

قال الله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ، أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [٢]

بين الله تعالى في هاتين الآيتين الكريمتين جهل من أشرك بالله؛ لأنه اتبع هواه، وجعل هواه غاية وهدفا، وبنى عليه أمر دينه، حتى غدا عنده إلها يعبده، ويأتمر بأوامره، ونواهيه، واستولى عليه التقليد الأعمى، وفي ذلك إنكار للحق الذي حكم به عقله، وتنكر لفطرته السليمة التي فطره الله تعالى عليها، فما استحسنه بهواه جعله دينه، ومذهبه، كما قال الله تعالى: ﴿ أفمن زين له سوء عمله، فرآه حسنا، فإن الله يضل من يشاء ﴾ [٣] قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمانا، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني،

---

(١) ينظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، ١٥: ٦٨ ـ ٦٩

(٢) سورة الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤

(٣) سورة فاطر: ٨

وترك الأول ، وفي الآيتين الكريمتين تنبيه من الله تعالى على رسوله (ﷺ) ، في عدم الفائدة من دعوة من سيطرت عليه الأهواء إلى الدين الحق ، ولن تستطيع يا محمد (ﷺ) أن تدعوه إلى الهدى ، ولن تكون وليا يحفظه من عبادة هواه؛ لأن الله قد كتب عليه الشقاوة، والضلال ، فإنه لا يهديه أحد إلا الله سبحانه وتعالى [١]، كما في قوله عز وجّل : ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [٢]، وكما في قوله تعالى: ﴿لست عليهم بمصيطر﴾ [٣].

هؤلاء الذين غرتهم أهواؤهم ، فنسوا ربهم ، وما يأمرهم به من السمع، والطاعة ، ليست لديهم قابلية للهدى ، ولذلك ذم الله تعالى بقوله : ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ لأن (أم) للإضراب ، يقول البيضاوي : " وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب عنه إليه " [٤]، أي : بل أتظن أن أكثرهم يسمعون سماع تدبر وفهم ، أو يعقلون ويفكرون فيما تتلو عليهم ، فقد أضرب من القبيح إلى الأقبح ، فذمهم بكونهم مسلوبي الأسماع، والعقول ، ومشبهين بالأنعام في الغفلة، والضلال ، بل هم أرجح منها ضلالة ؛ لأنها تنقاد لمن يتعهد ها ، وتميز المحسن إليها من المسيء ، وتطلب ما ينفعها ، وتتجنب ما لا ينفعها ، وتتجنب ما يضرها ، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان ، لا يطلبون ما هو أعظم المنافع من الثواب ، ولا يتقون ما هو أشد المضار من العقاب ، وهذه الأنعام لم تعتقد حقا، ولم تكسب خيرا، فإنها لم تعتقد باطلا ، ولم تكسب شرا ، بخلاف هؤلاء ، وكذلك جهالتها لا تضر بأحد، وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هياج الفتن، وصد الناس عن الحق ، وإنها تفعل ما خلقت له ، وهؤلاء لم يفعلوا ما خلقوا لها وهي العبادة لله وحده ، بل يعبدون غيره، ويشركون به مع قيام الحجة عليهم، وإرسال الرسل إليهم ، وهي غير متمكنة عمل الفعل للسعادة في الدارين ، فلا تقصير منها ولا ذم ، وهؤلاء يستطيعون فعل ذلك

---

(١) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ : ٣٥٢

(٢) سورة القصص : ٥٦

(٣) سورة الغاشية : ٢٢

(٤) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ٦ : ٤٢٧

ولكنهم مقصرون فيستحقون العقاب الأليم [١].

ويعد هذا من التشبيه التمثيلي ؛ لأن الوجه فيه ينتزع بضرب من التأول ، وهو أن المشبه اتخاذهم هواهم إلها دون أن يستعملوا عقولهم في تمييز الحق عن الباطل ، فوقعوا في ضلال ، كأنهم أجسام بلا عقول ، كما أن المشبه به وهو الأنعام في عدم الهداية ؛ لأنها لا عقول لها أصلا ، ولذا فلا تفكر في أعمالها ، وهؤلاء أشد منها ضلالة ؛لأن لديهم عقولا وأداة لو استعملوها لاهتدوا ، بخلاف الأنعام ؛ لأنها لا تملك الأداة للهداية ، فمن الطبيعي أن تقع في الضلالة .

ز ـ التشبيه بالأنعام في شدة انهماكها في الأكل

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ، وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ [٢]

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة مصير المؤمنين والكافرين ، حيث إن المؤمنين الذين آمنوا بالله ، وصدقوا برسوله (ﷺ) وعملوا عملا صالحا ، وقاموا بالفرائض ، واجتنبوا المعاصي ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ، أدخلهم الله جناته التي تجري من تحتها الأنهار ، فالله هو الذي يدخلهم بنفسه ؛ تكريما لهم ، وهم ينالونه من بين يدي الله في علاه جزاء على الإيمان ، والصلاح [٣].

والذين كفروا وجحدوا بوجودالله ، وتوحيده ، وكذبوا رسوله (ﷺ) يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها ، وزينتها الفانية الدارسة ، ويأكلون فيها غير مفكرين في المعاد ، ولا معتبرين بما وضع الله تعالى لخلقه من الأدلة والبراهين

---

(١) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ٩ : ٣٩٣ وينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٣ : ٩٤ وينظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ٦ : ٤٢٧ وينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣ : ٣٥٢

(٢) سورة محمد : ١٢

(٣) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ١١ : ٢١٢ وينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٦ : ٣٢٩٠

التي تؤدي بهم إلى علم توحيد الله، ومعرفة صدق رسله الكرام ، فمثلهم في أكلهم فيها من غير علم ولا معرفة ساهين عن العاقبة ، لاهين بما هم فيه ، مثل الأنعام من البهائم المسخرة التي ليس لها همّ إلا بطونها [١]، ولهذا جاء في الصحيح قول الرسول (ﷺ) : (المؤمن يأكل في معًى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء) [٢]، شتان ما بين المؤمن، والكافر في الأكل؛ لأن المؤمن يأكل ليقوى على عمل الخير والطاعة ، ولهذا كان المؤمن يأكل في معى واحد والكافر في سبعة أمعاء [٣].

أما سر ذكر التمتع بالدنيا مع الكفار دون المؤمنين ، فهو أن من يملك ملكا عظيما، ومعه شيء يسير أيضا ، فلا يذكر إلا بالملك العظيم ، يقال في حق الملك العظيم صاحب القصر الفلاني ، ومن لا يملك إلا شيئا يسيرا فلايذكر إلا به ، فالمؤمن له ملك الجنة وما فيها، فمتاع الدنيا لا يلتفت إليه في حقه ، والكافر ليس له إلا متاع الدنيا، فلا يذكر إلا به [٤].

ويعد هذا من تشبيه المحسوس بالمحسوس ؛ لأن الله تعالى شبه الكفار (المشبه) عندما يأكلون، ويتمتعون في الدنيا بنعم الله غافلين عن الجزاء الذي ينتظرهم في الآخرة ، بالأنعام (المشبه به) عندما تأكل غافلة عن السكين المنتظِر ؛ لأنها كلما كانت أسمن كلما كانت أقرب إلى الذبح ، ووجه الشبه فيهما هو أنهما حريصان على الأكل، والمتاع، وغافلان عن العاقبة . . .

* * *

---

(١) ينظر: الطبري ، تفسير الطبري، ١١ : ٣١٢ وينظر: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٦ : ١٥٥ وينظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ٨ : ٤٤ وينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ١٨٥

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ٣ : ٤٢٤ وينظر : مالك بن أنس ، كتاب المؤطأ ، ١ ـ ٢ : ٨٠٤ وينظر : الترمذي ، سنن الترمذي ، ٤ : ٢٦٦

(٣) ينظر : فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع : ٩٧

(٤) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٢٨ : ٥٢

الفصل الثالث

تشبيه الإنسان بالإنسان

لقد كرّم الله تعالى الإنسان وميّزه عن سائر خلقه ، وسخر له كل مخلوقاته؛ لمنزلته الخاصة عنده سبحانه وتعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾[١] فقد ميزه بالعقل؛ لأنه سبيل معرفة الوحي ، ومحل تكليفه ، وبه فضله الله تعالى على الملائكة حيث جعله خليفة في الأرض ، كما في قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾[٢].

يقول محمد الطبيشات : " لقد وجدت أن البعد الإنساني في القرآن الكريم يظهر بوضوح وبأشكال متنوعة ، تنطلق جميعها من مبدأ التكريم للإنسان "[٣].

لذا جعل الله تعالى الإنسان المحور الأساسي في القرآن الكريم ؛ في أحكامه ، وفي مواعظه ، وفي وعده ووعيده ، حتى في أساليبه . . . ، لعل هذا الاهتمام هو السبب في أكثر مجيء تشبيه الإنسان في القرآن الكريم بالإنسان مثله .

فقد جاء التشبيه في القرآن الكريم لغرض التأثير في عواطف الناس ، لغاية الترهيب والترغيب ، لهذا كانت تشبيهات الإنسان بالإنسان قد حازت أكبر حيز من مساحة التشبيه عامة في القرآن الكريم ، بالمقارنة مع تشبيهات الإنسان

---

(١) سورة الإسراء : ٧٠

(٢) سورة البقرة : ٣٠

(٣) محمد الشيخ عايد الطبيشات ، الإنسان في القرآن الكريم طبيعته وتصوره منزلته في الكون صلاته الوجودية قيمه مصيره ، طبعه وأخرجه محمد غانم إربد ــ الأردن ، ط (٢) ، ١٩٩٥ : ٢١٠

بغيره ، حيث جاءت مائة وسبعة تشبيهات من مائة وثمانية وأربعين تشبيها من تشبيهات الإنسان الواردة في القرآن الكريم ، أي ما يعادل ٧٢ ٪ .

لعل سبب ذلك يرجع إلى كون هدف القرآن الكريم هو هداية الناس كافة ، فمن الطبيعي أن يركّز على العقيدة أكثر من غيرها ، والإنسان هو أنسب ما يشبه به في هذا الصدد؛ لكونه هو مناط التكليف والابتلاء .

فقد وردت تشبيهات الإنسان بالإنسان بجميع أنماطه: المؤمن والكافر والمنافق وأنماط أخرى لم تُبين حقيقتها . . ، وكان أكثر هذه الأنماط استخداما هو تشبيه الإنسان بالكافر، حيث جاءت تسعة وخمسون من مائة وسبعة تشبيهات ، لعل سرّ ذلك هو أن دعوة الإسلام هي دعوة خير ، وكان المجتمع في أساسه مجتمع كفر ، وهدف رسالة الإسلام هو إنقاذ المجتمع من العاقبة السيئة ، والتنبيه الشديد على مصيرهم المؤلم الذي سيواجهونه في الآخرة إذا استمروا في كفرهم ، وأما أقل هذه التشبيهات حضورا فهو تشبيه الإنسان بالمنافق ، حيث جاءت ثمانية فقط من مائة وسبعة تشبيهات . . . ، لعل سبب ذلك عائد إلى أن ظهور المنافقين في المدينة المنورة ، أي في أواخر زمن نزول القرآن ، وكان عددهم أقل بكثير من عدد الكفار في ذلك الوقت ، وأيضا كانت حقيقتهم غير معروفة عند أغلب الناس في حينه .

* * *

١ ـ تشبيه الإنسان بالمؤمنين

أ ـ التشبيه بحب المؤمنين لله

قال الله تعالى : ﴿ ومِنَ النّاسِ مَن يَتّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَندَادًا، يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللّهِ ، وَالّذِين آمَنوا أَشَدُّ حُبًا لِلّهِ ، وَلَوْيَرَى الّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا، وَأَنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (١)

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة حال المشركين في عبادتهم ، حيث إنهم يقلدون آباءهم في اتخاذهم الأنداد أي شركاء لله تعالى من الأصنام ، وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم، ويطيعونهم، وينزلون على أوامرهم، ونواهيهم (٢)، وفي تعظيمهم إياها ، دون أن يستعملوا عقولهم فيقودهم ذلك إلى عدم التفكر في خلق السماوات والأرض ، وعدم البحث والاستقراء التام؛ ليتوصلوا إلى اليقين في الاعتقاد، والإيمان بالله الفرد الصمد ، ولم يتجاوبوا مع دعوة الداعي ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ (٣) فالمقلدون الذين قالوا : ألفينا آباءنا على دين ونحن على آثارهم مقتدون ، لم يدركوا حقيقة الإسلام ، ولا شعّ نوره في قلوبهم؛ لبعدهم عنه ، أو لاكتفائهم بظاهر إيمانهم ، لذلك ضرب الله تعالى لهم تشبيها يبين صفاتهم، وأحوالهم في اتخاذهم من دون الله عزوجل أصناما أو أشخاصا، أو كائنات معينة ، ويعظمونهم، ويلتمسون منهم الخير، ويتوسلون بهم دفع الشر ، ولكنهم مع هذا كله مضطربون حيارى ، وأنهم مع عجز معبودهم في تحقيق رغباتهم وأمانيهم يحبونهم على الباطل كحب المؤمنين الله على الحق ، ثم أخبرهم أن المؤمنين أشد حبا لله من حب متخذي الأنداد لأندادهم (٤)؛ لأن المؤمنين لا يحبون شيئا حبهم لله ؛ لا أنفسهم ولا أهليهم ، ولا سواهم من البشر مهما عظم وسما ، ولا يقيمون له وزنا ، ولا يشركون به شيئا بل يعبدونه وحده ،

(١) سورة البقرة : ١٦٥

(٢) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ١ : ٣٢٦

(٣) سورة الزخرف : ٢٢

(٤) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ٢ : ٧١ وينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن العظيم ، ٢ : ١٢٧

ويتوكلون عليه ، ويلجأون في كل أمورهم إليه [١]، وحبهم له يكون حبا مطلقا من كل موازنة ومن كل قيد "لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره ، بخلاف المشركين فإنهم يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه، ويخضعون له، ويجعلونهم وسائط بينهم، وبينه ، فيقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله . . ." [٢]، ولأن المؤمنين عرفوا عن طريق تفكيرهم حقيقة وجود الله، وجلال شأنه، وعظيم فضله عليهم .

يقول سيد قطب : " فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب ، صلة الوشيجة القلبية ، والتجاذب الروحي ، صلة المودة والقربى " [٣]، فعبدوه حبا، وطاعة وقناعة وعرفانا . .هذا التشبيه يفيدنا في مدى حب المشركين لآلهتهم [٤].

ويعد هذا من التشبيه المرسل المجمل، لكون أداة التشبيه مذكورة ، وهي حرف ((الكاف))؛ولأن وجه الشبه غير مذكور، وهو حال المشركين في طاعتهم للأنداد والتعظيم لهم ، كما حال المؤمنين في طاعتهم لله والتعظيم له .

ب ـ التشبيه بأبي البشر عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٥]

أجمع المفسرون على أن الآية الكريمة قد نزلت في وفد نصراني من نجران " وذلك أن رهطا من أهل نجران قدموا على محمد (ﷺ) ـ وكان فيهم السيد والعاقب ـ فقالوا لمحمد (ﷺ): ما شأنك تذكر صاحبنا ؟ فقال : من هو ؟ قالوا :

---

(١) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١ : ٢١٦

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ١ : ٣٢٦ وينظر : السيوطي ، تفسير الجلالين : ٣٠

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١ : ١٥٤

(٤) ينظر : أحمد أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن : ١٩٨

(٥) سورة آل عمران : ٥٩

عيسى ، تزعم أنه عبد الله ! فقال محمد (ﷺ) : أجل ، إنه عبد الله ، قالوا له : فهل رأيت مثل عيسى ، أو أنبئت به ؟ ثم خرجوا من عنده ، فجاءه جبريل بأمر ربنا السميع العليم فقال : قل لهم إذا أتوك : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ﴾ إلى آخر الآية " [١].

إن خلق عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ من غير أب يبدو شأنا غريبا عند بعض الناس ، ولكنه ليس غريبا عند المؤمنين بالله الذين آمنوا به حق الإيمان ، وهو عند الله شأن يسير ؛ لأن الله قد خلق ما هو أغرب منه ، وهو خلق آدم ـ عليه السلام ـ (من غير أب وأم) ، فقد ردّ الله تعالى " على النصارى الذين ادعوا أن عيسى ـ عليه السلام ـ هو الله ، أو ابن الله ، أو هو ثالث ثلاثة ، على اختلاف مذاهبهم في ذلك " [٢] بهذا التشبيه ، حيث شبه الغريب بالأغرب ، ليكون أقطع لهم ، وأحسم لمادة شبهتهم ، وأوقع في النفوس ؛ لأنهم قد أقروا بهذا الخلق لآدم عليه السلام ، الذي خلق من غير أب وأم ، إذن فلا بد من أن يقروا بما هو أيسر ، وأقل غرابة منه ، وهو خلق عيسى ـ عليه السلام ـ الذي خلق من غير أب فقط .

وإذا كان لكل منهما ميزته في الخلق ، كون آدم ـ عليه السلام ـ خلق من تراب وعيسى ـ عليه السلام ـ من الروح ، فلا شيء يمنع من تشبيه خلق عيسى بخلق آدم عليهما السلام ؛ لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ، وقد شبه به في أنه وجد وجودا خارجا عن العادة ، فهما في ذلك نظيران ، والله بهذا التشبيه قد حسم الأمر في حقيقة عيسى عليه السلام ، وفي طبيعة الخلق ، وبيّن أن قدرته العظيمة هي التي تنشئ الكائن كما يشاء سبحانه وتعالى . . .

فأهل الكتاب الذين كانوا يناظرون ، ويجادلون حول عيسى عليه السلام بسبب مولده ، ويصوغون حوله الأوهام والأساطير ؛ بسبب أنه نشأ من غير أب ،

---

(١) الطبري ، تفسير الطبري ، ٣ : ٢٩٣ وينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٨ : ٨٢ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٢ : ٥٠٠

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أمثال القرآن وصوره من أدبه الرفيع : ٢٦

فهؤلاء أنفسهم كانوا يقرون بنشأة آدم عليه السلام من التراب ، وأن النفخة من روح الله هي التي جعلت منه هذا الكائن الإنساني من غير أن يصوغوا حوله الأساطير التي صاغوها حول عيسى عليه السلام ، ودون أن يقولوا عن آدم : إن له طبيعة لاهوتية ، في حين أن العنصر الذي صار به آدم إنسانا ، هو نفس العنصر الذي ولد به عيسى من غير أب [١] ؛ عنصر النفخة الإلهية في هذا وذاك ، " وكلا هما خاضعان للإرادة التكوينية من قبل الله تعالى ﴿ كن فيكون ﴾ ، وهذا سر الحياة الذي لا يعلمه إلا الله " [٢].

وبهذا تتجلى هذه الحقيقة ؛ حقيقة عيسى، وحقيقة آدم عليهما السلام ، فلا ينبغي أن يثار الجدل حول هذا الحادث ، فهو جار وفق سنن الله الكبرى في خلق عباده ، وكيفية تكوينه .

ويعد هذا من التشبيه المرسل المجمل، لكون أداة التشبيه فيه مذكورة، وهي حرف الكاف ، وكون وجه الشبه فيه غير مذكور ، وهو المشاركة بين آدم، وعيسى ـ عليهما السلام ـ في كون الله تعالى خلقهما من غير أب .

جـ ـ التشبيه بصاحب الحوت عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ، وَلا تَكُنْ كصَاحِبِ الْحُوتِ، إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ [٣]

دعا الله سبحانه وتعالى رسوله (ﷺ) بأن يصبر على قضاء حكمه في جعله نبيا ورسولا؛ ليتحمل تبليغ آخر رسالته في الأرض ، وهي دعوة إلى الصبر على أمره

---

(١) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ١ : ٤٣٣ وينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ١ : ١٦٠ وينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ١ : ٤٠٤ ـ ٤٠٥

(٢) محمد حسين علي الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية ، دار الرشيد ـ العراق ، د . ط ، ١٩٨١ : ٢٩٦

(٣) سورة القلم : ٤٨

في اتباع حكمه فيه ، وفي هؤلاء المشركين بما أتاه من هذا القرآن ، وهذا الدين الحنيف، وألا يتصرف تصرفا إلا بإذنه [١]، منها : ألا يقاتل المشركين في بادئ الأمر ، مهما ناله (ﷺ) من أذاهم ، ومن عنتهم وعداوتهم ، حتى يأذن الله سبحانه وتعالى له بالقتال ، فيأتيه النصر من ربه ، الذي ينصر أولياءه ، ويقهر أعداءه ، ومنها : ألا يهاجر من مكة المكرمة في أول دعوته ، بسبب معارضة قومه الشديدة في قبول دعوته إلى الإسلام، وبسبب إيذائهم المستمر له، ولأصحابه الكرام، إلا بعد إذنه تعالى ؛ لأن الله تعالى ينصره، ويحفظه من إيذاء قومه[٢]، ومنها : أن يصبر لحكم ربه في إمهال المشركين، وتأخير نصرته عليهم ، فلا يغضب بما قدر لأن النصر آت بلا ريب [٣].

أما سبب نزول الآية الكريمة ، فقيل إنها نزلت بأحُد حين حل برسول الله (ﷺ) ما حل وانهزم ، فأراد أن يدعو على الذين انهزموا ، وقيل : إنها نزلت حين أراد أن يدعو على بني ثقيف [٤].

فالدعوة إلى الصبر فيها هي مواساة للرسول (ﷺ) على ما يناله من أذى قومه ، ولكن مع هذه المواساة ينهاه بألا يكون كالنبي يونس ـ عليه السلام ـ ، إذ لم يصبر على أذى قومه، وجهلهم، وشدة كفرهم ، فاستعجل في الخروج من بينهم مغضبا مستاء ، قبل أن يستأذن ربه في هذا الخروج، ويقول في نفسه : " إن الله لن يضيق عليّ بالبقاء بين هؤلاء المتعنتين المعاندين ، وهو قادر على أن يرسلني إلى قوم آخرين ! وقد قاده الغضب والضيق إلى شاطئ البحر ، حيث ركب سفينته ، فلما كانوا في وسط اللج ثقلت السفينة، وتعرضت للغرق ، فأقرعوا بين الركاب؛ للتخفف من واحد منهم لتخف السفينة . . فكانت القرعة على يونس ،

---

(١) ينظر : سعيد حوى ، الأساس في التفسير ، ١٠ : ٦٠٦٦

(٢) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ١٢ : ٢٠٢

(٣) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٣٠ : ٩٩ وينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٨ : ١٦٤ وينظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، ٩ : ١٩

(٤) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٣٠ : ١٠٠

فألقوه في اليم ، فابتلعه الحوت "[١]، فكان أن حكم الله تعالى عليه بأن يعاني شدة ظلمات ثلاث ، بعد أن ابتلعه حوت كبير في جوفه ، فكابد من جراء ذلك ، ظلمة الليل البهيم ، وظلمة البحر القاتم ، وظلمة جوف الحوت الخانق ، وهو حي مكظوم مغموم في وسط تلك الظلمات ، وينادي ربه[٢] بقوله عليه السلام : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ [٣] فاستجاب سبحانه وتعالى لدعائه، وأدركته رحمته .

ويعد هذا من تشبيه المعقول بالمعقول ؛ لأن الله تعالى نهى أن يكون حال الرسول (ﷺ) في دعوته مثل حال نبي الله يونس عليه السلام ، في الغضب والضجر، والعجلة ، كما يقول أبو حيان الأندلسي : " وليس النهي منصبا على الذوات، إنما المعنى لا يكنْ حالك مثل حاله إذ نادى "[٤].

لهذا لا يذهب الباحث إلى ما ذهب إليه صاحب كتاب (البيان في ضوء أساليب القرآن)، حين قال : " أما تشبيه المعقول بالمعقول فلا يوجد في القرآن أصلا "[٥] ؛ لأن هذا الحكم ينقصه الاستقراء التام عن التشبيهات الواردة في القرآن الكريم .

د ـ التشبيه بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران

قال الله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَونَ، إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَونَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا، فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنا، وصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّها وكُتُبِه وكانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [٦]

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ٦ : ٣٦٧٠

(٢) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٤٣١ ـ ٤٣٢

(٣) سورة الأنبياء : ٨٧

(٤) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨ : ٣١٠

(٥) عبد الفتاح لاشين ، البيان في ضوء أساليب القرآن : ٥٢

(٦) سورة التحريم : ١١ ـ ١٢

بين الله تعالى للمؤمنين أن الاختلاط مع الكفار في الإسلام لايضر ، ما دام الاعتصام بالله، والإيمان هو الصفة المسيطرة على المؤمن .

فقد شبه الله تعالى الذين آمنوا في صبرهم بامرأة فرعون ـ آسية بنت مزاحم ـ التي آمنت بالله وكتبه ورسله ، واهتدت بفضله إلى الإسلام ، فعبدت الله من خلال إسلامها ، رغم أنها كانت تحت عدو من أعداء الله طاغية جبار، والذي يدعي بأنه إله ، ولكنها رفضت ذلك منه ومن ادعائه ، وسخرت من سفاهة قومه، وعبادتهم، فظلت على إسلامها وإيمانها الصادقَيْن ، حتى تبينت حقيقتها لفرعون زوجها ؛ فنهاها عن ذلك لكونها زوجته، وشريكته في الملك ، إلا أنها لم تخضع لأمر زوجها، لأنها مؤمنة بالله خالقها ، فخاف فرعون من أمرها ، فعذبها عذابا شديدا ، قيل : أوتَدَ لها أوتادا، وشدَّ يديها ورجليها ، وعذبها بالشمس، ووضع على ظهرها رحى ، فدعت ربها وقالت : ﴿ رب ابن لي بيتا عندك في الجنة ﴾ فقد اختارت الجار قبل الدار ، طلبت القرب من رحمة الله تعالى ، فكأنها أرادت الدرجة العالية ؛ لأنه تعالى منزه عن المكان ، فعبرت عنها بقولها عندك [١]، ووافق ذلك حضور فرعون ، فضحكت حين أراها الله تعالى بيتها في الجنة ، فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ! إنا نعذبها وهي تضحك ؛ فقبض الله روحها على الإسلام، وطاعة الله، ورسوله ، ونجاها من فرعون ، وظلم قومه [٢].

ثم ضرب الله تعالى تشبيها آخر بمريم ابنة عمران أم عيسى ـ عليهما السلام ـ التي أحصنت فرجها من الدنس ، وعفت عن كل حرام ، جمع الله لها بين كرامة الدنيا، والآخرة ، واصطفاها على نساء العالمين في عصرها ، مع كونها بين قوم عصاة ، فخلق الله سبحانه وتعالى ابنها عيسى في بطنها من دون أب ، ونفخ فيه من روحه بواسطة جبريل عليه السلام [٣] . . وقد صدقت ـ عليها السلام ـ بكلمات ربها أي بشرائعه، وكتبه المنزلة فكانت من القانتين المطيعين الدائمين على طاعة الله عزوجل .

---

(١) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٣٠ : ٥١ وينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ٤ : ٢٧٢ وينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٤١٦

(٢) ينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٨ : ١٣٢

(٣) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ١٢ : ١٦٣ وينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٤١٦ وينظر : السيوطي ، تفسير الجلالين : ٦٠٩

عن ابن عباس قال : " خط رسول الله (ﷺ) في الأرض أربعة خطوط ، وقال أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله (ﷺ) : أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون " [١].

وفي التشبيه بامرأة فرعون تحريض للسيدة حفصة، وللسيدة عائشة على التمسك بالطاعة، لما ظهر منهما التظاهر على الرسول (ﷺ) كما بين الله في أول هذه السورة ، وأما في تشبيه المؤمنين بالسيدة مريم بنت عمران ، هو كون قذف اليهود عليها ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برأهما الله تعالى عنه ، لا تضرها شيئا عند الله ؛ لأنها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين ، وفي هذا تسلية للسيدة عائشة أم المؤمنين ، إن كانت السورة نزلت بعد حادثة الإفك ، وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبل الحادثة [٢].

ويُعد هذان التشبيهان من التشبيه التمثيلي ؛ لأن وجهي الشبه فيهما ينتزعان بضرب من التأول ، في الأول : كون المؤمن إذا اتصل بكافر، وهو محافظ على دينه ولم يتبع ما دعا إليه صاحبه إلى الكفر لم يضره شيء عند الله تعالى ، كما كانت حال آسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع زوجها ، لم يضرها شيء عنده تعالى لعدم طاعتها إياه في الكفر ، وأما في الثاني: كون بعض الناس من المسلمين قذف السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق في حادثة الإفك فلم يضرها شيء عند الله تعالى؛ لأنها صادقة ، كما أن قذف اليهود على السيدة مريم بنت عمران لم يضرها شيء عنده سبحانه وتعالى؛ لأنها الصديقة الكبرى ، أي أن معصية الآخرين لا تضر المؤمن المطيع شيئا في الآخرة .

***

---

(١) الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، عالم الكتب ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٦ ، ٣ : ١٨٥

(٢) ينظر : ابن قيم الجوزية ، الأمثال في القرآن الكريم : ٢٦٦ ـ ٢٦٧ وينظر : للمؤلف نفسه : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ١ : ١٨٩ ـ ١٩٠

٢ ـ تشبيه الإنسان بالكافرين

أ ـ التشبيه بفرعون وملئه

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ * فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا، وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ (١)

أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أنه بعث موسى، وأخاه هارون ـ عليهما السلام ـ ، مؤيدين بآيات بينات تدل على حقيقة وجوده عزوجل ، وعلى وحدانيته، وتفرده في الألوهية والربوبية ، وهذه الآيات عددها تسع ، وهي: " العصا، واليد، والجراد، والقُمّل، والضفادع، والدم، وانفلاق البحر، والسنون، ونقص من الثمرات" (٢)، وكما تدل على صدق بعثهما ؛ مزودين بسلطان مبين وهو عصاه ؛ لأنها كانت أمّ معجزات موسى عليه السلام وأشرفها ، لكون سائر معجزاته قد تعلقت بها ؛ من انقلابها حية، وتلقفها ما أفكته السحرة ، وانفلاق البحر ، وانفجار العيون من الحجر بالضرب بها ، وكونها حارسا، وشمعة، وشجرة خضراء مثمرة ودلوا، ورشاء ، فلأجل انفراد العصا بهذه الفضائل أفردت بالذكر، كقوله تعالى : ﴿ وملائكته ورسله وجبريل وميكال ﴾ (٣)، وأيضا لكون موسى عليه السلام قد تحدى بها (٤)، كل هذه الحجج، والبراهين كانت لمواجهة فرعون وملئه ـ أي أشرافُ قومه ورؤساؤهم الذين يرجع إلى قولهم (٥)ـ

---

(١) سورة "المؤمنون" : ٤٥ ـ ٤٧

(٢) الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٢٣ : ١٠٢ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٦ : ٢٧٦

(٣) سورة البقرة : ٩٨

(٤) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٣ : ٣٣ وينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٢٣ : ١٠٢ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٦ : ٢٧٦

(٥) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : ملا ، ١ : ١٥٩

في دعوة موسى، وهارون ـ عليهما السلام ـ إياهم لدخولهم إلى دين الله الحق، ولكنهم أبوا، واستكبروا عن دعوتهما إلى الإيمان، وتجبروا، وتعاظموا؛ لأنهم كانوا قوما عالين في الحكم والسلطان والقوة والثراء، وما إلى ذلك من الشؤون الدنيوية التي يتعالى بها الناس فيما بينهم . . .

وكان إنكار فرعون واستكباره، وملئه في قبول دعوة موسى، وهارون لشبههما بأحوالهم لما بينهم من المماثلة في البشرية، بناء على جهلهم بتفاصيل حقيقتها، وتباين طبقات أفرادها في مراقى الكمال، ومهاوي النقصان، بحيث بعضها في أعلى العليين وبعضها الآخر في أسفل السافلين [١]، إذ قالوا: ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ فهم لم يقروا بموسى وهارون رسولين من الله سبحانه وتعالى، بل إنهم ينكرون رسالتيهما، ويرفضون اتباعهما، والانقياد لأمرهما؛ لأنهما بشران مثلهم [٢]، ولأن قومهما من بني إسرائيل الذين كانوا يأتمرون بأمرهم وأنهم لهم مطيعون متذللون، يخدمونهم في زراعة الأرض، وجمع الغلال، وكل ما يوفر لهم الثروة والراحة، ويدينون لهم، والعرب تسمي كل من دان لملك عابدا له [٣].

ويعد هذا من التشبيه المؤكد، والمجمل، لكون أداة التشبيه فيه مذكورة، وهي " مثل "، ولكون وجه الشبه فيه غير مذكور، وهو كون خصائصهما متساوية في البشرية، حيث إنهما يحتاجان إلى الأكل والشرب والنوم، وإلى غير ذلك مما يحتاج إليه الإنسان . . وطرفا التشبيه فيه حسيان؛ لأن المشبه والمشبه به يحسان بإحدى الحواس الخمس، وهي البصر . . .

ب ـ التشبيه بامرأة نوح وامرأة لوط

قال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ، كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ، فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا،

(١) ينظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي، ٦: ٣٣٣
وينظر: أبوالسعود، تفسير أبي السعود، ٦: ١٣٦

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣: ٢٧١

(٣) ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ٩: ٢١٧

وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [١]

عمل الإنسان في الإسلام هو الأصل ، وهو الأساس في ميزان العدل الإلهي ، حيث يحاسب كل فرد على ما فعل وعمل ، والدين هو كلمة الفصل بين المرء، وأخيه عند الله سبحانه وتعالى ، كما يقول الإمام علي كرم الله وجهه [٢]:

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِدِيْنِهِ فَلَا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ
فَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّرِيفَ أَبَا لَهَبِ

في هذه الآية الكريمة بيّن الله تعالى حكما عاما ، في عدم انتفاع شفاعة أشخاص ذوي منزلة رفيعة عند الله سبحانه وتعالى لأهلهم ، إذا كان بينهما فرق، واختلاف في الدين ، وهذا ينطبق على جميع النساء وعلى جميع المؤمنين ؛ لأن العمل، والإخلاص هما القاعدة، والأساس في الإسلام ، وفيها أيضا تعريض بأُمّيْ المؤمنين ، وهما : السيدة عائشة، والسيدة حفصة لما فرط منهما من تظاهرهما على الرسول (ﷺ) المذكورتين في أول السورة ، وتحذيرلهما على أغلظ وجه، وأشده لما في التشبيه من ذكر الكفر [٣]، و قد نبه الله تعالى المصطفى (ﷺ) فيها إلى عدم إطاعة زوجاته في معصية الله سبحانه وتعالى ورسوله [٤]، كما أن الله قد نادى زوجاته، وحثهن على التقوى [٥]؛ لأن مصاحبة الرسول (ﷺ) مع معصية الله تعالى، أو مخالفة رسوله (ﷺ) لا تنفعهن ، فقد ضرب الله تعالى التشبيه لهؤلاء بنساء كافرات كنّ أزواجا لرسل الله عليهم السلام .

---

(١) سورة التحريم : ١٠

(٢) أبو السبطين ، ديوان الإمام علي أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين : ١٣

(٣) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٤ : ١٣١ وينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٣٠ : ٥٠

(٤) ينظر : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم ﴾ سورة التحريم : ١

(٥) ينظر : قوله تعالى : ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ﴾ سورة الأحزاب : ٣٢

والتشبيه كان بامرأة نوح، وامرأة لوط اللتين خانتا في الدين زوجيهما، النّبيين الصالحين ؛ ذلك أن امرأة نوح كانت كافرة، وكانت تقول للناس : إنه عليه السلام مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط كانت قد تآمرت مع قومه عليه السلام بأن تدل على أضيافه ، إذا نزلوا به ليلا بإيقاد النار ، ونهارا بالتدخين ، فيأتون محاولين منعهم من ذلك [١]، فخيانتهما هي خيانة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وهي كفر صريح ، وليست خيانة البغي [٢]، أي أنهما لم تؤمنا بعقيدة التوحيد، وبقيتا على الكفر ، ولذلك ضرب الله تعالى بهما التشبيه للذين كفروا . . وببقائهما على الكفر لم يغن عنهما شيئا زواجهما من نبيّين كريمين عليهما السلام ؛ لأن " الكفر قاطع العلائق بين الكافر، والمؤمن ، وإن كان المؤمن في أقصى درجات العلا " [٣]، بل على العكس زاد في ذنوبهما، وآثامهما ؛ لأنه كان الأولى بهما أن تؤمنا بدعوة زوجيهما ، وتعينهما على نشر هذه الدعوة . .

فلو أن القرابة، أو المصاهرة، أو الزواج مع عدم الإيمان، والعمل الصالح ينفع في شيء ، لكانت نفعت صلة العمومة التي بين نبينا محمد (ﷺ)، وعمه أبي لهب ، وصلة البنوة بين نوح عليه السلام، وابنه ، فأبو لهب، وابن نوح ظلا على كفرهما ، ولم يؤمن الأول بدعوة ابن أخيه، ولا آمن الثاني بدعوة أبيه ، ولم يغن كل من نوح، ولوط ـ عليهما السلام ـ عن امرأته شيئا . . .؛ لأن علاقتهم ومعاشرتهم بالمسلمين بل بأشرافهم لا تنفعهم عند الله تعالى، إن لم يكن الإيمان حاصلا في قلوبهم [٤].

ويعد هذا من التشبيه التمثيلي ؛ لأن وجه الشبه فيه منتزع بضرب من التأول ، وهو أن أزواج النبي (ﷺ) إن لم يطعن الله تعالى، ورسوله (ﷺ) ولم يردن الدار الآخرة ، لن ينفعهن اتصالهن برسول الله (ﷺ) ، كما لم ينفع امرأة نوح، ولوط اتصالهما بهما ، لكونهما لم يطيعا الله تعالى، وزوجيهما عليهما السلام .

---

(١) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ١٢ : ١٦٠ وينظر : السيوطي ، تفسير الجلالين : ٦٠٨

(٢) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٣٠ : ٥١

(٣) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨ : ٢٨٩

(٤) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٤١٥

جـ ـ التشبيه بالأقوام الكافرة لبعض الأنبياء

قال الله تعالى : ﴿ وَيَاقَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُم مِثْلُ مَا أَصَابَ قَومَ نُوحٍ، أَوْ قَوْمَ هُودٍ، أَوْ قَومَ صالِحٍ، وَمَا قَومُ لُوطٍ مِنْكُم بِبَعِيدٍ ﴾ (١)

أرسل الله ـ سبحانه وتعالى ـ شعيبا ـ عليه السلام ـ إلى أهل مدين " وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز، والشام قريبا من معان * " (٢) وكان شعيب ـ عليه السلام ـ من أشرفهم نسبا ، يدعوهم إلى عبادة الله الفرد الصمد ، وإلى إصلاح الحياة الاجتماعية وهي قضية الأمانة، والعدالة في التعامل بين الناس ، ويعظهم بأن يتخلوا عن عاداتهم السيئة وألا يبخسوا الناس حقوقهم ، بل يكونوا مستقيمين في معاملاتهم وتجاراتهم غير منقصين للكيل والميزان ﴿ ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ (٣) وأمرهم أن لا يفسدوا في الأرض بعد ذلك بالقتل، أو بغيره من الشرور، والآثام ؛ لأن من عادتهم أنهم كانوا يقطعون الطريق (٤)، ويقول القرطبي : " كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف ؛ كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد ، واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه وظلموا ؛ وإن جاءهم مشترٍ للطعام باعوه بكيل ناقص ، وشحوا له بغاية ما يقدرون . . . " (٥) فأراد نبي الله شعيب ـ عليه السلام ـ أن يرد هم عن تلك الأفعال السيئة ، وأن يردعهم عن تلك العادات الذميمة ؛ ليعيدهم إلى اتباع الحق ، والتعامل بالمعروف عن طريق الدين الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر ، ولكنهم لم يسمعوا له ورفضوا أن يتركوا عادتهم السيئة ، بل إنهم كانوا يستهزئون به ، ويقولون له : ﴿ . . يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو نفعل في أموالنا ما نشاء . . . ﴾ (٦)

---

(١) سورة هود : ٨٩

* معان ؛ مدينة تقع في جنوب الأردن

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢ : ٤٩٩

(٣) سورة هود : ٨٥

(٤) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٢ : ٤٩٩

(٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٩ : ٥٧

(٦) سورة هود : ٨٧

أي : أدينك ؛ لأن الصلاة أظهر شعار الدين فجعلوا ذكر الصلاة كناية عن الدين ، والتقدير : أدينك يأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأوثان وينهاك عن أن نفعل في أموالنا ما نشاء من التطفيف، والبخس ؟ [١]

فقد كذبوه ، وأرادوا تحقيره ، ولكن نبي الله شعيب ـ عليه السلام ـ ألقى عليهم الحجة والبرهان ، وذكرهم بما أصاب الأمم التي سبقتهم ، بقوله تعالى حكاية عنه عليه السلام : ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾ أي : لا يجعلنكم عداوتي وبغضي ، وفراق الدين الذي أنا عليه ، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله ، وعبادة الأوثان ، وبخس الناس في المكيال والميزان ، فشبه شعيب عليه السلام خوف إصابة عذاب الله العزيز القهار على قومه ـ إن خالفوه في نصحه وإرشاده ـ بما أصاب أقوام الأنبياء الذين مضوا ؛ وهم قوم نوح من الغرق بالطوفان ، وقوم هود من الإهلاك بالريح العقيم ، وقوم صالح من الابتلاء بالرجفة ، وقوم لوط من الذين انفكت بهم الأرض [٢]، وأما المراد من نفي البعد من قوم لوط ، هو بعد المكان؛ لأن بلاد قوم لوط ـ عليه السلام ـ قريبة من مدين ، أو في الزمان؛ لأن إهلاك قوم لوط ـ عليه السلام ـ أقرب الإهلاكات التي عرفها الناس في زمان شعيب عليه السلام ، وعلى هذين التقديرين يفيد التشبيه زيادة المعرفة، وكمال الوقوف على أحوالهم ، ويفيد الترهيب، والتحذير، الشديدين عن عاقبة أعمالهم ، فكأنه يقول: اعتبروا بأحوالهم، واحذروا من مخالفة الله تعالى ومنازعته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب . . [٣]

ويعد هذا من التشبيه المرسل، والمجمل ، لكون أداة التشبيه فيه مذكورة ، وهي " مثل " ، ولأن وجه الشبه فيه غير مذكور ، وهو كون

---

(١) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٢ : ٢٨٦ ــ ٢٨٧ وينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ١٨ : ٤٤ ـ ٤٥

(٢) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ٧ : ١٠٢ ــ ١٠٣

(٣) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ١٨ : ٤٨ وينظر : البيضاوي، تفسير البيضاوي ، ٥ : ١٢٩ وينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ٢ : ٢٠٢ وينظر : الشوكاني ، فتح القدير ، ٢ : ٧٥٤

أقوام أنبياء الله نوح ،وهود وصالح ولوط معذبين بأنواع العذاب، بسبب عدم إطاعة أنبيائه، فكذلك سيكون مصير قوم شعيب مثل ذلك ، إن لم يطيعوه في اتباع أوامره وترك نواهيه .

د ـ التشبيه بالذي يتبع هواه من أهل مكة

قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً من قَرْيَتِكَ الَّتي أَخْرَجَتْكَ، أَهْلَكْنَاهُم فَلَانَاصِرَلَهُمْ * أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه، كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [١]

بين الله تعالى في الآية الأولى إهلاكه الأمم السابقة من أهل المدن ذوي القوة، والنفوذ، وكانوا أشد قوة من أهل مكة الذين أخرجوا سيدنا محمدا (ﷺ)، فلم يجد هؤلاء من يناصرهم في دفع البلاء، والعذاب عنهم من الله تعالى حين نزوله .

يقول ابن كثير عن هذه الآية الكريمة : " وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد لأهل مكة في تكذيبهم لرسول الله (ﷺ) ، وهو سيد الرسل، وخاتم الأنبياء ، فإذا كان الله ـ عزوجل ـ قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم ، وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والأخرى ؟ فإن رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة ، فإن العذاب يوفر على الكافرين به في معادهم" [٢].

بعد الآية الكريمة أبان الله تعالى سبب التفرقة في جزاء المؤمنين، والكفار بأسلوب النفي، والإنكار ، والاستهجان، والتوبيخ للكفار ، حيث قال : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ يعني به الرسول (ﷺ) الذي أعطاه الله سبحانه حجة وبرهانا من عنده ، وهو القرآن المعجز، وسائر المعجزات [٣]، فهل يجوز

---

(١) سورة محمد : ١٣ ـ ١٤

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ١٨٥

(٣) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٣ : ٥٣٣

أن يكون هذا ﴿ كمن زين له سوء عمله ﴾ هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله تعالى، ورسوله (ﷺ) [١]، وسائر المعاصي، مع كونه في نفسه أقبح القبائح ، وبسبب ذلك التزيين اتبع أهواءهم الزائغة، وانهمكوا في فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه ، فضلا عن وجود برهان يدل عليه [٢]، وفي هذه الآية الكريمة إشارة واضحة إلى الفرق بين الرسول (ﷺ) ، والكفار ، ليعلم أن إهلاك الكفار، ونصرة النبي (ﷺ) في الدنيا محقق ، وأن الحال يناسب تعذيب الكافر، وإثابة المؤمن [٣]، لا يتساوى فيما بينهما ؛ لأنها لا تصح المماثلة بين الفريقين ، فهما يختلفان في الحال والمنهج والاتجاه ، ولا يجوز أن يستويا في الجزاء، ولا المصير ، ولا المآل . .

ويعد هذا من التشبيه السلبي ، وهو تشبيه الأعلى بالأدنى، في النزول لا في العلو [٤]، والتقدير : أفمن هو في صراط مستقيم وعلى بينة من ربه ، كمن زين الشيطان أعماله، واتبع هواه في سوء الحال ؟ أي لا يكون كذلك .

هـ ـ التشبيه بالكفار الفجار

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلا ، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [٥]

ظن الذين كفروا أن خلق السماء، والأرض وما بينهما كان عبثا ، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ينفي هذا العبث ، ويدحض زعم الذين كفروا بإنكاره تعالى

---

(١) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٣ : ٥٣٣ وينظر : النسفي ، تفسير النسفي، ٤ : ١٥١

(٢) ينظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، ٨ : ٩٥

(٣) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٢٨ : ٥٣ ـ ٥٤

(٤) ينظر : السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ١ : ٢٠٧ وينظر: للمؤلف نفسه ، الإتقان في علوم القرآن ، ٣ : ١٣٣

(٥) سورة "ص" : ٢٧ ـ ٢٨

عليهم هذا الظن الخاطئ ، بل يهددهم على هذا الظن الخبيث، والزعم الكاذب ، بأن سيكون مصيرهم يوم معادهم، ونشورهم إلى النار المعدة لهم في جهنم . . [١]

ولهذا بين الله تعالى في الآية الثانية عدم مساواة مصير المفسدين في الأرض، ومصير الذين آمنوا، وعملوا الصالحات ، كما لا يمكن أن يكون مصير المتقين كمصير الفجار ، يقول الزمخشري : " معنى الاستفهام فيها للإنكار ، والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لا ستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد، واتقى وفجر ، ومن سوّى بينهم كان سفيها، ولم يكن حكيما " [٢]؛ لأن الله تعالى عندما خلق الإنسان أعطاه ملكة العقل، والتمييز ، وبسببها كان الإنسان يكلف بهذا الدين الحنيف، وعلى أساس هذا التكليف أعد له الثواب، والعقاب . . فقد رد الله تعالى في الآية الكريمة "على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع ، والعاصي إلى شيء واحد "[٣]، فمن المستحيل أن يجعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أولئك الذين انتفعوا بما أودع الله تعالى فيهم من نفوس خيرة أقبلت على الإيمان، وعلى عمل الخير ، كالذين تاهت نفوسهم عن الحق ، فعاثوا في الأرض فسادا ، كما أنه من المستحيل أن يجعل الله ـ عزوجل ـ المتقين الذين يسيرون على دروب التقوى، والهدى ، كالذين اتخذوا لأنفسهم منهجا من الفجور، والفسوق فلا يطيعون الله، ورسله ، ولا ينشرون العدل، والخير بين الناس ، بل دأبهم اللهث وراء أهوائهم، ومصالحهم ، وتأمين مقاصدهم وغايتهم حتى ولو كان الطريق إلى ذلك القهر، والجحود ، وكل ما يخالف شريعة الله في خلقه ، وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة القول بوجود الحشر ؛ لأن التفاضل بين أهل التقوى، والكفار، إما أن يكون في الدنيا ـ الغالب حالهم فيها عكس ما ذهبت إليه الحكمة ـ وإما أن يكون في الآخرة التي فيها الحساب، والميزان، والعدالة [٤]، يقول الرازي : " فلو لم يكن حشر،

---

(١) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٣ : ٢٧٢ وينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٣٥

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، ٣ : ٢٧٢ وينظر: النسفي ، تفسير النسفي، ٤ : ٤٠

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٥ : ١٢٥

(٤) ينظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ٧ : ٣٠٨

ونشر، ومعاد، فحينئذ يكون حال المطيع أدون من حال العاصي، وذلك لا يليق بحكمة الحكيم الرحيم، وإذا كان ذلك قادحا في الحكمة، ثبت أن إنكار الحشر، والنشر يوجب إنكار حكمة الله "[١] وهذا محال، ولايكون وزن المؤمنين المتقين كوزن الكفار الفجار.

ويعد هذا من التشبيه السلبي؛ لأنه تشبيه الأعلى بالأدنى، في النزول لا في العلو، والتقدير: أنجعل المصلحين كالمفسدين، والمؤمنين المتقين كالكفار الفجار في سوء الحال، أي لا نجعلهم كذلك[٢].

و ـ التشبيه بالكفار اليائسين

قال الله تعالى: ﴿ ياأيّها الّذِينَ آمَنوا لا تَتَولَّوْا قَومًا غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِم، قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ، كَما يَئِسَ الْكُفّارُ مِنْ أصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾[٣]

في هذه الآية الكريمة أمرٌ ربّاني للذين آمنوا بألّايوالوا أي، بألا يكونوا أعوانا لكل قوم غضب الله عليهم؛ بسبب الكفر، أو الشرك، أو النفاق، قيل: عن سبب ذلك هو أن هناك بعض فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين؛ لحاجتهم إليهم في أمور دنياهم، فنهوا عن ذلك[٤]؛ لأنهم لا يؤتمنون على مصالح المسلمين، بل يخونونهم، ويفيدون من ذلك في قتالهم، ومعاداتهم ضد المسلمين، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يريد لعباده المؤمنين أن يبتعدوا عن هؤلاء الأقوام جميعا لئلا يفسدوا عليهم في دينهم، ويقودوهم، أو يدلوهم على طريق الشر والباطل، فيقعون في التهلكة التي تغضب وجه الله تعالى، وأخبر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأن الذين غضب عليهم هم اليهود الذين يئسوا من رحمة الله؛

---

(١) الرازي، تفسير الفخر الرازي، ٢٦ : ٢٠٢

(٢) ينظر: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ١ :٢٠٧ ـ ٢٠٨ وينظر: للمؤلف نفسه، الإتقان في علوم القرآن، ٣ : ١٣٣

(٣) سورة الممتحنة: ١٣

(٤) ينظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي، ٢٩ : ٣١٠

بسبب كفرهم وتكذيبهم رسوله محمدا (ﷺ) على الرغم من علمهم بأنه (ﷺ) نبي الله تعالى ، كما يئس الكفار من اليهود الذين سلفوا قبلهم فهلكوا ، فصاروا من أصحاب القبور ، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى عليه السلام وغيره من الرسل عليهم السلام من ثواب الله، وكرامته إيا هم [١]، أو كما يئس الكفار من أصحاب القبور بعد معرفتهم بمصيرهم إلى جهنم، وبئس المصير؛ لأنهم وقفوا على حقيقة الحال ، وتبينوا قبح حالهم، وسوء منقلبهم ، وشاهدوا حرمانهم من نعيم الجنة المقيم وابتلائهم بعذابها الأليم [٢]، وقيل كما يئس الكفار الأحياء من أقربائهم الذين قد صاروا من أصحاب القبور أن يجتمعوا بهم مرة أخرى ؛ لأنهم لا يعتقدون البعث، ولا النشور ، فقد انقطع رجاؤهم فيما يعتقدون [٣]...

هذا التشبيه يفيد الذم على الذين غضب الله عليهم، وعلى من يتبعهم ، ويدل على مصيرهم إلى عذاب الله بعد أن سدت في وجوههم جميع سبل الأمل، والخلاص ، فلا يجدون إلا اليأس، والاستسلام للمصير المشؤوم الذي أوقعوا به أنفسهم .

ويعد هذا من التشبيه المرسل المجمل ، كون أداة التشبيه فيه مذكورة وهي حرف الكاف ، وكون وجه الشبه فيه غير مذكور، وهو أن المؤمنين إذا والوا من وقع عليهم غضب الله سيقعون في اليأس مما يرجون ويعتقدون في مآلهم ، كما كان مصير الكفار .

* * *

---

(١) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ١٢ : ٧٨

(٢) ينظر : الزمخشري ، الكشاف، ٤ : ٩٦ وينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ٤ : ٢٥١ وينظر : أبو السعود ، ،تفسير أبي السعود ، ٨ : ٢٤١

(٣) ينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٣٧٦

٣ ـ تشبيه الإنسان بالمنافقين

أ ـ التشبيه بأقوال المنافقين

قال الله تعالى : ﴿ يا أيّها الذينَ آمَنوا لا تَكُونوا كَالّذين كَفَرُوا، وَقَالُوا لإخْوانِهِم إذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أو كَانُوا غُزًّى، لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا ومَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللّهُ ذلك حَسْرةً فِي قُلُوبِهِم ، واللّهُ يُحْيِي ويُمِيتُ، واللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [١]

نهى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة المؤمنين عن أن يكونوا كالمنافقين في قولهم لإخوانهم ، إذ كانوا يعيرون الذين يضربون في الأرض ويسافرون للتجارة، أو لطلب المعاش ، أو الذين يجاهدون الكفار ، بقولهم : لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا [٢]، ولعَاشوا في راحة وأمان .

المراد في قوله تعالى : ﴿ كالذين كفروا ﴾ هم عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين [٣]؛ لأن هؤلاء هم الذين قالوا تلك المقولة الخبيثة والباطلة ، لأجل إخوانهم ، قال أبو حيان : " الإخوة هنا إخوة النسب ، إذ كان قتلى أحُد من الأنصار، وأكثرهم من الخزرج ، ولم يُقتل من المهاجرين إلا أربعة ، وقيل : خمسة ، ويكون القائلون منافقي الأنصار جمعهم أب قريب ، أو بعيد . . " [٤]، وكانت غايتهم تثبيط عزائم المؤمنين ، وتنفيرهم عن الخروج لقتال أهل الكفر ، وذلك لأن في طبيعة الإنسان محبة الحياة، وكراهية الموت والقتل ، وكان ذلك من مكايدهم تجاه المجاهدين ، ولكن المؤمنين الصادقين لم يتأثروا بأقوال المنافقين ، أو بتخذيل الدساسين ، بل خاضوا معارك الجهاد، والشرف أبطالا ، ووصلوا بسببه إلى الغنائم

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٦

(٢) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٩ : ٥٦

(٣) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ٣ : ٤٩٠ وينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٤ : ١٥٨ وينظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ٣ : ٧٤ وينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ١ : ١٩٠ وينظر : السيوطي ، تفسير الجلالين : ٧٦

(٤) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٣ : ٩٩

العظيمة، والاستيلاء على الأعداء، والفوز بالأماني ، ولم يلتفتوا إليهم فيضيع سعيهم ويبطل كيدهم ، فكان ذلك حسرة جعلها الله في قلوب الذين نافقوا . . وقيل : إن هذه الحسرة تكون في يوم القيامة في قلوب المنافقين ، إذا رأوا ما فضل الله من فضله المؤمنين المجاهدين بمزيد من الكرامات، وإعلاء الدرجات ، وما خصص الله للمنافقين من العذاب، والعقاب في الدرك الأسفل من النار [١].

بعد هذا التوضيح عن الحسرة التي تأكل قلوب المنافقين ، عقب الله تعالى بقوله : ﴿ والله يحيي ويميت ﴾ من يشاء ومتى شاء " بيده الخلق وإليه يرجع الأمر، ولا يحيا أحد، ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره ، ولا يزاد في عمر أحد، ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره " [٢]، فبيده سبحانه وتعالى إعطاء الحياة ، وبيده استرداد ما أعطى في الموعد المكتوب، والأجل الموعود ، سواء أكان الناس في بيوتهم وبين أهلهم ، أم في ميادين الكفاح لكسب الرزق ، أم في ساحة الحرب تلبية لدعوة الجهاد ، وقد ذكر الزمخشري قصة قائد من قواد المجاهدين المسلمين خالد بن الوليد رضي الله عنه ـ عند حضور أجله ، وهو يقول : " ما فيّ موضع شبر إلا وفيه ضربة، أو طعنة ، وهـأنذا أموت كما يموت العير* ، فلا نامت أعين الجبناء "[٣].

وبعد ذلك بين الله تعالى بأنه بصير بكل تصرفات عباده ، وعندما يدرك الإنسان هذه الحقيقة ، ويشعر في قرارة نفسه أن ربه يراه ، ويبصر ما يفعل ، فلا شك بأن هذا سيكون عاملا رئيسا لترغيبه في الطاعة ، وترهيبه عن المعصية . .

والتشبيه فيه يفيد في تنفير المسلمين من تصرفات المنافقين وبألا يقولوا ما قالوا لسوء عاقبتهم .

---

(١) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٩ : ٥٧ ـ ٥٩

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١ : ٤٥٢

* لعل الصحيح : البعير وليس العير ، كما ورد ذلك في تفسير البحر المحيط ، ٣ : ١٠٠ ، ويبدو أن ذلك ناجم عن التصحيف لتشابه الكلمتين ، أو قد يكون من خطأ الناسخ .

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، ١ : ٤٧٤ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٣ : ١٠٠

ويعد هذا من التشبيه السلبي ؛ لأنه تشبيه الأعلى بالأدنى ، في النزول لا في العلو ، والتقدير : إن المسلمين في أفعالهم ، وأقوالهم لاينبغي أن يكونوا مثل المنافقين في سوء أفعالهم وأقوالهم .

ب ـ التشبيه بالمستهزئ بآيات الله

قال الله تعالى : ﴿ وقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُم في الْكِتَابِ أَنْ إِذا سَمِعْتُم آياتِ اللّهِ يُكفَرُ بِها ويُسْتَهْزَأُ بِهَا، فلا تَقْعُدُوا مَعَهُم حتّى يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غَيْرِه، إِنَّكُم إِذَنْ مِثْلُهُم، إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنافِقينَ والْكافِرِينَ في جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[1]

حذر الله تعالى المؤمنين ونهاهم عن مجالسة الكفار ، والمستهزئين بآيات الله ، في حال خوضهم فيها ، ولكن إذا كان الاجتماع بالكافرين ، والمنافقين من أجل دعوتهم إلى دين الله تعالى ، وبيان ما أنزله على رسوله الكريم (ﷺ) ، فإن القعود معهم لا يورث الإثم ، وكذلك الأمر إذا كان الاجتماع لأجل البيع ، والشراء ، والمصالح الدنيوية ، بشرط ألا يتعرض ذلك إلى تنقيص ، أو استهزاء ما جاء من عند الله تعالى حقا ، فإذا فعلوا ، وسكتوا دون إبداء أي تذمر ، أو احتجاج على الكافرين ، والمستهزئين من المنافقين ، وهم قادرون على الإنكار ، فإنهم يكونون مثلهم ؛ لأنهم بسكوتهم هذا يكونون راضين بالكفر ، والرضا بالكفر كفر ؛ لأن واجبهم الديني يحتم عليهم أن يمنعوا الكفر بآيات الله تعالى ، والاستهزاء بها إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولهذا لم يحكم الله تعالى على المسلمين الذين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين بمكة بأنهم مثل المشركين ؛ لعجز المسلمين إذ ذاك عن الإنكار ، بخلاف ما في المدينة ، فإن الإسلام كان فيها هو الغالب ، والأعلى ، فالمسلمون قادرون على الإنكار ، فقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : أنه أخذ قوما يشربون الخمر ، فقيل له عن أحد الحاضرين : إنه صائم ، فحمل عليه الأدب ،

---

(١) سورة النساء : ١٤٠

وقرأ : ﴿ إنكم إذن مثلهم ﴾[١] ، ولأن أولى مراتب النفاق أن يجلس المؤمن مجلسا يسمع فيه آيات الله تعالى يكفر بها، أو يستهزأ بها ، ثم يسكت، ويتغاضى عنه مع القدرة عليه .

يقول الطبري : " وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة، والفسقة عند خوضهم في باطلهم " [٢].

تلك هي الصورة التي يرسمها القرآن الكريم عن حقيقة المنافقين، بما هم عليه من صفات ذميمة وقبيحة ؛ لأنهم يلقون المسلمين بوجه ولسان ، ويلقون الكافرين بوجه ولسان ، فكأنهم يمسكون العصا من وسطها ، ويتلوون في مسيرتهم كما تتلوى الديدان، والأفاعي [٣] ، تقودهم نوازعهم الشيطانية ، بلا وازع من دين ، أو رادع من ضمير ، لذلك فقد جمعهم الله تعالى مع الكفار؛ لاجتماعهم في الكفر، والاستهزاء ، كذلك يشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبدا [٤].

هذا التشبيه يفيد تحذير المسلمين من مجالسة الكفار، والمنافقين في حال استهزائهم بآيات الله تعالى .

ويعد هذا من التشبيه التمثيلي ؛ لأن وجه الشبه فيه منتزع بضرب من التأول ، وهو كون المسلمين إذا جلسوا مع الكفار، والمنافقين المستهزئين بما جاء من عند الله حقا ، ولم يمنعوهم في حين أنهم قادرون على ذلك ، سيكون مصيرهم مثل مصير الكفار، والمنافقين في سوء عاقبتهم يوم الجزاء .

* * *

(١) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ١ : ٥٧٢ ــ ٥٧٣ وينظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٥ : ٢٦٨ وينظر : البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ٣ : ١٩٠ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٣ : ٣٩٠

(٢) الطبري ، تفسير الطبري ، ٤ : ٣٢٨

(٣) ينظر : سيدقطب ، في ظلال القرآن ، ٢ : ٧٨١

(٤) ينظر : النسفي ، تفسير النسفي ، ١ : ٢٥٧ وينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ١ : ٦٢٥

٤ ـ تشبيه الإنسان بأنماط أخرى

أ ـ التشبيه بباسط كفيه إلى الماء

قال الله تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ، إلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إلا فِي ضَلَالٍ ﴾ (١)

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة حقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك ، حيث قال : لا يكون دعاء الصدق والإخلاص إلا لله تعالى ، لا لغيره من الأصنام والأوثان، والمعبودات الباطلة ، فقد رد الله تعالى بها على الكفار الذين يجادلون في الله؛ لأجل أصنامهم ، وفي قوله تعالى : ﴿ دعوة الحق ﴾ إضافة الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل ؛ لتدل على أن الدعوة ملاصقة للحق، ومختصة به وأنها بمعزل عن الباطل ، أي أن الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ، ويعطي الداعي سؤاله إن كان فيه مصلحة له ، فتكون دعوته ملاصقة للحق لكونه صاحب الحق ، وبأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع ، خلافا للأصنام، والأوثان التي لا يجدي، ولا ينفع دعاؤها (٢).

ثم بين الله تعالى أن الذين يدعون من دون الله ؛ الأصنام والأوثان والأرباب والمعبودات الباطلة هم المشركون ، فهذه المعبودات لا تستجيب لدعائهم شيئا ، ولا تسمع لهم نداء ، ولا تحقق لهم نفعا، ولا تدفع عنهم ضرا ، وما استجابتها إلا كاستجابة الماء للعطشان الذي ينظر إلى خياله فيه ، ظنا منه أن الماء سيصل إلى فمه بدعائه إياه دون أن يتوسل إلى ذلك بإناء ، والماء لن يصل إلى فمه أبَدا ؛ لأنه جماد لا يشعر بعطشه ، ولا يرى بسط كفيه إليه ، ولا يسمع دعوته له ، فهو يريد أن يتناوله، ولكنه لا يقدر عليه ، فكذلك حال هذه المعبودات فإنها لا تحس

---

(١) سورة الرعد : ١٤

(٢) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٢ : ٣٥٤ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٥ : ٣٦٨

بعبادتهم ولا تستطيع أن تجيب دعوتهم ، وقيل : شبهوا في عدم جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه ، فبسطهما ناشرا أصابعه ، فلم يَبق شيء منه في كفّيه ، ولم يبلغ ما أراده من شربه [١].

يقول سيد قطب عن جمال هذا التشبيه : " وهي صورة تلح على الحس، والوجدان ، وتجتذب إليها الالتفات ، فلا يستطيع أن يتحول عنها إلا بجهد ومشقة ؛ وهي من أعجب الصور التي تستطيع أن ترسمها الألفاظ : شخص حي شاخص ، باسط كفيه إلى الماء ، والماء منه قريب ، يريد أن يبلغه فاه ، ولكنه لا يستطيع . . "[٢].

هذا التشبيه يفيد التحذير، والتذكير للناس، حيث لا يوجه الدعاء إلا إلى الله سبحانه وتعالى الذي يملك النفع والضر [٣].

ويعد هذا من التشبيه التمثيلي ؛ لأن وجه الشبه فيه ينتزع بضرب من التأول ، وهو تشبيه حال الكفار في دعائهم إلى معبوداتهم ، بحال من أراد أن يغرف الماء ليشربه بكفيه المبسوطتين ، أو تشبيه عدم استجابة معبودات غير الله لمن يدعونها بعدم استجابة الماء لباسط كفيه دعاءه إياه ، حيث إنهما يسعيان في طلب الشيء مع شدة حاجتهما إليه ، ولكنهما في النهاية يبوءان بإخفاق القصد، وتهافت الغاية .

ب ـ التشبيه بأكل لحم أخيه ميتا

قال الله تعالى : ﴿ يأيّها الّذينَ آمَنوا اجْتَنِبوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ، إنّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ، ولا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضا، أيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أنْ يَأكُلَ لَحْمَ أخِيهِ

---

(١) ينظر : ابن عباس ، تفسير ابن عباس : ٢٩٨ وينظر : الطبري ، تفسير الطبري، ٧ : ٣٦٤ وينظر : العسكري ، كتاب جمهرة الأمثال ، ٢ : ١٤٨ . وينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٢ : ٣٥٤ وينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ١٩ : ٣٥ وينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٥ : ٣٦٨

(٢) سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن : ٤١

(٣) ينظر : الرماني ، النكت في إعجاز القرآن : ٨٣

مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

بين الله تعالى في هذه الآية الكريمة ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن مع أخيه المؤمن، ومع الناس كافة من امتناع عن إساءة الظن ، وتتبع عورات الناس ومعايبهم ، والغيبة والنميمة .

ذكر القرطبي عن سبب نزول الآية الكريمة بقوله : " إنها نزلت في رجلين من أصحاب النبي (ﷺ) اغتابا رفيقهما ، وذلك أن النبي (ﷺ) كان إذا سافر ضم الرجل المحتاج إلى الرجلين الموسرين فيخدمهما ، فضم سلمان إلى رجلين ، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيء لهما شيئا ، فجاءا فلم يجدا طعاما وإداما ، فقالا له : انطلق فاطلب لنا من النبي (ﷺ) طعاما وإداما ، فذهب فقال له النبي (ﷺ) : (اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له : إن كان عندك فضل من طعام فليعطك) ـ وكان أسامة خازن النبي (ﷺ) ـ فذهب إليه ، فقال أسامة : ما عندي شيء ، فرجع إليهما فأخبرهما ، فقالا : قد كان عنده، ولكنه بخل ، . . . . ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء ؟، فرآهما النبي (ﷺ) فقال : (مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما) فقال : يا نبي الله ، والله ما أكلنا في يومنا هذا لحما ولا غيره ، فقال : (ولكنكما ظلتما * تأكلان لحم سلمان وأسامة) فنزلت : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، إن بعض الظن إثم ﴾ " (٢).

أمر الله تعالى المؤمنين في الآية الكريمة أن يبتعدوا عن كثير من الظن ، وهو أن يظن بأهل الخير سوءا ، وهذا هو الظن القبيح ، وهو متعلق بمن ظاهره الصلاح، والخير، والأمانة ؛ لأن بعض ذلك يكون إثما محضا ، فليُتجنّب كثيرا منه احتياطا لئلا يجترئ أحد على الظن إلا بعد نظر، وتأمل ، وتمييز بين حقه، وباطله ، خلافا لأهل السوء، والفسوق المجاهرين بالفجور ، كمن يسكر علانية، أو يصاحب

---

(١) سورة الحجرات : ١٢

* أصله : ظللتما بلامين ، حذفت " اللام" لتوالي الأمثال .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٦ : ٢١٦ ـ ٢١٧ وينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٢٢٧

الفاجرات ، فيجوز ظن السوء به؛ لتجنبه ، والتحذير من أفعاله [١].

أما الظن بأهل الخير خيرا فجائز ؛ لأن الله قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير ، في قوله تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين ﴾ [٢] فقد أذن الله تعالى للمؤمنين أن يظن ببعض خيرا في الخير ، وإن لم يكونوا على يقين في ظنهم [٣].

ونهى الله ـ عزوجل ـ المؤمنين عن التجسس ، أي البحث عن عورات المسلمين، ومعايبهم، والاستكشاف عما ستروه ليستطلعوا أسرارهم ، والبحث عن أخبار القوم، والاستماع إلى أخبارهم وهم له كارهون [٤]، عن ابن عمر قال : صعد رسول الله (ﷺ) المنبر فنادى بصوت رفيع قال : (يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه، ولو في جوف رحله) [٥].

ثم حرم الله تعالى على المؤمنين العادة الاجتماعية القبيحة ، وهي الغيبة ، في قوله عزوجل : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ وقد بين النبي (ﷺ) معنى الغيبة ، عند ما سئل عنها ، عن أبي هريرة أنه قيل : (يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال (ﷺ) ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال (ﷺ) : فإن كان فيه ما تقول فقد اغتبْته، و إن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهتّه) [٦]، فقد نهى الله تعالى أن يذكر بعضكم بعضا في غيبته بما يكره ، لما فيه من الأذى بالمغتاب ، سواء في دينه أو دنياه ، في خُلقه أو خَلقه ، في ماله، أو ولده، أو زوجته، أو خادمه . . .

---

(١) ينظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٣ : ٥٦٧ وينظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤ : ٢٢٤

(٢) سورة النور : ١٢

(٣) ينظر : الطبري ، تفسير الطبري ، ١١ : ٣٩٣ ـ ٣٩٤

(٤) ينظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨ : ١١٣

(٥) الترمذي ، سنن الترمذي ، ٤ : ٣٣١ ـ ٣٣٢

(٦) أبو داود ، سنن أبي داود ، ٤ : ٢٩٠

فقد شبه الله ـ عزوجل ـ غيبة عرض الأخ بتمزيق لحمه ؛ لأن المغتاب في عرض أخيه بغيابه كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غياب روحه عنه بالموت ، ولعجز المغتاب عن دفع نفسه؛ بسبب غيابه وقت الغيبة ،كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه، وهو لا يستطيع أن يدفع عن نفسه؛ لعدم وجود الروح فيه ، ولكون مقتضى الأخوة التراحم والتناصر من الذم والعيب والطعن، كان ذلك بمنزلة التناصر في حفظ تقطيع لحم أخيه ؛ لأن الأخوة تقتضي حفظه وصيانته والدفاع عنه ، ولما كان المغتاب متنعما ومعجبا بغيبته وذمه، شبهه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتا ، وإسناد اللحم إلى الأخ هنا " دليل على أن الاغتياب الممنوع اغتياب المؤمن لاذكر الكافر ، وذلك لأنه شبهه بأكل لحم الأخ ، وقال من قبلُ ﴿ إنما المؤمنون إخوة﴾ [١] فلا أخوة إلا بين المؤمنين" [٢].

ثم بين الله تعالى كراهة أكل لحم الأخ ميتا بقوله تعالى : ﴿ فكرهتموه ﴾ أي : فكما هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبون ماهو شبيهه ، فاحتج عليهم بما كرهوا على ماأحبوه ، وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم [٣].

أما الحكمة من هذا التشبيه فهي الإشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه، ولحمه ، فإذا لم يحسن من الإنسان العاقل أكل لحوم الناس، بل يكرهه لا سيما بعد أن صار ميتا ، فإن ذلك لم يحسن منه ذم عرضهم في غيابهم بالطريق الأولى ؛ لأن ذلك آلم، وأشد كراهة [٤]، حيث إن طبع الإنسان هو الذي يدعو إلى كراهة أكل لحم أخيه ميتا ، في حين أن عقل الإنسان هو الذي يدعو إلى كراهة الغيبة [٥].

ويعد هذا من التشبيه الضمني ، أي: الذي لا يصرح به ، ويجعل في صورة برهان على الحكم الذي أسند إليه المشبه ؛ لأنه جاء في هذا المقام للنهي

---

(١) سورة الحجرات : ١٠

(٢) الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٢٨ : ١٣٥

(٣) ينظر : ابن قيم الجوزية ، الأمثال في القرآن الكريم : ٢٢٧ ــ ٢٢٨ وينظر : للمؤلف نفسه ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ١ : ١٧٠

(٤) ينظر : الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، ٢٨ : ١٣٥

(٥) ينظر : السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ٣ : ٤١٩

عن غيبة أخيه المسلم ، والدليل على ذلك هو أن أكل لحم الأخ شيء مكروه بطبع الإنسان، فإذا كان المشبه به مما لا يناقش في كراهيته عند الناس ، فعليهم أن يسلموا بكراهية المشبه [١].

* * *

(١) ينظر : محمد علي أبو حمدة ، من أساليب البيان في القرآن الكريم : ١٢٤

الخـاتمـة

بعد أن قام الباحث بإحصاء دقيق لما وردت من تشبيهات صورة الإنسان في القرآن الكريم، وجد أن مادة المشبهات بها فيه ليست مقصورة على الإنسان فقط ، وإنما تتخذ ـ أيضا ـ من الطبيعة وظواهرها ، وكذلك من الحيوانات بأنواعها المختلفة ، ووجد أن تشبيه الإنسان بالإنسان يحتل المركز الأول من مساحة التشبيه في صورة الإنسان بالقرآن الكريم عامة ، ويليه تشبيه الإنسان بالطبيعة ، ثم يأتي تشبيه الإنسان بالحيوان في المرتبة الأخيرة.

ووجد أن الغرض الديني هو السمة الظاهرة في جميع تشبيهات صورة الإنسان ـ ترغيبا وترهيبا ـ وليس بينها ما يخلو من هذه السمة .

ووجد أن الفائدة في تشبيه صورة الإنسان ـ في الأغلب ـ تعود على المشبه ، لأن المشبه به أقوى صلة بالصفة المشتركة بين الطرفين .

والتشبيه فيها ليس عنصرا إضافيا في الجملة ، ولكنه جزء أساسي فيها ، حيث لا يتم المعنى إلا به .

كما وجد دقة التشبيه فيها، فهو وصف إلهي وصف به الله الإنسان وصفا دقيقا مقيدا بصفات رديفة لتحدد المشبه به في أروع صورة.

وأما من حيث المستوى التركيبي فإن القرآن قد استخدم أقسام التشبيه الأربعة المعروفة من حيث الطرفان ، ففيه تشبيه المحسوس بالمحسوس ، وتشبيه المحسوس بالمعقول ، وتشبيه المعقول بالمحسوس ، وتشبيه المعقول بالمعقول .

ومن حيث أداة التشبيه ، فإن الأغلب فيها "مجمل" أي : جاء التشبيه بذكرها .

وأما وجه الشبه فيأتي فيه مفردا ، ومركبا ، وعقليا ، وحسيا ، ومن الملحوظ أنه ـ في الأغلب ـ يأتي "مجملا" أي محذوف الوجه الذي يقتضي التماثل التام بين الطرفين ، وفي هذا نوع من تأكيد الصلة بين طرفي التشبيه ، وكذلك يغلب فيه مجيء التشبيه التمثيلي ، الذي يتضمن معنى احترام عقل الإنسان، لأن فهم مشاركة طرفي التشبيه فيه لا يتأتى إلا باستخدام عقله .

وهذه هي النتائج المهمة الرئيسة ، وهناك نتائج أخرى يجدها القارىء منثورة بين دفتي الرسالة ، وحسبي أنني قد بذلت كل جهدي للوصول إلى الغاية المرجوة ، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

« فهرس الآيات عن صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية »

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
	سورة البقرة :		
١)	﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس، قالوا أنؤمن كما آمن السّفَهاء، ألا إنهم هم السفهاء، ولكن لا يعلمون * وإذا لقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم، إنما نحن مستهزئون ﴾	١٣ - ١٤	م
٢)	﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله، ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون * صم بكم عمي فهم لا يرجعون * أو كصيب من السماء، فيه ظلمات ورعد وبرق، يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت، والله محيط بالكافرين ﴾	١٦ - ١٩	م
٣)	﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة، أوأشد قسوة، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يهبط من خشية الله، وما الله بغافل عما تعملون ﴾	٧٤	م
٤)	﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل، ومن يتبدل الكفرَ بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾	١٠٨	م
٥)	﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق، وهم يعلمون ﴾	١٤٦	م
٦)	﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا، يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبا لله، ولويرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا، وأن الله شديد العذاب ﴾	١٦٥	م

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
٧	﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار ﴾	١٦٧	م
٨	﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾	١٧١	م
٩	﴿ أُحِل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ، فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾	١٨٧	م
١٠	﴿ نساؤكم حرث لكم ، فأتوا حرثكم أنّى شئتم ، وقدّموا لأنفسكم ، واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ، وبشّر المؤمنين ﴾	٢٢٣	م
١١	﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم ﴾	٢٦١	م
١٢	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾	٢٦٤	م
١٣	﴿ ومَثَل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم ، كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطَلّ ، والله بما تعملون بصير ﴾	٢٦٥	م

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
١٤)	﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا، وأحل الله البيع وحرّم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله، ومن عاد فأولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون ﴾.....	٢٧٥	م
	سورة آل عمران :		
١٥)	﴿ إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا، وأولئك هم وقود النار * كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ، كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم، والله شديد العقاب ﴾.....	١٠ـ ١١	م
١٦)	﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾	٥٩	م
١٧)	﴿ ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واخْتلفوا من بعد ما جاء هم البينات، وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾.....	١٠٥	م
١٨)	﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا، وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزّى،لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ،والله يحيي ويميت، والله بما تعملون بصير ﴾.....	١٥٦	م
١٩)	﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخَط من الله ومأواه جهنم، وبئس المصير ﴾.....	١٦٢	م
٢٠)	﴿ فإن كذبوك فقد كُذّب رسل من قبلك، جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾.....	١٨٤	م
	سورة النســـاء :		
٢١)	﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله، أو أشد خشية ، وقالوا ربنا لمَ كتبت علينا القتال، لولا أخرّتنا إلى أجل قريب ، قل متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى، ولا تظلمون فتيلا ﴾.....	٧٧	م

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
٢٢)	﴿ ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ، فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ﴾.....	٨٩	م
٢٣)	﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم، إنْ تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون ، وكان الله عليما حكيما ﴾.....	١٠٤	م
٢٤)	﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما ﴾.....	١٢٩	م
٢٥)	﴿ وقد نَزَّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم أيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذن مثلهم، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾.....	١٤٠	م
٢٦)	﴿ يسألك أهل الكتاب أن تُنزّل عليهم كتابا من السماء ، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا أرنا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات، فعفونا عن ذلك ، وآتينا موسى سلطانا مبينا ﴾.....	١٥٣	م
	سورة المائدة :		
٢٧)	﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه، فقتله فأصبح من الخاسرين * فبعث الله غرابا يبحث في الأرض، ليريه كيف يواري سوأة أخيه، قال يا ويلتا، أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب، فأواري سوأة أخي، فأصبح من النادمين ﴾.....	٣٠ - ٣١	م
	سورة الأنعام :		
٢٨)	﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾.....	٢٠	م

رقم التسلسل	رقم الآية	نزولها
٢٩) ﴿ قد نعلم إنّه لَيحزنُك الذي يقولون، فإنهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذبوا، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا، ولامبدّلَ لكلمات الله، ولقد جاءك من نبإ المرسلين ﴾.....	٣٣ - ٣٤	ك
٣٠) ﴿ والذين كَذّبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات ، من يشأ اللهُ يضللْه، ومن يشأ يجعلْه على صراط مستقيم ﴾.....	٣٩	ك
٣١) ﴿ قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا، ونُردّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، كالذي استهوته الشياطين في الأرض، حَيْران له أصحابٌ يدعونه إلى الهدى ائتنا ، قل إنّ هدى الله هو الهدى، وأُمِرنا لنُسلم لرب العالمين ﴾.....	٧١	ك
٣٢) ﴿ ولقد جئتمونا فُرادا كما خلقناكم أول مرة، وتركتم ما خَوّلناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء، لقد تقطّع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعُمون ﴾.....	٩٤	ك
٣٣) ﴿ ونقلّب أفئدتَهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، ونذَرُهم في طغيانهم يعمهون ﴾.....	١١٠	ك
٣٤) ﴿ أو من كان ميْتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس، كمن مَثَلُه في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زُين للكافرين ماكانوا يعملون ﴾.....	١٢٢	ك
٣٥) ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ، كأنما يصعد في السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾.....	١٢٥	ك
٣٦) ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا أباؤنا ولا حرّمنا من شيء ، كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسَنا، قُل هل عندكم من علم فتُخرجوه لنا، إنْ تتبعون إلا الظن، وإنْ أنتم إلا تخرُصون ﴾.....	١٤٨	ك

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
	سورة الأعراف :		
٣٧)	﴿ قل أمَر ربي بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد، وادْعوه مخلصين له الدين، كما بَدَأكم تعودون ﴾	٢٩	ك
٣٨)	﴿ وجاوزْنا ببني إسرائيل البحر، فأتَوْا على قوم يعكُفون على أصنام لهم، قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنّكم قوم تجهلون ﴾	١٣٨	ك
٣٩)	﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا، فانسلخ منهافأتبعه الشّيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾	١٧٥-١٧٦	ك
٤٠)	﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون ﴾	١٧٩	ك
	سورة الأنفال :		
٤١)	﴿ يجادلونك في الحق بعد ما تبيّن كأنما يُساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾	٦	م
٤٢)	﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا، وهم لا يسمعون ﴾	٢١	م
٤٣)	﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بَطرا ورئاء الناس ويصدّون عن سبيل الله، والله بما يعملون محيط ﴾	٤٧	م
٤٤)	﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الْمَلائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم، وذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدمت أيديكم، وأنّ الله ليس بظلام للعبيد * كدأب آل فرعون والذين من قبلهم، كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم، إن الله قوي شديد العقاب ﴾	٥٠ - ٥٢	م

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
	سورة التوبة :		
٤٥)	﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانُكم في الدين، ونُفصّل الآيات لقوم يعلمون ﴾	١١	م
٤٦)	﴿ إنّ عدة الشهور عند الله اثْنا عشَر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرضَ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيمُ ، فلا تظلموا فيهن أنفسَكم، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أنّ الله مع المتقين ﴾	٣٦	م
٤٧)	﴿ وعَد الله المنافقين والمنافقات والكفار نارَ جهنم خالدين فيها ، هي حسبُهم، ولَعنَهم الله ، ولهم عذاب مقيم * كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا، فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتَعْتم بخلاقِكم، كما استمْتع الذين من قبلكم بخلاقهم، وخُضْتم كالذي خاضوا، أولئك حَبِطت أعمالُهم في الدنيا والآخرة، وأولئك هم الخاسرون * ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم، قوم نوح وعاد وثمودَ، وقوم إبراهيمَ وأصحابِ مدينَ والمؤتفكات، أتتْهم رسلُهم بالبينات، فماكان الله ليظلمَهم، ولكنْ كانوا أنفسَهم يظلمون ﴾	٦٨ ـ ٧٠	م
٤٨)	﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبْتم إليهم لتُعرِضوا عنهم ، فأعرِضوا عنهم، إنّهم رجس ، ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسِبون ﴾	٩٥	م
	سورة هود :		
٤٩)	﴿ مثَل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع، هل يستويان مثَلا ، أفلا تذكّرون ﴾	٢٤	ك
٥٠)	﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بَشرا مثلَنا، وما نراك اتّبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي، وما نرى لكم علينا من فضل، بل نظنّكم كاذبين ﴾	٢٧	ك

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
٥١)	﴿ وياقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثلُ ما أصاب قومَ نوح، أو قوم هود، أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾	٨٩	ك
٥٢)	﴿ ولما جاء أمرنا، نجّينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا، وأخذتْ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين * كأنْ لم يغنَوا فيها ، ألا بُعْدا لمدينَ كما بَعِدت ثمود ﴾	٩٤ ـ ٩٥	ك
٥٣)	﴿ فلا تك في مرية مما يَعْبد هؤلاء ، ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبلُ ، وإنا لموفوهم نصيبَهم غير منقوص ﴾	١٠٩	ك
٥٤)	﴿ فاستقم كما أمرتَ ومن تاب معك، ولا تطغَوا، إنه بما تعملون بصير ﴾	١١٢	ك
	سورة يوسف :		
٥٥)	﴿ قال هل آمنُكم عليه إلا كما آمِنتُكم على أخيه من قبلُ ، فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ﴾	٦٤	ك
	سورة الرعد :		
٥٦)	﴿ له دعوة الحق، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء، إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾	١٤	م
٥٧)	﴿ أفمن يعلم أنما أُنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى، إنما يتذكّر أُولوا الالباب ﴾	١٩	م
	سورة إبراهيم :		
٥٨)	﴿ قالت رسلُهم أفي الله شكّ ، فاطرِ السماوات والأرض، يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخّركم إلى أجل مسمى، قالوا إنْ أنتم إلا بشر مثلنا، تُريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا، فأتونا بسلطان مبين ﴾	١٠	ك

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
٥٩)	﴿ قالت لهم رسلهم إنْ نحن إلا بشر مثلكم، ولكنّ الله يمنّ على من يشاءُ من عباده، وما كان لنا أنْ نأتيَكم بسلطان إلا بإذن الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾.....	١١	ك
٦٠)	﴿ مثَل الذين كفروا بربهم، أعمالُهم كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف، لايقدرون مما كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد ﴾....	١٨	ك
	سورة النحل :		
٦١)	﴿ وقال الذين أشركوا، لو شاءَ الله ما عبدْنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا، ولا حرّمنا من دونه من شيء، كذلك فعَل الذين من قبلهم، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾.....	٣٥	ك
٦٢)	﴿ ولا تكونوا كالتي نقضتْ غَزْلها من بعد قوة أنكاثا، تتخذون أيمانَكم دَخَلا بينكم أن تكون أمةٌ هي أربى من أمة ، إنما يبلُوكم الله به، ولَيُبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾.....	٩٢	ك
	سورة الكهف :		
٦٣)	﴿ وتحْسبهم أيقاظا وهم رقود ، ونقلّبهم ذاتَ اليمين وذات الشمال، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، لو اطّلعت عليهم لَولّيت منهم فرارا ولَمُلئْت منهم رُعبا ﴾.....	١٨	ك
٦٤)	﴿ واضرب لهم مثَلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب، وحَفَفْناهما بنخل، وجعلنا بينهما زرْعا ﴾.....	٣٢	ك
٦٥)	﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي، أنّما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجُو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا، ولا يُشركْ بعبادة ربه أحدا ﴾.....	١١٠	ك
	سورة الأنبياء :		
٦٦)	﴿ لا هيةً قلوبُهم، وأسَرّوا النجوى الذين ظلموا ، هل هذا إلا بشر مثلكم، أفتأتُون السحر وأنتم تبصرون ﴾.....	٣	ك

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
٦٧)	﴿ بل قالوا أضغاثُ أحلام، بل افتراه، بل هو شاعر، فليأتنا بآية كما أرسل الأوّلون ﴾	٥	ك
	سورة الحج :		
٦٨)	﴿ حنفاء لله غير مشركين به ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير، أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾	٣١	م
٦٩)	﴿ وإن يكذّبوك، فقد كَذبتْ قبلهم قومُ نوحٍ، وعادٌ، وثمودُ * وقومُ إبراهيم، وقوم لوط * وأصحاب مدين ، وكُذّب موسى فأمليْت للكافرين، ثم أخذتُهم، فكيف كان نكير ﴾	٤٢ ـ ٤٤	م
	سورة "المؤمنون" :		
٧٠)	﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه، ما هذا إلا بَشر مثلكم، يريد أنْ يتفضلَ عليكم، ولو شاء الله لأنزَل ملائكةً ، ماسمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين ﴾	٢٤	ك
٧١)	﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا، ما هذا إلا بشرٌ مثلكم، يأكلُ مما تأكلون منه، ويشرب مما تشربون ﴾	٣٣	ك
٧٢)	﴿ ولئن أطعْتم بشرا مثلَكم، إنّكم إذن خاسرون ﴾	٣٤	ك
٧٣)	﴿ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وملإه فاستكبروا وكانوا قوما عالين * فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا، وقومهما لنا عابدون ﴾	٤٥ ـ ٤٧	ك
	سورة النور :		
٧٤)	﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده فوفّاه حسابه ، والله سريع الحساب * أو كظلمات في بحر لجي، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ﴾	٣٩ ـ ٤٠	م

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
	سورة الفرقان :		
٧٥)	﴿ وقدمْنا إلى ما عملوا من عمل، فجعلناه هباء منثورا ﴾	٢٣	ك
٧٦)	﴿ وقال الرسول، يا ربِّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا * وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوًا من المجرمين ، وكفى بربّك هاديا ونصيرا ﴾	٣٠ ـ ٣١	ك
٧٧)	﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه، أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون، إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلا ﴾	٤٣ ـ ٤٤	ك
	سورة الشعراء :		
٧٨)	﴿ ما أنت إلا بشرٌ مثلنا، فأت بآية إن كنتَ من الصادقين ﴾	١٥٤	ك
٧٩)	﴿ وما أنت إلا بشر مثلنا، وإنْ نظنك لَمن الكاذبين ﴾	١٨٦	ك
	سورة القصص :		
٨٠)	﴿ فلما أنْ أراد أن يَبطش بالذي هو عدوٌ لهما، قال يا موسى أتريد أن تقتلَني كما قتلتَ نفسا بالامس، إنْ تريد إلا أن تكون جبّارا في الأرض، وما تريد أنْ تكون من المصلحين ﴾	١٩	ك
٨١)	﴿ أفمن وعدناه وعْدا حسنا فهو لاقيه، كمن متّعْناه متاع الحياة الدنيا ، ثم هو يومَ القيامة من المُحْضرين ﴾	٦١	ك
٨٢)	﴿ قال إنما أُوتيتُه على علم عندي ، أَوَلم يعلمْ أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدّ منه قوةً وأكثر جمعا، ولا يُسأل عن ذنوبهم المُجرمون ﴾	٧٨	ك

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
	سورة العنكبوت :		
٨٣)	﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء، كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت، لو كانوا يعلمون ﴾	٤١	ك
	سورة لقمان :		
٨٤)	﴿ واقصد في مشيك، واغضض من صوتك، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾	١٩	ك
	سورة السجدة :		
٨٥)	﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا، لا يَستوون ﴾	١٨	م
	سورة الأحزاب :		
٨٦)	﴿ النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجُه أمهاتهم، وأولوا الأرحام بعضُهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين، إلا أنْ تفعلوا إلى أوليائكم معروفا، كان ذلك في الكتاب مسطورا ﴾	٦	م
٨٧)	﴿ أشحّةً عليكم ، فإذا جاء الخوف، رأيتَهم ينظرون إليك تدور أعينُهم كالذي يُغشى عليه من الموت ، فإذا ذهب الخوف سَلقوكم بألسنة حداد، أشحةً على الخير، أولئك لم يؤمنوا فأحبَط الله أعمالَهم، وكان ذلك على الله يسيرا ﴾	١٩	م
٨٨)	﴿ يا نساءَ النبي، لستنّ كأحد من النساء إن اتقيتنّ، فلا تخضعْن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ، وقلْنَ قوْلا معروفا ﴾	٣٢	م
٨٩)	﴿ وقرْنَ في بيوتكنّ ، ولا تبرّجْن تبرجَ الجاهلية الأولى ، وأقمنَ الصلاة وآتين الزكاة وأطعن اللهَ ورسوله ، إنما يريد الله ليُذهب عنكم الرجْس أهلَ البيت ويطهّرَكم تطهيرا ﴾	٣٣	م

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
٩٠	﴿ يأيها الذين آمنوا، لا تكونوا كالذين آذوا موسى، فبرّأه اللهُ مما قالوا، وكان عند الله وجيها ﴾	٦٩	م
	سورة فاطر :		
٩١	﴿ وإنْ يكذّبوك فقد كُذّبت رسل من قبلك، وإلى الله تُرجع الأمور ﴾	٤	ك
	سورة يس :		
٩٢	﴿ قالوا ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا، وما أنزل الرحمن من شيء، إنْ أنتم إلا تكذبون ﴾	١٥	ك
	سورة الصافات :		
٩٣	﴿ وعندهم قاصراتُ الطرف عِيْن * كأنّهن بَيْض مكْنون ﴾	٤٨ ـ ٤٩	ك
	سورة "ص" :		
٩٤	﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا، ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار ﴾	٢٧ ـ ٢٨	ك
	سورة الزمر		
٩٥	﴿ أمّنْ هو قانت آناء الليل، ساجدا وقائما، يحذَر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قُل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكّر أولوا الالباب ﴾	٩	ك
٩٦	﴿ ضرب الله مثلا رجُلا فيه شرَكاء متشاكسون، ورجلا سلَما لرجل، هل يستويان مثلا، الحمد لله، بلْ أكثرُهم لا يعلمون ﴾	٢٩	ك

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
	سورة غافر :		
٩٧)	﴿ وقال الذي آمنَ ، يا قوم إنّي أخاف عليكم مثلَ يوم الأحزاب * مثْل دأب قوم نوح، وعاد، وثمودَ والذين من بعدهم، وما الله يريد ظُلما للعباد ﴾	٣٠ ـ ٣١	ك
	سورة فصلت :		
٩٨)	﴿ قل إنما أنا بشر مثلُكم يُوحَى إليّ ، أنّما إلهُكم إله واحد، فاستقيموا إليه واستغفروه، وَوَيلٌ للمشركين ﴾	٦	ك
	سورة الشورى :		
٩٩)	﴿ فلذلك فادْعُ واستقم كما أمرتَ ، ولا تتّبعْ أهواءهم ، وقُل آمنتُ بما أنزل الله من كتاب ، وأُمرتُ لأعدلَ بينكم ، الله ربّنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالُكم ، لا حجةَ بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾	١٥	ك
	سورة الزخرف :		
١٠٠)	﴿ فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾	٥٦	ك
١٠١)	﴿ إنْ هو إلا عبد أنعمنا عليه ، وجعلْناه مثلا لبني إسرائيل ﴾	٥٩	ك
	سورة الجاثية :		
١٠٢)	﴿ أم حسب الذين اجْترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا ، وعملوا الصالحات، سواءً محْياهم ومماتُهم، ساء ما يَحكمون ﴾	٢١	ك

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
	سورة الأحقاف :		
١٠٣	﴿ فاصبر كما صبَر أولو العزم من الرسل، ولا تستعجل لهم، كأنهم يوم يرون ما يوعَدون لم يَلبَثوا إلا ساعةً من نهار، بلاغٌ ، فهل يُهلك إلا القومُ الفاسقون ﴾.....	٣٥	م
	سورة محمد :		
١٠٤	﴿ أفلم يسيروا في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم، دمّر الله عليهم، وللكافرين أمثالُها ﴾.....	١٠	م
١٠٥	﴿ إن الله يُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار، والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾.....	١٢	م
١٠٦	﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك، أهلكناهم فلاناصرلهم ۞ أفمن كان على بينة من ربه، كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾.....	١٣ـ١٤	م
١٠٧	﴿ مثَل الجنة التي وُعد المتقون ، فيها أنهارمن ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغيرْ طعمُه، وأنهار من خمر لذة للشّاربين، وأنهار من عسل مصفّى، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربّهم ، كمن هو خالد في النار وسُقوا ماء حميما، فقطّع أمعاءَهم ﴾.....	١٥	م
١٠٨	﴿ ها أنتم هؤلاء تُدعون لتُنفقوا في سبيل الله ، فمنكم من يبخلُ ، ومنْ يبخلْ فإنما يبخل عن نفسه، والله الغنيّ وأنتم الفقراء ، وإنْ تَتولوا يستبدل قوما غيرَكم، ثم لا يكونوا أمثالَكم ﴾.....	٣٨	م
	سورة الفتح :		
١٠٩	﴿ قل للمخلّفين من الأعراب، ستُدعون إلى قوم أولي بأس شديد، تُقاتلونهم أو يُسلمون، فإن تطيعوا يؤْتكم الله أجرا حسنا، وإن تتولوا كما توليتم من قبلُ يعذبْكم عذابا أليما ﴾.....	١٦	م

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
١١٠)	﴿ محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ، فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾.....	٢٩	م
	سورة الحُجُرات :		
١١١)	﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ، ولا تَجهروا له بالقول كجهْر بعضكم لبعض، أن تَحبَط أعمالُكم وأنتم لاتَشعرون ﴾.....	٢	م
١١٢)	﴿ إنما المؤمنون إخوةٌ ، فأصلحوا بين أخوَيْكم، واتقوا الله لعلّكم تُرحمون ﴾.....	١٠	م
١١٣)	﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن، إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه مَيْتا فكرهتموه، واتقوا الله، إن الله تواب رحيم ﴾.....	١٢	م
	سورة "ق" :		
١١٤)	﴿ لقد كنتَ في غفلة من هذا ، فكشفْنا عنك غطاءَك ، فبصرُك اليوم حديد ﴾.....	٢٢	ك
	سورة الطور :		
١١٥)	﴿ ويطوف عليهم غلْمان لهم، كأنّهم لؤْلؤٌ مكنون ﴾.....	٢٤	ك
	سورة القمر :		
١١٦)	﴿ فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر * خشعا أبصارهم، يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴾.....	٦ - ٧	ك

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
١١٧)	﴿ تَنزع الناسَ ، كأنهم أعجازُ نخل منقَعر ﴾	٢٠	ك
١١٨)	﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحةً واحدةً ، فكانوا كهشيم المُحتَظر ﴾	٣١	ك
	سورة الرحمن :		
١١٩)	﴿ فيهن قاصرات الطرف، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * كأنهن الياقوت والمرجان ﴾	٥٦ ـ ٥٨	م
	سورة الواقعة :		
١٢٠)	﴿ وحورٌ عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾	٢٢ ـ ٢٣	ك
١٢١)	﴿ فشاربون شربَ الهيْم ﴾	٥٥	ك
	سورة الحديد :		
١٢٢)	﴿ ألم يأن للذين آمَنوا أنْ تخشع قلوبهم لذكر الله، وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبلُ ، فطال عليهم الأمدُ، فقستْ قلوبُهم، وكثير منهم فاسقون﴾	١٦	م
	سورة المجادلة :		
١٢٣)	﴿ إن الذين يحادّون الله ورسولَه كُبتوا، كما كُبت الذين منْ قبلهم، وقد أنزلنا آيات بينات، وللكافرين عذاب مُهين ﴾	٥	م
١٢٤)	﴿ يومَ يَبْعثهم الله جميعا فيَحلفون له كما يَحلفون لكم، ويحسَبون أنهم على شيء، ألا إنهم هُم الكاذبون ﴾	١٨	م
	سورة الحشر :		
١٢٥)	﴿ كمثَل الذين من قبلهم قريبا، ذاقوا وبالَ أمرهم، ولهم عذاب أليم * كمثَل الشيطان إذ قال للإنسان اكْفُرْ ، فلما كفر قال إنّي بريءٌ منك ، إني أخافُ الله ربّ العالمين ﴾	١٥ ـ ١٦	م

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
١٢٦)	﴿ ولا تكونوا كالذين نسُوا الله فأنساهم أنفسَهم، أولئك هم الفاسقون ﴾	١٩	م
	سورة الممتحنة :		
١٢٧)	﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم، قد يئسوا من الآخرة، كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾	١٣	م
	سورة الصف :		
١٢٨)	﴿ إن الله يُحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا، كأنهم بُنيانٌ مرصوص ﴾	٤	م
١٢٩)	﴿ يا أيها الذين آمَنوا كونوا أنصار الله، كما قال عيسى ابْن مريمَ للحواريين من أنصاري إلى الله، قال الحواريون نحن أنصارُ الله، فآمنتْ طائفةٌ من بني إسرائيل وكفرتْ طائفة، فأيّدنا الذين آمنوا على عدوّهم، فأصبحوا ظاهرين ﴾	١٤	م
	سورة الجمعة :		
١٣٠)	﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها، كمثل الحمار يحمل أسفارا، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾	٥	م
	سورة "المنافقون" :		
١٣١)	﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، وإن يقولوا تسمع لقولهم، كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو فاحْذرهم، قاتلهم الله، أنّى يؤفكون ﴾	٤	م
	سورة التحريم :		
١٣٢)	﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا، وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾	١٠	م

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
١٣٣)	﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون، إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين * ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها، فنفخنا فيه من روحنا، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾	١١ ـ ١٢	م
	سورة القلم :		
١٣٤)	﴿ أفنجعلُ المسلمين كالمُجرمين ﴾	٣٥	ك
١٣٥)	﴿ فاصبر لحكم ربك، ولا تكن كصاحب الحوت، إذ نادى وهو مكظوم ﴾	٤٨	م
	سورة الحاقة :		
١٣٦)	﴿ سَخّرها عليهم سبعَ ليال وثمانيةَ أيام حُسوما، فترى القوم فيها صرعى ، كأنهم أعجازُ نخْل خاوية ﴾	٧	ك
	سورة المعارج :		
١٣٧)	﴿ يوم يَخْرجون من الأجداث سراعا، كأنهم إلى نُصُب يوفضون ﴾	٤٣	ك
	سورة الجن :		
١٣٨)	﴿ وأنّهم ظنّوا كما ظننتم، أن لن يبعث اللهُ أحدا ﴾	٧	ك
	سورة المزمل :		
١٣٩)	﴿ إنا أرسلنا إليكم رَسولا شاهدا عليكم، كما أرسلْنا إلى فرعونَ رسولا ﴾	١٥	ك
	سورة المدثر :		
١٤٠)	﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة ﴾	٤٩ ـ ٥١	ك

رقم التسلسل		رقم الآية	نزولها
	سورة الإنسان :		
١٤١)	﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون، إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ﴾	١٩	م
١٤٢)	﴿ نحن خلقْناهم وشدَدْنا أسرَهم، وإذا شئْنا بدّلْنا أمثالهم تبديلا ﴾	٢٨	م
	سورة القارعة :		
١٤٣)	﴿ القارعة * ما القارعة * وما أدراك ما القارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾	١ ـ ٤	ك
	سورة الفيل :		
١٤٤)	﴿ فجَعلَهم كعصْف ماكول ﴾	٥	ك

* * *

ملخص الرسالة

يتناول هذا البحث صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية ، لمحاولة الوقوف عند أحد المحاور الأساسية في التشبيهات القرآنية ، ومحاولة فك أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال هذا المفهوم البلاغي .

وتقوم هذه الدراسة بدراسة فن التشبيه المستخدم في تشبيه الإنسان في القرآن الكريم وأنواعه المختلفة ، وقد قُسم البحث إلى تمهيد وبابين :

التمهيد ، تناول الباحث فيه التشبيه في عصر ما قبل التدوين . أما الباب الأول فتطرق إلى جهود العلماء ـ من عصر التدوين إلى عصر الإمام عبد القاهر الجرجاني ـ في التشبيه ، وفيه حديث عن مفهومه عند اللغويين والنحاة ، والنقاد والأدباء ، وعند المتكلمين والإعجازيين والبلاغيين .

وأما الباب الثاني فيه حديث عن صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية ، ويقع في ثلاثة فصول :

في الفصل الأول تحدث الباحث عن تشبيه الإنسان بالطبيعة وأقسامها : الجوية ، والبرية ، والبحرية .

وفي الفصل الثاني تناول الباحث فيه تشبيه الإنسان بالحيوان وأنواعه المختلفة من الطيور والحشرات والحيوانات الأليفة .

أما الفصل الأخير ، فتناول تشبيه الإنسان بالإنسان بجميع أنماطه : المؤمن والكافر والمنافق وأنماط أخرى لم تبين حقيقتها .

وطبيعة هذا البحث تقتضي أن يستخدم الباحث المنهج الوصفي والتحليلي ، في معالجته لهذه الظاهرة الأدبية .

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي : أن تشبيه الإنسان بالإنسان هو أكثر استخداما فيها ، ويليه التشبيه بالطبيعة ، ثم بالحيوان ، وأن الغرض الديني هو السمة الظاهرة فيها ، وأما من حيث التركيب فقد استخدم القرآن جميع أقسام التشبيه الأربعة المعروفة ، ومن حيث وجه الشبه فالغالب فيه التشبيه التمثيلي .

Abstract
The Image of Human Beings in Quranic Allegories

This study undertakes the human image in quranic allegc is also an endeavor to uncover a fundamental dimension i allegory and reveal the quranic eloquence through such noti

The study textile includes the art of allegory utili describing human beings and its types. The thresh of the p paper is as follows:

First, introduction: allegory at two periods, before anc the time of writing till the time of Abel-Qaher Al-Jurgani part handles how allegory are understood by ling syntacticians, critics, men of letters, theologians, peo inimitability, and people of rhetoric.

Chapter One discusses describing man to nature in its ١ forms: space, land and sea.

Chapter Two handles the description of man as an animal various forms, such as birds, insects, and domestic animal:

Chapter Three describes man to man in its different ؛ believer and non-believer, hypocrite and other groups.

The present writer uses a descriptive and analytic appr ventilating this literary issue.

The study concludes that with respect to commonality th of allegory is man to man, man to nature and man to respectively. The religious purpose is the most obvious t this study. With respect to structure, the Quran has utili types of allegory stated above and the most common simila the description of likening.

« ثبت المصادر والمراجع »

أ ـ المصادر :

١) القرآن الكريم

٢) الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت / ٣٧٠ هـ) : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف – مصر ، ط (٢) ، ١٩٧٢ .

٣) ابن أبي الأصبع ، المصري (ت / ٦٥٤هـ) : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، تحقيق : حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ الجمهورية العربية المتحدة ، د . ط ، د . ت .

٤) الأصفهاني ، أبو الفرج (ت / ٣٥١ هـ تقريبا) : كتاب الأغاني ، تحقيق : لجنة من الأدباء ، الدار التونسية للنشر – تونس ، د . ط ، ١٩٨٣ .

٥) الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت / ١٢٧٠هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، د . ط ، د . ت .

٦) الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب (ت / ٤٠٣ هـ) : إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف – القاهرة ، د . ط ، د . ت .

٧) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت / ٢٥٦ هـ) : صحيح البخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث االعربي ـ بيروت ، د . ط ، د . ت .

٨) البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت / ١٠٩٣هـ) : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبع المدني ـ القاهرة ، د . ط ، د . ت .

٩) البيضاوي ، عبدالله بن عمر (ت / ٦٨٥هـ) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، (ضمن حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي) ، دار صادر ـ بيروت ، د . ط ، د . ت .

١٠) الترمذي ، أبو عبدالله محمد بن علي الحكيم (ت / ٣٢٠ هـ) : الأمثال من الكتاب والسنة ، تحقيق : السيد الجميلي ، دار ابن زيدون ـ بيروت ، د . ط ، د . ت .

١١) الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت / ٢٩٧هـ) : الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٧ .

١٢) الثعالبي ، ابن منصور عبد الملك النيسابوري (ت / ٤٢٩ هـ) : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحقيق : مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٣ .

١٣) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت / ٢٥٥هـ) : البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بيروت ، د . ط ، د . ت .

كتاب الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ، ط (٢) ، د . ت .

١٤) الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت / ٤٧١ هـ) : أسرار البلاغة ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ـ القاهرة ، ط (١) ، ١٩٩١ .

١٥) ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت / ٣٩٢ هـ) : الخصائص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ، ط (٣) ، ١٩٨٦ .

١٦) حاجي خليفة ، المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت / ١٠٦٨هـ):
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية – بيروت ، د . ط ، ١٩٩٢ .

١٧) الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت / ٤٠٥ هـ) :
المستدرك على الصحيحين ، عالم الكتب ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٦ .

١٨) الحداد ، عبدالله بن علوي الحضرمي الشافعي (ت / ١١٣٢هـ) :
النصائح الدينية والوصايا الإيمانية ، دار الحاوي ، د . م ، ط (٢) ، ١٩٩٤ .

١٩) ابن أبي الحديد ، عزالدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت / ٦٥٦هـ) :
الفلك الدائر على المثل السائر ، تحقيق : أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار الرفاعي ـ الرياض ، ط (٢) ، ١٩٨٤ .

٢٠) الحلبي ، شهاب الدين محمود (ت / ٧٢٥هـ) : حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، تحقيق: أكرم عثمان يوسف،دار الرشيد ـ الجمهورية العراقية ، د . ط ، ١٩٨٠ .

٢١) ابن حنبل ، أحمد (ت / ٢٤١هـ) : مسند أحمد بن حنبل ، مطبعة CAGRI YAYINLARI _ ISTANBUL ، د . ط ، ١٩٨٢ .

٢٢) أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف (ت / ٧٤٥هـ) : تفسير البحر المحيط ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٩٣ .

٢٣) الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت / ٣٨٨هـ) :
بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف – القاهرة ، ط (٤) ، د . ت .

٢٤) الخطيب القزويني ، جمال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت / ٧٣٩هـ) :
الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ـ بيروت ، ط (٣) ، ١٩٩٣ .

٢٥) أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت / ٢٧٥ هـ) : سنن أبي داود ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر للطباعة ـ بيروت ، د . ط ، ١٩٩٤ .

٢٦) الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى (ت / ٨٠٨ هـ) : حياة الحيوان الكبرى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ، ط (٥) ، ١٩٧٨ .

٢٧) الرازي ، محمد فخر الدين بن ضياءالدين (ت / ٦٠٤ هـ) : تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر ـ بيروت ، د . ط ، ١٩٩٤ .

٢٨) الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت / ٥٠٢ هـ) : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة ـ بيروت ، د . ط ، د . ت .

٢٩) ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن (ت / ٤٥٦ هـ) : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق : محمد قرقزان ، دار المعرفة – بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٨ .

٣٠) الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى (ت / ٣٨٦ هـ) : النكت في إعجاز القرآن (ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف – القاهرة ، ط (٤) ، د . ت .

٣١) الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت / ٧٩٤ هـ) : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت ، د . ت .

٣٢) الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت / ٥٣٨ هـ) : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر للطباعة ، د . م ، ط (١) ، ١٩٧٧ .

٣٣) أبو السبطين ، علي بن أبي طالب (ت / ٤٠ هـ) : ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ، د . م ، د . ط ، د . ت .

٣٤) السبكي ، بهاءالدين أحمد بن علي (ت / ٧٦٣هـ) : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن كتاب شروح التلخيص) ، دار السرور ـ بيروت ، د .ط ، د . ت .

٣٥) السجستاني ، أبو بكر محمد بن عزيز (ت / ٣٣٠ هـ) : غرائب القرآن المسمى بنزهة القلوب ، تصحيح : مصطفى غناني بك ، المطبعة الرحمانية ـ مصر ، ط (٢) ، ١٩٣٦ .

٣٦) أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي (ت / ٩٥١هـ) : تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، د . ط ، د . ت .

٣٧) السكاكي ، أبو أيوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت / ٦٢٦هـ) : مفتاح العلوم ، تحقيق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨٧ .

٣٨) ابن سلام ، أبو عبيد القاسم (ت / ٢٢٤ هـ) : لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم ، تحقيق : عبد الحميد السيد طلب ، مطبوعات جامعة الكويت ، د . ط ، ١٩٨٤ .

٣٩) ابن سنان الخفاجي ، أبو محمد عبدالله بن محمد (ت / ٤٦٦ هـ) : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٢ .

٤٠) سيبويه ، أبو عمرو بن عثمان بن قنبر (ت / ١٨٠ هـ) : الكتاب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٩١ .

٤١) السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت / ٩١١ هـ) : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ـ بيروت ، ١٩٨٧ .

ـ تفسير الجلالين ، دار الفكر ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨٩ .

ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تصحيح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٨ .

٤٢) الشافعي ، أبو عبدالله محمد بن إدريس (ت / ٢٠٤ هـ) : أحكام القرآن، جمعه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي النيسابوري ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، د . ط ، ١٩٨٠.

٤٤) الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت / ١٢٥٠ هـ) : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ـ بيروت ، د . ط ، ١٩٩٣ .

٤٥) ابن طباطبا ، محمد أحمد (ت / ٣٢٢ هـ) : عيار الشعر ، تحقيق : عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٢ .

٤٦) الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت / ٥٤٨ هـ) : مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، دار المعرفة ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٦ .

٤٧) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت / ٣١٠ هـ) : تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٩٢ .

٤٨) ابن عباس ، عبدالله بن عباس (ت / ٦٨ هـ) : تفسير ابن عباس المسمى صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم ، تحقيق : راشد عبد المنعم الرجال ، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٩١ .

٤٩) أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التيمي (ت / ٢١٠ هـ) : كتاب النقائض؛ نقائض جرير والفرزدق ، باعتناء المستشرق الإنكليزي بيفان ، مطبعة بريل – ليدن ، د . ط ، ١٩٠٥ .

ـ مجاز القرآن ، تحقيق: محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط(٢) ، ١٩٨١ .

٥٠) العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله (ت / ٣٩٥ هـ) : كتاب جمهرة الأمثال ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ـ بيروت ، ط (٢) ، د . ت .

ـ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨٤ .

٥١) العلوي ، يحي بن حمزة بن علي اليمني (ت / ٧٤٩هـ) : كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، مكتبة المعارف ـ الرياض ، د . ط ، ١٩٨٠ .

٥٢) ابن فارس ، أبو الحسين أحمد (ت / ٣٩٥ هـ) : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق : عمر فاروق الطباع ، مؤسسة أ . بدران للطباعة والنشر ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٩٣.

٥٣) الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت / ٢٠٧ هـ) : معاني القرآن ، عالم الكتب – بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨٠ .

٥٤) القاضي الجرجاني ، علي بن عبد العزيز (ت / ٣٩٢ هـ) : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي ، دار القلم – بيروت ، د . ط ، د . ت .

٥٥) القاضي عبد الجبار ، عماد الدين بن أحمد (ت / ٤١٥ هـ) : تنزيه القرآن عن المطاعن ، دار النهضة الحديثة ـ بيروت ، د . ط ، د . ت .

٥٦) ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم (ت / ٢٧٦ هـ) : تأويل مشكل القرآن ، شرحه السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨١ .

ـ الشعر والشعراء ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار المعارف ـ القاهرة ، د . ط ، د.ت.

ـ عيون الأخبار ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، د . ط ، د . ت.

٥٧) قدامة بن جعفر ، أبو الفرج (ت / ٣٢٦ هـ) : نقد الشعر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، ط (١) ، ١٩٧٨ .

٥٨) القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت / ٦٧١ هـ) : الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، د . ط ، ١٩٩٣ .

٥٩) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت / ٦٨٢ هـ) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، (ضمن كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط (٥) ، ١٩٧٨ .

٦٠) ابن قيم الجوزية ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت / ٧٥١ هـ) : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٧٧ .

ـ الأمثال في القرآن الكريم ، تحقيق : سعيد محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٨٣ .

٦١) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل القرشي (ت / ٧٧٤ هـ) : تفسير القرآن العظيم ، دار الجيل للطباعة ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٩١.

٦٢) مالك بن أنس (ت / ١٧٩ هـ) : الموطأ ، دار الجيل ـ بيروت ، ط (٢) ، ١٩٩٣.

٦٣) المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت / ٢٨٥ هـ) : الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق : محمد أحمد الدالي ، موسسة الرسالة ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٦ .

٦٤) المرزباني ، أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى (ت / ٣٨٤ هـ) : الموشح مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار النهضة مصر – القاهرة ، د . ط ، د . ت .

٦٥) مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت / ٢٦١ هـ) : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة CAGRI YAYINLARI _ ISTANBUL ، د . ط ، د . ت .

٦٦) ابن المعتز ، أبو العباس عبدالله (ت / ٢٩٩ هـ) : كتاب البديع ، اعتنى بنشره وتعليق مقدمته : اغناطيوس كراتشقوفسكي ، منشورات دار الحكمة – دمشق ، د . ط ، د . ت .

٦٧) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت / ٧١١هـ) : لسان العرب ، دار صادر – بيروت، ط (٣) ، ١٩٩٤.

٦٨) ابن الناظم ، بدر الدين بن مالك (ت / ٦٨٦هـ) : المصباح في المعاني والبيان والبديع ، تحقيق : حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب _ القاهرة ، ط (١) ، ١٩٨٩ .

٦٩) ابن ناقيا ، عبدالله البغدادي (ت / ٤٨٥ هـ) : الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق : مصطفى الصاوي الجويني ، مطبعة الجيزة بالإسكندرية ، د . ط ، د . ت .

٧٠) ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت / ٣٨٥ هـ) : الفهرست ، تحقيق : ناهد عباس عثمان، دار قطري بن الفجاءة _ قطر ، ط (١) ، ١٩٨٥ .

٧١) النسفي ، أبو البركات عبدالله (ت / ٧٠١ هـ) : تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ، دار الفكر للطباعة ، د . م ، د . ط ، د . ت .

٧٢) أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت / ٤٣٠ هـ) : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتب العلمية _ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٨ .

٧٣) النويري ، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب (ت / ٧٣٣ هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، د . م ، د . ط ، د . ت .

٧٤) ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميرى (ت / ٢١٣ هـ) : السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا ، المكتبة العلمية ـ بيروت ، د . ط ، د . ت .

٧٥) الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت / ٩٧٥ هـ) ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق : الشيخ بكري حياني ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط (٥) ، ١٩٨٥ .

ب ـ المراجع :

٧٦) إبراهيم سلامة : بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ـ دراسة تحليلية نقدية تقارنية ، مطبعة أحمد علي مخيمر ـ مصر ، ط (٢) ، ١٩٥٢ .

٧٧) أحمد أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، دار نهضة مصر ـ القاهرة ، د . ط ، د . ت .

٧٨) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط (١٠) ، د . ت .

٧٩) أحمد جمال العمري : المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجرى ، مطبعة المدني ـ القاهرة ، د . ط ، ١٩٩٠ .

٨٠) أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ، ط (٨) ، د . ت .

٨١) أحمد مصطفى المراغي : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده – مصر ، ط (١) ، ١٩٥٠ .

٨٢) أحمد مطلوب : البلاغة عند السكاكي ، دار التضامن – بغداد ، ط (١) ، ١٩٦٤.

ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، د . ط ، ١٩٨٦ .

٨٣) أحمد مكي الأنصاري : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – القاهرة ، د . ط ، ١٩٦٤ .

٨٤) بدوي طبانة : علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ،دار الثقافة – بيروت ، د . ط ، ١٩٨١ .

٨٥) بكري شيخ أمين :،التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق ـ بيروت، ط(١)، ١٩٧٣ .

٨٦) حسن عبد السلام : الرأي والأثر في تفسير سورة القمر ، د. م ، د . ط ، ١٩٨٧.

٨٧) خليل ياسين : أضواء على متشابهات القرآن ، دار مكتبة الهلال ـ بيروت ، د. ط ، د . ت .

٨٨) سعيد حوى : الأساس في التفسير ، دار السلام ـ القاهرة ، ط (٢) ، ١٩٨٩.

٨٩) السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط (٦) ، د . ت .

٩٠) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ـ بيروت ، ط (٨)، ١٩٨٣ .

ـ في ظلال القرآن، دار الشروق ـ بيروت ، ط (٢٢)، ١٩٩٤ .

ـ مشاهد القيامة في القرآن ، دار الشروق ـ بيروت ، ط (٧)، ١٩٨٣ .

٩١) شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف ـ القاهرة ، ط(٦)، د. ت .

ـ الوجيز في تفسير القرآن الكريم ،دار المعارف ـ القاهرة، د. ط ، د . ت .

٩٢) صلاح عبد الفتاح الخالدي : البيان في إعجاز القرآن (علوم القرآن وأصول التفسير ، دار عمار ـ عمان ، د . ط ، د . ت .

٩٣) طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٥.

٩٤) طه حسين : البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر (ضمن كتاب نقد النثر ، المنسوب إلى قدامة بن جعفر) ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، د . ط ، ١٩٨٢ .

٩٥) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ، دار القلم ـ دمشق ، ط (٢) ، ١٩٩٢ .

٩٦) عبد العزيز عبد المعطي عرفة : قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية ، عالم الكتب ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٥ .

٩٧) عبد العظيم إبراهيم المطعني : التشبيه البليغ هل يرقى إلى درجة المجاز ...؟ ، دار الأنصار ـ القاهرة ، د . ط ، د . ت .

٩٨) عبد الفتاح لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن ، دار المعارف ـ القاهرة، ط (٣) ، ١٩٩٢ .

٩٩) عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار نهضة مصر ـ القاهرة، د . ط ، د . ت .

ـ القرآن إعجازه وبلاغته ، مطبعة الأمانة ـ مصر، د .ط، د . ت.

ـ من علوم القرآن وتحليل نصوصه ، دار قطري بن الفجاءة ـ قطر ، د . ط ، ١٩٨٧.

١٠٠) عبده عبد العزيز قلقيلة : النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني ، المطبعة الفنية الحديثة ـ القاهرة ، ط (١) ، ١٩٧٦ .

١٠١) علاء الدين شمس الدين المدرس : الظاهرة القرآنية والعقل ، دراسة مقارنة للكتب المقدسة ، مطبعة العاني ـ بغداد ، ط (١)، ١٩٨٦ .

١٠٢) علي مهدي زيتون : إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد من أول القرن الخامس / الحادي عشر إلى نهاية القرن السابع / الثالث عشر ، دار المشرق ش م م – بيروت ، ط (١) ، ١٩٩٢ .

١٠٣) علي النجدي ناصف : سيبويه إمام النحاة ، المطبعة العثمانية ـ القاهرة ، ط(٢) ، د .ت.

١٠٤) فضل حسن عباس : البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع ، دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان ، ط (١) ، ١٩٨٩ .

ـ البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية ، دار النور للطباعة ـ بيروت ، ط (١) ، ١٩٨٩ .

١٠٥) فؤاد علي رضا : من علوم القرآن ، مكتبة مدبولي ـ القاهرة ، ط (١) ، ١٩٨٢.

١٠٦) كاصد ياسر الزيدي : الطبيعة في القرآن الكريم ، دار الرشيد ـ العراق، د. ط ، ١٩٨٠ .

١٠٧) مجيد عبد الحميد ناجي: الأثر الإغريقي في البلاغة من الجاحظ إلى ابن المعتز ، مطبعة الآداب – النجف الأشرف – العراق، د . ط ، ١٩٧٦ .

١٠٨) محمد جمال الدين الفندي : مع القرآن في الكون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ، د . ط ، ١٩٩٢ .

١٠٩) محمد حسين علي الصغير: أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة، طبع في دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد، د.ط، د.ت.

ـ الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية وبلاغية، دار الرشيد ـ العراق، د.ط، ١٩٨١.

١١٠) محمد الخضر حسين: بلاغة القرآن، أشرف على طبعه ونشره علي الرضا التونسي، د.م، د.ط، ١٩٧١.

ـ الخيال في الشعر العربي دراسات أدبية، جمعه وحققه: علي الرضا التونسي، د.م، ط (٢)، ١٩٧٢.

١١١) محمد رجب البيومي: البيان القرآني، دار النصر للطباعة ـ القاهرة، د.ط، ١٩٧١.

١١٢) محمد زغلول سلام: أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، دار المعارف – مصر، ط (٢)، ١٩٦١.

١١٣) محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، د.م، د.ط، د.ت.

١١٤) محمد الشيخ عايد الطبيشات: الإنسان في القرآن الكريم طبيعته وتصوره منزلته في الكون صلاته الوجودية قديمه مصيره، طبعه وأخرجه محمد غانم، إربد ـ الأردن، ط (٢)، ١٩٩٥.

١١٥) محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، ط (٣)، ١٩٩٠.

١١٦) محمد علي أبو حمدة: من أساليب البيان في القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة ـ عمان، ط (٢)، ١٩٨٣.

١١٧) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير تفسير للقرآن الكريم ، جامع بين المأثور والمعقول ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د. ط ، ١٩٩٣ .

١١٨) محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة ، د . ط ، د . ت .

١١٩) محمد أبو موسى : التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، مطابع الشروق – بيروت ، ط (١) ، ١٩٧٨ .

١٢٠) محمود صافي : الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة ، دار الرشيد – دمشق ، ط (١) ، ١٩٩٠ .

١٢١) مهدي صالح السامرائي : تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية ، المكتب الإسلامي – دمشق ، ط (١) ، ١٩٧٧ .

١٢٢) واجدة مجيد الأطرقجي : التشبيهات القرآنية والبيئة العربية ، دار الحرية – بغداد ، د . ط ، ١٩٧٨ .

١٢٣) وليد القصاب : التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري ، دار الثقافة – قطر ، د . ط ، ١٩٨٥ .

١٢٤) يوسف مروة : العلوم الطبيعية في القرآن ، مطابع الوفاء – بيروت ، ط (١) ، ١٩٦٨ .

جـ - الدوريات :

١٢٥) عبد العظيم المطعني : الحكمة والمثل والتمثيل ، نظرات في أصولها وخصائصها البلاغية ، مجلة بحوث كلية اللغة العربية ، المملكة العربية السعودية – مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، السنة الثانية ، العدد الثاني ، ١٩٨٤ / ١٩٨٥ .

١٢٦) محمد رجب بيومي: بين الرماني والخولي ، مجلة " الأديب" لبنان ، الجزء (٦) ـ السنة (٣١) يونيو ١٩٧٢ .

١٢٧) محمد زغلول سلام ، المصطلح النقدي والبلاغي في الدراسات القرآنية نشأة وتطورا ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس ، عدد خاص (٤) السنة ١٩٨٨ ،شعبة اللغة العربية وآدابها .

د ـ الرسائل العلمية :

١٢٨) إبراهيم محمد سالم : المصطلح البلاغي والنقدي عند عبد القاهر الجرجاني ، رسالة ماجستير من جامعة اليرموك ، ١٩٩٢.

١٢٩) أحمد سعد محمد سعد : الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في الدرس البلاغي ، رسالة ماجستير من جامعة عين شمس ، ١٩٩٠ .

١٣٠) أحمد لزهري بلخضر : التشبيه صوره وألفاظه دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير من جامعة باتنة ـ الجمهورية الجزائرية ، ١٩٩٢.

١٣١) عبد الكريم أحمد العبد السالم : عبد القاهر الجرجاني في "أسرار البلاغة" رسالة ماجستيرمن الجامعة الأردنية، ١٩٧٧ .

١٣٢) محمد حسن مخلوف : طرفا التشبيه القرآني بين السياق والدلالة، رسالة دكتوراة من جامعة الأزهر الشريف ، ١٩٩٢.

١٣٣) محمد خليل محمود الخلايلة : المصطلح البلاغي في كتاب العمدة ، رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية ، ١٩٩٣.